



سعيد الأفغاني

أسواق العرب

في الجاهلية والإسلام

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة ١٩٧٤ م — ١٣٩٤ هـ

مقدمة الطبعة الثانية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقدم الطبعة الثانية من كتابي (أسواق العرب في الجاهلية والاسلام)
منقحة مزبداً فيها فوائد عزيزة غزيرة ، آملاً أن يكون لي نصيب
- ولو ضئيلاً - في سد فجوة من الفجوات في تاريخنا الحبيب . والحق
أن الطبعة الأولى كأنها لم تكن إذ لم يطبع للبيع إلا ثلاثمائة نسخة
استنفدت دمشق حينئذ كلها تقريباً .

ووددت لو استطعت الإشراف على هذه الطبعة ، ولا أظن الدار
التي ستنشر الكتاب إلا بإذلة جهدها في أن تفضل هذه الطبعة سابقتها
صحة وجمالاً .

ولا يعني - في هذه المناسبة - إلا شكر العلماء والادباء من العرب
والمستشرقين الذين استقبلوا الطبعة الأولى من الكتاب استقبالاً ما كنت
أطمع ببعضه ، حامداً لهم عنايتهم ببحرته وثناءهم على صاحبه ، مقدراً
حسن ظنهم واقتراحاتهم المشكورة أحسن تقدير ؛ وأخص بالذكر
صديقي العلامة المرحوم المستشرق سالم الكرنكوي (فريتر كرنكو) فقد
لقيت من نبلة في خدمة العلم ما أتمنى أن نتحلى به جميعاً .

هذا وقد أقيمت المقدمة على حالها وإن رغب إليّ بعض المستشرقين
في حذفها لأنها تفتح العيون على حملة منظمة علينا ، متعددة الميادين ، ولهم هم
أنفسهم دور ناجح في أحد ميادينها ؛ أبقيتها لأنها تؤرخ نواحي اجتماعية

واقتصادية وسياسية في حياة الشام في غمرة من الغمرات ، وتشير الى
ظاهرة روحية قلقة سادت البلد إبان قيام (سوق دمشق ومعرضها
عام ١٩٣٦ م) ، ثم هي في الوقت نفسه تاريخ (لظروف)
تأليف الكتاب .

والله أسأل أن يجعلنا أبداً مفيدين مستفيدين ، ويزقنا
الاخلاص والسداد .

سعيد الريفاني

دمشق ١٣٧٩ هـ
١٩٦٠ م

بين يدي الكتاب

سبق لمدينة دمشق ، أن أقامت سنة ١٩٢٧ م معرضاً للتجار والفواكه افتتح يوم الاثنين ثاني عشر تشرين الثاني ، دام خمسة أيام واشترك فيه (١٥٠٠) عارض من مختلف بقاع الشام (سورية) ، وكان أثره في نهضة الزراعة وانتعاشها مباركاً محموداً : علّم الزراع ما لم يكونوا يعلمون ، وحمل الى الناس ما تنتج أرض الوطن في مختلف البقاع من ثمار تتشابه في النوع وتتنبئ في الصفة ، فأغنى الناس بعض الإغناء عن رحلة زراعية واسعة في البلاد السورية ، ووفر عليهم زمناً ومشقة وأموالاً ، وخطا في سبيل تعليم الجمهور خطوة ميمونة العاقبة . ورأى فيه الزارعون من يعنى بهم ويريد لهم الخير واطراد الرقي ، وتسابقوا فيه العارضون وفاز المعتمني بثماره منهم بجوائز المعرض ، وزاره من الرجال والنساء والاطفال ما يزيد عددهم على الاحد عشر ألفاً^(١).

ثم أقامت معرضاً ثانياً للصناعات الشرقية في المجمع العلمي العربي (المدرسة العادلية في باب البريد) افتتح يوم الثامن من آذار سنة ١٩٢٨ م ، فخصصت الردهة الكبرى للآثار الشرقية الحديثة ، ولم يسعف الزمن القصير أن تشترك فيه مدن الشام فاقصر على دمشق ، وكان ماعرض فيه (٦٢٧) من القطع المنوعة من السجاد والنحاس والاعشاب والأسلحة والمخطوطات والجلود والصور والأقمشة وكل ما هو

(١) انظر التقرير الذي رفعه رئيس لجنة إدارة المعرض الى وزير الزراعة والتجارة يومئذ السيد نصوح البخاري .

من الفنون الجميلة . « و كان الاقبال على معرض الصناعات فوق ما كان يرجى وذلك لتعطش الجمهور لمثل هذه المظاهر الفنية والصناعية واهتمامه بالنهضة الاقتصادية . وقد زار المعرض نيف واربعون ألفاً في خلال ثمانية الايام (٨ - ١٥ حزيران) التي ظلت ابوابه مفتحة فيها ، منهم ثلاثة عشر ألف سيدة . « و كانت نتائج المعرض مرضية بحسوة ، شعر بها من عرضوا مصنوعاتهم في القاعتين الخاصتين بالنفائس والاعلاق النفيسة (١) . »

والمعرض الشامي الثالث كان للصناعات الوطنية ، أقيم في صرح الجامعة السورية ، في شهر آب سنة ١٩٢٩ وعرض فيه مصنوعات المناسج على اختلافها والمصابغ والطابع والمطاحن والمزاييت والمصان عدا النفائس الشامية من القطع الخشبية والنحاسية والمصوغات ، هذا الى ما اشتهرت به دمشق من عمل (السكاكر) والمربيات والزجاج . الخ وكان الاقبال على هذا المعرض أكثر من سابقه لشموله أكثر صناعات الشام واشتراك مدن سورية الشمالية . وقد تجلّت فيه مواهب العرب في سورية واستعدادهم للاسهام في الصناعات العالمية . وقوي الأمل في أحفاد من أقاموا بأيديهم وفكرهم وجهودهم ، المجد الصناعي القرطبة وبغداد ودمشق ومصر ، يوم لم تكن صناعة إلا صناعتنا ولا حضارة إلا ماتنعم به الانسانية على يدنا وبمسعانا .

وفي ربيع هذا العام (١٩٣٦ م) قامت الاستعدادات على قدم وساق لإنشاء معرض عام يمثل ذكاء العربي وتقدمه في جميع المناحي . وقد وافق هذا التأهب كلياً من الزمان وحرّياً من العدو ، وقرأ

(١) انظر التقرير الخامس بأعمال المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ ص ٣٨

عاماً ومضية شاملة ، فكان الناس مشغولين بذوات أنفسهم مما سواها ، فالسما شحيحة ما تبض بقطرة ، والارض مجذبة ما تهتز عن خضرة ، والموارد فاضبة لا تسعف ، وأجزاء البلاد يُزجى فيها السموم وتثبت بينها العقارب ، حتى خبطتها فتنة عمياء تنكّر فيها الساحلي للداخلي ، ونجهم العربي للعربي ، رغم الدم الصارخ في عروقها من الفرقة ، الداعي لها الى الإلفة والانحداد . وغدّى هذا الشر أناس أقيسوا لهدوا الناس الى الخير والاخوة والمحبة والسلام ، فكانوا دعاة للشر وعمالاً على الإفساد والتفريق والشقاء . وجعلوا من الدين الذي أنزله الله ليزيد الاواصر قوة والوشائج لحمه ، ويفيض على القربى والرحم محبة ورحمة ، وتعاوناً وعظماً ... جعلوا من هذا الدين وسائل سافلة تستغل سداجة العامي الغفل ، وقموه عليه السم بالدم ، ليسعى الى حتفه بظلفه ويقتل نفسه وأخاه معاً .

بهذا اشتغل الناس يومئذ وحق لهم الشغل والتفكير في هذه القطيعة المجرمة ، إذ منى غاش رأس بلا جسم وهل استغنى قلب عن ويريد وشريان ، وأين شرع الله للجارين من جنس واحد أن يعملوا على شقاها معاً ، ويسعيا الى التعس السعي الحثيث ، ويزجوا بأعقابها وذرايعها من بعدهما في العذاب الاليم والانقراض المحتم . ثم يُعملان في أبدانها سلاحاً دسه العدو في أيديها وهو يتربص بكليها الشر لبسود دارهما وحده لا شريك له^(١) .

في غمرة هذه النزوات الطائشة ، وفي شدة مقاومة المقيد الذي شعر أنه إنما يساق الى الموت وهو أشد ما يكون تعشقاً للحياة وتمسكاً

(١) أما الآن في سنة ١٩٦٠ فقد أزال الله الأجنبي فزال بزواله أكثر ما بذر من اسباب القطيعة وعاش الإخوان كل في داره جيراناً متحابين .

مجالها ، قام « معرض دمشق وسوقها » وأعلن في أقطار الشرق موعد افتتاحه ! فاعجب إن كنت عاجباً لهذه الأمة الكريمة التي ننبض عروقها قوة غريبة وحيوية عنيفة ، إنها لم تشغلها مصيبة عن واجب : فما أهاب بها الداعي حتى هبت هبة واحدة تنظم معرضها وتمده بكل ما في بقاع الوطن من نخفة فريدة في بابها . وزحفت صناعات الشام تتمثل في المعرض للعالمين ، وازدهى هذا المعرض بعبقرية الوطن تتجلى في الفكر الحصب واليد الصناع .

* * *

افتتح المعرض مساء الأحد الحادي والثلاثين من حزيران سنة ١٩٣٦ م ، في مدرسة التجهيز الجديدة ، حيث أجمل بقعة في دمشق وأنزهها وأحفلها بآثار العرب في القديم والحديث : فصروح الجامعة السورية الحديثة وبناء دار الآثار ونزل « خوام » عن يمين بردى .. الى جانب القباب الاثرية والمآذن الشاهقة ، تلك تقفك على نشاط العربي ابن العصر العشرين وهذه تذكرك بعنفوان مجده في القديم .

ومن غريب الاتفاق أن تقوم معارض دمشق الثلاثة ، في المجمع العلمي العربي (كان) ، والجامعة السورية ومدرسة التجهيز : أكبر المعاهد العلمية وأعودها بالخير على البلاد ، لتثير في الناس أثريين مزدوجين ، يرتبطان أشد الارتباط ، ولا ينفكان مرتبطين أبداً او يفنيا معاً : عبقرية الفكر وعبقرية اليد . لا تقوم حضارة على علم وحده ولا على صناعة وحدها ، ولا بد من الاثنين معاً . وقد فهنا هذه الظاهرة وأخذنا في العمل لتحقيقها ، وقطعنا في هذا أسواطاً نسأل الله أن يرعاه بعنايته حتى نبلغ بها الغاية .

* * *

وهناك اتفاق آخر فظن له كثيرون ، وعجبوا له العجب كله وهو افتتاح المعرض في ليلة ذكرى المولد النبوي ، في الليلة التي يستعيد فيها المسلمون ذكرى ما قدموا للانسانية من نظم وحضارة وعدل وسعادة ، في الليلة التي ولد في مثلها قبل اربعة عشر قرناً ، خير طفل حملته الارض ، وكان له يد ومنة على كل من نعم بسعادة وشمل برحمة وتمتع بعدل واغتبط بعرفان .

افتتح معرض دمشق وسوقها في مساء الليلة التي يقول فيها المسلم والعربي غير المسلم: كان منا هادٍ أفاض الرحمة على الانسان والحيوان والجماد ... فتفاءل الناس خيراً وأيقنوا أنهم لا يبد بادئون تاريخهم من جديد وقد ولد ليلة المولد هذا المعرض ، وهو فاتحة مباركة في تاريخ بعثنا الحديث إن شاء الله .

فإننا كما شرعنا نصل حلقات السلسلة التي انقطعت ، بجهادنا للحرية والحق ، والعدل والنور ، افتتحنا ليلتنا هذه بوصول حلقة مجدنا الصناعي والتجاري . وإن الانسانية لتنتظر على أحر من الجمر ، وبفارغ الصبر ، الشعب الذي نعمت في ظلاله ليتبوا مكانه من جديد ويقوم برسائله في هذا العالم الذي ملئ اليوم وذيلة وعسفاً ومادية . وإن انتعاش الشعب العربي انتعاش للخير والانسانية ، ونصرته نصره للعدل وال عمران ، وما كانت الانسانية لتنسى الذين كانت على عهدهم حقائق مدموسة فأصبحت اليوم طلاءً ودهاناً ، بل الانسانية اليوم - إذا دققنا في حقيقة أعمال من يدعون حمايتها - شقاء باسم السعادة ، وظلم باسم الرحمة ، ووحشية باسم الحضارة ، ولصوصية باسم الحق ، وذناة وحطة وإماتة ضمير وخذلان خلق وهيمية ... باسم التمدن ..

كنت في هذا الجو من الغبطة والذكري والتأثر ، لما عرضت في ذهني حلقات تاريخنا وأين انقطعت كل حلقة ومتى عهدنا بوصولها . فكان أول ما جال في خاطري وأنا في معرض دمشق وسوقها : أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، وكيف كانت تزخر بالناس من تجار وصناع ، وأدباء وشعراء وخطباء ، وساسة وأشرف ...

عجبت لهذه الذكرى وقد أعاد هذا المعرض لنا أسواقنا - مع مراعاة الفارق بين الزمانين - وذكرت أن الجمع العالمي بدمشق - وكان إذ ذاك اسماً على مسمى - سيقوم بمهرجان للنتيبي في آخر أسبوع من تموز ، وقد اختار لهذا المهرجان مكان المعرض وزمانه ، لتتم لنا صورة عن أسواق العرب ومحافلهم فيها . فكملت بهذا أداة هذه السوق العربية الكبرى بما سيلقى فيها من أدب وشعر وعلم ، وبمن سيؤمها من العلماء والادباء من المشرق والمغرب : عرباً وأجانب ومستشرقين . وأصبح من كان يسمى أن ينعم برأى عكاظ في الجاهلية يستطيع أن يشهد عكاظ العرب في القرن العشرين ، فينظر كيف انقلب الزمن وكما قطعت الحضارة بين المكابزين من أسواط .

ولعل القارىء أحسن مما قدمت مقدار الحاجة الى بحث يعرض لأسواق العرب وما كانت عليه في الجاهلية والاسلام ، وما قامت به من عمل في خير العرب ولغتهم ، ليقف على شأنها في تاريخنا ويستطيع أن يفاضل بين رسالتها قديماً ورسالة المعارض حديثاً . وما زالت هذه الاسواق تقعد الذروة من اهتمام الامم مذ كان اليونان وأولمبيام وأعيادهم . وقد رغب إليّ من أَرْضِي رَأْيَهُ أن أسد هذه الثلمة في المكتبة العربية فعكفت على أمّات المصادر - وهي في موضوعنا هذا جسد شحيحة - أنقب فيها وأفليها لاخلاء منها بكل ما يفيدني في بحثي حتى تمت لي مادة

هذا الكتاب الذي تنحصر مجوته بين عهد الجاهلية والقرن الثاني للهجرة .
ولعل الله يسر لي في المستقبل أن أصل هذا البحث عصرأ فعصرأ في
أمصار العرب حتى عصرنا الحاضر .

ومن مارس التنقيب في مصادرنا العربية ، القديمة منها خاصة ، واطلع
على ماترخر به من كنوز مبعثرة هنا وهناك ، لاتفجعها جامعة ما ،
عرف مقدار العنت والنصب اللذين يتعرض لهما الباحث ، ولا سيما في
موضوع كهذا لم يعالج بعد . وأنا أعني القارئ من وصف مالقت
من عناء فما أريد أن أمن عليه وحسي أن أكون في وجداني قد أبلغت
نفسى عذرها .

وقد مهدت للكلام علي الاسواق ببحوث رأيتها لازمة ، وثيقة
العلاقة بموضوع كيبوع الجاهلية ورباها وأسهب في الكلام على قریش
لأنهم في الحقيقة هم عنوان الفریق التاجر من العرب وحرصت كل الحرص
أن أنقل القارئ إلى جو تلك الاسواق فيراها كما هي .

سيكون في هذه البحوث أدب جم وتاريخ كثير كما فيها صناعة
وتجارة ، وستعرض فيها عادات العرب في أسواقها ومجالسها الادبية
وبلاغتها النظرية والشعرية ، حتى النحو سيكون له بعض النصيب لان
إحدى الاسواق كانت تقصد من أجل مادة يستعين بها النحو في تنظيم
قواعده وتبويب فصوله .

وبعض هذه الحوادث والاشعار التي سأعرضها - وإن كان
مظنة أنه مصنوع - قد اجتهد صانعه أن يقلد فيحسن التقليد ويجاكي
الأصل فيحكم الحكابة ، فإن شككنا في نسبة الخبر لم نشك أبداً فيما يدل عليه
أو يستخلص منه . وذكرت من هذه الاحداث هنات جوزت لنفسي
نقلها في هذا الكتاب مع نصرحها بما يحتشم منه ، لانها لاتتم الصورة

إلا بها ولأني أحرص على أن يتمثل القارىء حالة الاسواق تمثلاً صادقاً
صحيحاً كاملاً على قدر الامكان .

وقد عنيت بشرح ما يشكل من غريب أو معنى مغلق ، لأكون
قد بلغت جهدي واستقرغت وسعي في الاجتهاد لأن يكون هذا العمل
أقرب من كمال وأبعد من نقص . وأنا أشكر لمن أطلعني على عيب
أو نهي لإصلاحه ، فما يزال الانسان بحاجة الى من ينهيه ويصلح عمله .
والله المستعان ومنه الرضى والمثوبة .

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ هـ و ٢ حزيران سنة ١٩٣٦ م .

سعيد الرفاعي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

شؤون العرب التجارية

بين الجاهلية والإسلام

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنم الله الفردوس

www.moswarat.com

تجارة العرب

لبلاد العرب موقع جغرافي متوسط ، بين بلاد أعظم الدول وأقدم الحضارات . فإلى شمالها الشرقي بلاد فارس وإلى شمالها الغربي بلاد الروم ومصر ، وإلى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة وفي جنوبها البحر الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند .

ولا نكون إلى الغلو إذا قلنا إن معظم تجارات العالم منذ القديم حتى القرون الوسطى هي بين هذه البلاد التي عددنا . فالدولتان العظيمتان اللتان تنازعتا النفوذ والسيادة في العالم ، وهما فارس والروم ، كانتا على علاقات تجارية وسياسية مع بلاد العرب في الشمال والجنوب . وقل نحواً من ذلك في علاقة الحبشة والهند مع اليمن وعمان والبحرين ، وإن كانت علاقة أضيق حدوداً .

وكان للمواصلات التجارية في جزيرة العرب طريقان أحدهما شرقي يصل عمان بالعراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس برأ ثم يجوز غرب العراق إلى البادية حتى ينتهي به المطاف في أسواق الشام ،

يمر التجار فيه على أسواق اليمن والعراق وتدمر وسورية ويبيعون في كل قطر ما لا يكون فيه ويأخذون منه إلى غيره ما يروج فيه .
والطريق الثاني وهو الأهم غربي يصل اليمن بالشام مجتازاً بلاد اليمن والحجاز ناقلاً أيضاً بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام وبضائع الشام إلى اليمن حيث تصدر إلى الحبشة وإلى الهند في البحر .

وقد أطمع هذا الموقع الجغرافي لبلاد العرب كثيراً من الفاتحين فغزاهم الاسكندر فارتد عنها في غير طائل ، وطمع فيها قديماً ملوك الفرس وبابل ونيوى ومصر . والغريب أنها احتفظت بمكاتها هذه حتى العصر الأخير إذ بسط سلطانهم شرقي الجزيرة وغربها فلكوا « عدن » ميناء اليمن الطبيعي ^(١) حيث ترسو السفن من الحبشة ومن الهند وملكوا العقبة ^(٢) « أيلة » محط رحال القوافل العربية في القديم وأول الثغور الرومانية التي يحملها تجار العرب ، ففازت إنجلترا بمناطق نفوذ على هذين الخطين التجاريين ضمناً لطريق الهند وتجارتهما .

كان من المعقول أن يمارس كثير من العرب التجارة رجلاً

(١) وبه يسمى البحر فيقال بحر عدن - انظر طبقات الامم اصاعد: ص ٧١

(٢) كان ذلك قبل أن يستقل شرق الاردن باسم المملكة الاردنية الهاشمية

ونساء ، وخاصة الذين تقع بلادهم قريبة من إحدى هاتين الطريقتين ،
ومن لم يتاجر منهم أفاد من التجارة بالواسطة فعمل في هذه القوافل إما
دليلاً وإما سائقاً وإما منتظماً في جملة حامتها الذين يؤجرون أنفسهم
وسلاحهم ودوابهم فيها .

ولم يبعد اسطرابون حين قال : « العرب تجار وسماسرة »
و « قوم تجارة وبيع وشراء ولذلك لم يكونوا أمة حرب لا بالبر
ولا بالبحر ، »^(١)

وقد شغلت دول العرب القديمة كتدمر وسبأ والمعينين ،
المراكز الممتازة في تجارة الشرق حتى ذكرتهم التوراة ووصفت
ثروتهم وتجارتهم . وحمل أهل تدمر في القديم إلى مصر وجنوب أوربة
صادرات بلاد العرب والعراق والهند وكانت النفائس التي يحملها
التدمريون من بلاد الشرق أمين ما يتغالي به الملوك القياصرة .

توسط تدمر بين الدولتين الفارسية والرومانية ، بين العراق
والشام وجزيرة العرب جعلها محطة القوافل جميعاً بين هذه الاقطار
منذ أقدم العصور ، فازدهرت تجارتها وعظم غناها واشتهرت أسواقها

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٦٤/٢

حتى أصبحت « قبلة التجار من الهند والفرس (وجزيرة العرب)
والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ...

وكانت روما التي خضع لنيها أغلب العالم القديم تهاب قبائل
تدمر وتتودد اليها وتقدم لها الهدايا وتوفد اليها الوفود ... وعرفت
تدمر كيف تستثمر في ظروف كثيرة منافسة الدولة الفارسية والدولة
الرومانية لمصلحتها التجارية ،^(١)

ولما ازدهرت الدولة المعينية في اليمن تعاطى أهلها التجارة
وساعدتهم عليها امتداد نفوذهم حتى شواطئ البحر المتوسط ومواني
خليج العجم .

أما سبأ فليس مكان غناها وتجارها بالمجهول فقد ذكرت التوراة
أن ملكة سبأ « قدمت الى سليمان (١٢٠) وزنة ذهب وأطيباً كثيرة
جداً وحجارة كريمة ،^(٢) وحسبك هذا دليلاً على وفرة مالها وخيراتها .
والسبثيون قديماً أغنى العرب ثروة وأوسعهم تجارة ، يحملون ما يأتيهم
من بضائع الحبشة والهند إلى مصر والشام والعراق فبسطوا بذلك

(١) انظر (تاريخ اللغات السامية) لإسرائيل ولفنسون ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) انظر سفر الملوك الاول من العهد القديم : الإصحاح العاشر

نقوذهم التجاري واستأثروا بالتجارة بين تلك الاقطار المذكورة .

جاء في تاريخ العرب الأدبي (نيكلسون)^(١) :

« قال مولر : قامت السفن منذ زمن بعيد تتمخر عباب المياه بين موافي بلاد العرب الشرقية والهند ، محملة بالبضائع وكانت منتجاته الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة (كالقردة والطواويس) تنقل الى ساحل عمان ، ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد كانت لهم دراية بالخليج الفارسي حيث كانوا ييممون شطر مصر يبيعون فراغتها وأمراءها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة في البحر الاحمر سبباً في تفضيل الطريق البري للتجارة بين اليمن وسورية ، وكانت القوافل تقوم من « شوت » في حضرموت وتذهب الى مارب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالاً الى مكرّبة (مكة فيما بعد) وتظل في طريقها من براحتي غزة المطلة على البحر الابيض المتوسط ، وظل رخاء السبئيين قائماً حتى أخذت التجارة الهندية تهجر البر وتسلك عبر البحر على طول شواطئ حضرموت وخلال مضيق باب المندب . وكانت نتيجة هذا التغير - الذي يظهر أنه حدث في القرن الاول

(١) ترجمة حسن حبشي في العدد (١٧٥) من مجلة الرسالة

للميلاد - أن أخذت قوتهم تتضعض شيئاً فشيئاً ،
وحل محل هؤلاء ، الحميريون الذين جعلوا عرب الحجاز تحت
سيطرتهم فاستخدموهم في نقل تجارتهم إلى أن تخلص الحجازيون منهم
وصاروا هم نقلة التجارة في الجزيرة قبيل البعثة .

قام اليمينيون في القديم إذاً بنقل المتاجر بين بلاد العرب والبلاد
المجاورة وظل ذلك دأبهم على اختلاف دولهم في الأزمان التي تقدمت
القرن السادس الميلادي ، فاستأثروا بتجارة الجزيرة مع غيرها من
الممالك ، يحملون التمر والزيب والأدم والبخور والحجارة الكريمة
والمسوجات من مواطنها ثم يستبدلون بها بضائع أخرى ، مع
ما يصنعون هم أنفسهم من الأطياب والعمور التي يتخذونها في بلادهم
ويبيعونها في أسواق العالم القديم : آسية وإفريقية وأوربة . فكانوا
حيناً غير قصير مشرفين على تجارة العالم كله .

وقد نشأت مع الزمن وسط هذه الطريق التي كثيراً ما سلكوها
قبل الميلاد ، محطتان تجاريتان عظيمتان هما مكة والمدينة ^(١) . وعظم

(١) وقبل هذا الزمن ازدهرت تيباء وأبلة (العقبة) وطلع شمالي الحجاز
فكانت محط القوافل الكبرى ومراكز ممتازة للتجارات وبيوت المال ، منها
يسوق العالم الروماني واليوناني معظم ما يحتاج إليه .

أمرهما وصار أهلها يشاركون في الاتجار قبائل اليمن . فلما كانت
القرن السادس انتقلت التجارة من أيدي اليمنيين التدريج ، الى قريش
القبيلة المكية التي ارتفع أمرها وقويت ونشطت وبدأت تحل محل
الأولين في الاستئثار بتجارة جزيرة العرب ، ولا سيما عند اضطراب
الأمن وتعذر المرور على الأحباش والأنباط ، وكان وقوع الحروب
والأزمات والمنافسات بين فارس والروم من أعظم العوامل في نشأة
التجارة المكية وازدهارها . إلا ما كان من تجارة فارس ، فإنها بقيت
في أيدي عرب الحيرة وهم يمانون .

كانت أقطار العرب غير متساوية في الخصائص والمرافق ، فبينما
نجد نجداً أرضاً قاحلة رملية لا زراعة لأهلها ، نجد في اليمن مزارع
خصيبة تفيض بالخير الواسع . ونجد بعض مدن الحجاز مكة تشبه نجداً
في جذبها وبعضاً آخر فيه مزارع ونخيل كالمدينة والطائف وان لم
تكونا بدرجة اليمن ، قال الألويسي : « وأما أهل اليمن وعمان
والبحرين وهجر فكانت تجاراتهم كثيرة ومعاشهم وافرة ، لما في
بلادهم من الخصب والرخاء والذخائر المتنوعة والمعادن الجيدة وغير
ذلك من أسباب الثروة والغنى . وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في
الثروة والتجارة لما ان تعال على أرضهم الرمال فكانت بلادهم دون

بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة . « على أن لطيه
ومنازلها أواسط نجد شهرة في الاتجار شمالي جزيرة العرب هذا عدا
أخلاقاً من أمم شتى تتسرب تجارهم الى الجزيرة ، وأكثر هؤلاء هم
الأنباط فقد بقوا حتى بعد ظهور الاسلام يجلبون الزيت من الشام
الى المدينة .

ولا بد لنا من التنبيه على حدة : الى العنصرين التجاريين اللذين
عملوا في بلاد العرب وهما الأنباط واليهود ، فقد كان الأولون
يختلفون بين بلاد الشام والحجاز والعراق في الجاهلية . وكان أكثر
ما يحملون من بضائع على ما علمت الزيت والدرمك « دقيق الحواري^(١) »
يحملونها من الشام الى الحجاز والى العراق ويرجعون من هذين القطرين
بالأدم والتمر وغيرهما من الحاصلات ، فكانوا يشاركون القوافل
العربية في تجارتها و يقيمون لأنفسهم أسواقاً في البلاد العربية ذاتها ؛
فابن سعد يذكر أن هاشماً في بعض أسفاره الى المدينة « نزل
بسوق النبط فصادف سوقاً تقوم بها في السنة يجشدون لها .^(٢) » ولما

(١) الحواري : لباب الدقيق وكل ما حوّر أي بيّض من طعام .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٥ ، وانظر شرح المواهب ج ٣ ص ٢٣

كانت الفتوحات والغزوات قام الأنباط التجار بمهمة نقل الأخبار بين الشام والحجاز (١).

وأما اليهود فقد كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة وصيت بعيد كأبي رافع الخيري الذي أرسل بضاعته بوساطة القوافل إلى الشام واستورد منها الأقمشة المختلفة . ويمكن أن يقال إن تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال الحجاز (٢) .

لكن شأن اليهود فاق شأن الأنباط لاستيطانهم في جزيرة العرب فاستفحل أمرهم وزاحموا السكان الأصليين على مرافقهم وكانت لهم خبرة في الزراعة والتجارة وتنمية المال فاستغنوا وبنوا لأنفسهم القرى والمزارع والحصون ، وأشهر مراكزهم العامة في المدينة وخيبر .

ومما تجدر ملاحظته أنهم بعد أن شاركهم في مغائهم التجارية

(١) ومن هؤلاء الأنباط التجار علم الرسول بتجمع الروم على الحدود فأخذ أهبطه وأخفى جهته في الغزوة المشهورة غزوة تبوك - انظر شرح الزرقاني للمواهب ٦٣/٣

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٨

أهل يثرب وخاف اليهود هذه المزاحمة وكانوا عاجزين عن التغلب على
اليثريين قوة وعبوة، لجؤوا الى الايقاع بين الحيين الأوس والخزرج
فلما وقعت العداوة واتصلت الحروب جعل اليهود يضرمون نارها
كلما خمدت، فشغلوا بعضاً ببعض وانصرفوا هم الى تجاراتهم وإنماء
ثروتهم. فلما هاجر المسلمون الى المدينة وأسلم أهلها، بغى اليهود
الغوائل لهم وصاروا يحرضون عليهم المشركين من قبائل العرب
وينقضون عهودهم للنبي، ويطعنون المسلمين من خلفهم، إزاء ذلك
رأى النبي ضرورة التخلص منهم فأجلى بني قينقاع ثم بني النضير
فحطوا بأذرعات من أرض الشام ثم تخلص من بني قريظة^(١) أيضاً،
فخلت المدينة وماحولها من جماعاتهم وتحولت تجاراتها الى أيدي
أهلها من العرب.

لا بدع في أن تكون التجارة من أول أسباب المعاش للحجازيين
فحكفوا عليها وتمادحوا بكسب المال وأخذوا يضربون في الأرض
يبتغون الرزق من هذه المهنة، فعرفوا قبل الاسلام بكثير، كثيراً
من مدن الشام كبصرى وغزة وأيلة والمشارف، ومدن العراق

(١) انظر أسباب جلاء هذه القبائل اليهودية في كتب السيرة النبوية.

واليمن وحتى مصر فقد رووا أن نفراً من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس وأهدوا له هدايا^(١) وذكروا أن ابن جدعان أتى مصر ببضاعة فباعها ورجع إلى عكاظ .

ولم يحاول انتزاع تجارتهم هذه منهم أحد، إلا ما ذكرنا من أمر الحبشة التي أرادت الاستيلاء على مكة نفسها ، المركز التجاري العظيم في جزيرة العرب . وقد رُبَّ بعضهم ما يشتريه العالم الروماني من طيوب بلاد العرب والفرنس والصين بقيمة مئة مليون من الدراهم ... وكانت صيدون (صيدا) من أشهر الأسواق العطرية^(٢) .

« ووصل المكيون قبيل الاسلام — عندما كان العداء بين الفرنس والروم بالغاً منتهاه — إلى درجة عظيمة في التجارة ، وكان على تجارة مكة اعتماد الروم في كثير من شؤونهم ، حتى فيما يترقبون به — كالحرير — وحتى استظهر بعض مؤرخي الإفرنج أنه كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للشؤون التجارية والتجسس على أحوال العرب ، كذلك كان فيها أحاييس ينظرون في مصالح قومهم التجارية^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد

(٢) مجلة المشرق (السنة ٣٥ ص ٣٢٤)

(٣) فجر الاسلام ص ١٥

واشتهر كل قطر بما يصنع أو يصدر من متاع ، فالسيوف
والبرود لليمن قال الأصمعي : « أربعة قدماء الدنيا ولا تكون
إلا في اليمن : الورد والكندر والخطير^(١) والعقيق ، وقالوا
« برود اليمن وربط الشام وأردية مصر^(٢) »

ولعل ما ذكره الثعالبي من غنى الحجاز في الاسلام ، صحيح الى حد
بعيد فيما كان عليه من قبل ، قال^(٣) : « وكان يحمل من مكة والمدينة
والحجاز كل عام الى السلطان من العنبر^(٤) ثمانون رطلاً ومن المتاع
أربعة آلاف ثوب ومن الزبيب ثلاثمائة راحلة ، وكان من أعجب
ما يأتي النجاشي من مكة الأدم^(٥) »

(١) الكندر: ضرب من العلك نافع لقطع البلغم جداً « القاموس » - أما
الخطير فنبات يختضب به .

(٢) ثمار القلوب ، ص ، ٤٢٤ - هذا وقد يجد الباحث في مطاوي الاخبار
كثيراً من الاشارات العارضة لصنوف البضائع والحاصلات التي عرف بها كل
قطر من مثل قول ابن عساكر في ترجمة طلحة : « روى ابن سعد أن رسول
الله ﷺ لما ارتحل الى المدينة لقيه طلحة جائياً من الشام في غير ، فكسا
رسول الله وأبا بكر من ثياب الشام ، وخبره أن من بالمدينة من المسلمين
استبطؤوه .. الخ - تهذيب ابن عساكر ٧٣/٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢٦

(٤) مدح الاعشى سلامة ذافائش فأعطاه كرسياً مدبوغة مملووة عنبراً ،
فباعها الاعشى بثلاثمائة ناقة حمراء - الاغانى ٩/١٢٥ طبعة دار الكتب .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٣

ويذكر آخرون أن مكة أصبحت أكبر سوق للرقيق^(١)
هذا وهناك أيضاً بلدان اختصت بضرب من العروض أو
الصناعة فتقصد لما عرفت به كالطائف فإنه يحمل إليها الأدم فيدبغ
فيها ، قال الهمداني : « الطائف مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ ،
يدبغ بها الأهب الطائفية المعروفة .^(٢) » ثم يصدر عنها إلى الحبشة
وغيرها ، وكهجر والبحرين حيث التمر الجيد المنقطع النظير ، وكالشم
ومشارفها حيث يحمل الزيت والزيب والخمر وغيرها .

ومما ضمن استمرار الحركة التجارية الداخلية والخارجية في جزيرة
العرب ، اختلاف أقطارها هذا الاختلاف في المحصول الصاد
والوارد وما أحسن قول الهمداني في ذلك :

« ولولا أن الله عز وجل خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى
كل إقليم من الأقاليم بشيء منه غيرهم ، لبطلت التجارات وذهبت
الصناعات ، ولما تقرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب
الشراء والبيع والاخت والعطاء . إلا أن الله أعطى كل صقع في
كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا .

(١) مجلة المشرق : السنة ٣٥ ص ٨٣ فما بعد

(٢) الإكليل ج ٨ ص ١٢٠

ويستمع قوم بامتعة قوم ليعتدل القسَم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : « نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا »^(٢) ، وقال الله تعالى : « وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا »^(١) اهـ

★ ★ ★

مما يجب أن يقف عليه النظر والتأمل إشارات عارضة في صدر جدل القرآن الكريم لمشركي مكة ، فإن التأمل ليجد فيها دلالات بعيدة على عظم ما شغلت أمور التجارة من أفكارهم وخواطرهم ، وذلك عند مثل قول الله : « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »^(٣) ، فالمفسرون يذكرون في سبب نزول الآية أن المشركين قالوا : « لم لا يوحى إليه ربه أثمان السلع فنشتريها حين ترخص ونبيعها حين تغلو فتزداد أموالنا .. »

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣٢

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٠ . كتاب البلدان « ليدن » ص ٢٥١

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٨٨ وانظر الكلام عليها في : لباب النقول

في اميابه النزول للسيوطي وتفسير الخازن وغيرها .

هذا ولم يخفف الإسلام كثيراً من شغف العرب بالتجارة^(١) فقد استمروا فيه على ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإذا استثنينا فترة الفتوح التي شغلتهم كانت أحداثهم التجارية في الإسلام امتداداً لأحداثهم في الجاهلية مع مراعاة الظروف التي تغيرت كل التغير وشغل القرشيين بالجهاد فكان منهم عمال ومنهم قواد ومنهم قضاة الخ ... وخير ما يدلنا على بقاء ولوع القوم بالتجارة آية الجمعة :

كان المسلمون يجhezون العير إلى الشام - كما في الجاهلية - فنذهب بأموالهم ومتاعهم فنباع هناك ثم نحمل إلى الحجاز فتأتي المدينة ، وكانوا يستقبلونها بالطلب والتصفيق فرحاً بها ، فذكر المفسرون أن دحية بن خليفة الكلبي رجع مرة بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة على منبر مسجد المدينة ، فاستقبلها الناس كهعادتهم

(١) جاء في الفائق للزمخشري : « قال قيس بن أبي غرزة : كنا نسمى السهارة على عهد رسول الله ﷺ ، فأنا ونحن بالبيع ، فها هنا باسم هو أحسن فقال : « يا معشر التجار » فاستمعنا إليه فقال : « إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشربوه بالصدقة » اهـ

فلعل (السهارة) كانت تطلق على صنف من مزاويلي بعض أعمال التجارة الصغيرة كما تطلق لهذا هذا ، ولكن الرسول كان من خلقه أن يخاطب الناس بما يحبون .

بأنفوح والطبول والتصفيق ، وخشي المصلون أن يسبقوا الى العير
فيفوتهم الربح فتركوا الرسول يخطب وبادروا اليها في البقيع ولم يبق
مع الرسول إلا اثنا عشر رجلاً فأُنزل الله تعالى في ذلك :

« وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
قَائِمًا » . (١)

وفي القرآن الكريم إشارة الى فاصل تاريخي في حياة مكة
التجارية ، وذلك حين نزل قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » . (٢)

فلما حرم دخول مكة على المشركين سنة تسع للهجرة خشي
الناس الفقر بسبب انقطاع تجارة المشركين عنهم في المواسم ، فوعدهم
الله بغني عن غير طريق التجارة ، فكان العوض - على ما ذكر المفسرون -
في المغنم والفتوح العاجلة .

(١) سورة الجمعة ، الآية ١١

(٢) سورة التوبة ٩ الآية ٢٩

كان لا بد من أن تدخل أحوال العرب التجارية في طور جديد فاهتم الاسلام بأمر تجارتها وشرع لهم فيها ما يحتاجون إليه ، وطفح الحديث الشريف بأحكام البيع والشراء والاحتكار والديون والربا الخ... وعني الخلفاء بعد الرسول عناية خاصة بالتجارة بعد أن هدأت مشاغل الفتوح أيام ابي بكر وعمر وعثمان ، ولناحظ أن فترة الفتوح نفسها لم تكن لتخلو من الاتجار حتى من عمال الخليفة أنفسهم ، وهذا خير ما يفسر لنا حرص القوم على حرفتهم ، واشتد عمر على عماله فلم يقبل منهم الاشتغال بالتجارة أبداً وصار يؤاخذ كل من فشا لهم غنى في قومهم فيدقق عليهم فإن اعتذروا بتجارة تجروها فربحوا منها صادرهم ولم يلق لعذرهم بالاً ، و كأنه يقول لهم: بهتكم عمالاً ولم أبعثكم تجاراً .

ومن حسن الاتفاق أن الخلفاء الثلاثة الأولين كانوا تجاراً ، فأبو بكر وعثمان كانا بزازين ، وعمر تجر في الجاهلية واستغنى في غزاة ، وكان مبرطشاً [يكتري للناس الإبل والحمير يأخذ عليه جُملاً]^(١) أما علي فلم نعرف أنه تجر وقد ظهر الإسلام وهو صبي ومع هذا فقد

(١) انظر مادة برطش في (تاج العروس)

كان على علم من التجارة وأحوالها لأنها مهنة قومه جميعاً ولما ولي الخلافة لم يكن يجهل خطر التجارة وقيمتها . ومن الطريف حقاً أن ننقل بهذه المناسبة مرسوماً أصدره إلى عامله الأشر في التجار والصناع فإنه يدل على إحاطته بأسرار التجار وأخلاقهم ويعلمنا من جهة ثانية منزلة هذه الطبقة بين بقية الطبقات وما كان يعلق عليها من مهام ، قال من كلام له للأشتر :

ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً ،
المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق بيده ، فإنهم مواد المنافع
وأسباب المرافق وجلايها من المباعد والمطارح ، في برك وبجرك ،
وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها .
فإنهم سلّم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً
فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك
باب مضرّة للعامة وعيب على الولاية ، فامنع من الاحتكار فإن
رسول الله ﷺ منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين
عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف

حُكْرَةٌ بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَكُلُّهُ بِهٖ وَعَاقِبُهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ ^(١) .

* * *

ولنا أن نستأنس بشيء آخر له خطره في الدلالة على ما شغلت
التجارة من حياة العرب وأفكارهم واهتمامهم ، وذلك هو اللغة
والأشعار والأمثال فإنها تكشف لنا الى حد بعيد ما كان عليه القوم
من عادات وأحوال : وأول ما نلاحظ في هذا الباب غنى اللغة
بالألفاظ التي تتعلق بالاسفار وما إليها من حط وترحال ونزول على
الماء ووصف لدواب السفر وضروب سيرها ولسنا مبالغين اذا قلنا
إن أكثر القصائد في الجاهلية والإسلام يفتتحها صاحبها بذكر رحلته
وما لاقى فيها هو وراحلته من التعب والشقاء والضيق والعطش
والجوع ، عدا ما هناك من ألفاظ كثيرة تتعلق بالبيع والشراء والصفقة
الراجعة والخاسرة . ولما كانت الخلافة ، لم يجد العرب لفظاً يدلون به
على بذل الطاعة للخليفة غير المبايعة ^(٢) فاشتقوا لهذه الحال المستجدة

(١) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٣٩

(٢) اتباعاً للقرآن الكريم حين عبر بهذه الكلمة التجارية عن معاهدة الصحابة
رسول الله يوم الحديبية على الثبات وعدم الفرار بقوله : « إن الذين يبايعونك =

كلمة من كلمات التجارة التي كانت الشغل الشاغل لهم . ونظرة واحدة الى مادة « باع » مثلا في اللسان أو التاج توضح لنا المواضع التي استعيرت لها هذه الكلمة لتشبه أحوالا مختلفة بحال من حالات البيع والشراء فقالوا مثلا :

« بايعه بالخلافة ، وأخذ منه البيعة ، وباعه من السلطان اذا سعى به إليه ... الخ .

وكذلك اذا نظرنا الى مادتي « سام » و « سوق » وأمثال قولهم : نفقت السوق إذا راجت ، وانحملت اذا كسدت . وبعته ناجزاً بناجز ويبدأ يبدأ أفاظ أخرى سيمر بعضها بك حين الكلام على بيوع الجاهلية .

وهذا القالي قد عقد في أماليه فصلا في « ما يقال في وصف الرجل لا يملك شيئا ^(١) » من مثل قولهم : ماله سبَد ولا لَبَد ، ومطلباً

= إنما يبايعون الله .. ، سورة الفتح ١٠/٤٨ وسميت البيعة ببيعة الرضوان وهناك أيضاً ببيعة النساء : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا ... فبايعهن واستغفر لمن الله . » سورة المتحنة ١٢/٦٥

آخر فيما يقال « لمن يصلح المال على يديه ^(١) » كقولهم : هو ترعية مال ، محجن مال .. الخ . وقرأ ان شئت الفصل الذي كتبه في « دعاء العرب ^(٢) » فستجد جملاً كثيرة في حرمان من يدعون عليه من ضروب المال .

أما الأمثال التي تتعلق بأمورهم التجارية وأحوالهم فيها فكثيرة وإليك طائفة منها تمثل لنا شيئاً من تجاربهم وأحوالهم في أسفارهم :

عند الصباح يحمد القوم السرى - لا تدرك الراحة إلا بالتعب -
قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها - أن ترد الماء بماء أكيس -
لا ير حل رحلك من ليس معك - إن يدم أظلك فقد نقب ^(٣) خفي - إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ^(٤) .. الخ .

وأكثر من هذا ما أرسلوه في المال نفسه وفي السعي للرزق وفي الربح والخسارة والبيع والشراء فإنهم يستعيرون ألفاظها لكثير من أحوالهم كما في هذه الأمثلة :

الحمد مغنم والذم مغرم - خير مالك ما نفعتك - لم يضع من مالك

(١) ج ٢ ص ٣٢٢ (٢) أمالي القاضي - النوادر ص ٧٥٠٥٥

(٣) الأطل : ما نحت منسم البعير ، وأخفاقه قوائمه ، والمعنى : أشكو من

مثل ما تشكو .

(٤) الذي يجد في سيره حتى ينقطع أخيراً عن أصحابه في السفر ، الظهر : الدابة

ما وعظك - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - من العجز تُنجت الفاقة -
كلب طواف خير من أسد رابض - حظ جزيل بين شذقي ضيغم -
افتح صدرك تعلم عَجْرُك^(١) - لا ترسل الساق الا ممسكاً ساقاً - كمستبضع
التمر إلى هجر - ما عنده خير ولا ميسر - سواء هو والعُدْم - البضاعة
تيسر الحاجة ومن اشترى فقد اشتوى - إن الجواد عينه فراره - أعطاه
اللقاء خير الوفاء - أحشفاً وسوء كيلة - أخسر صفقة من شيخ مهو^(٢) -
صفقة لم يشهدا حاطب الخ^(٣) .

أما الحث على السفر في طلب المال فقد استفاض في أشعارهم
جاهليين وإسلاميين ولست بحاجة إلى أن أشير إلى ما قالوا في فوائد
المال من حِكْمٍ وما يصون المال من حَسَبٍ ويوجب من هيبة فأمره
معروف ؛ وما أكثر ما قالوا في هذا الموضوع من مثل قول عروة
ابن الورد :

(١) العُجْرَة : العقدة وشبهها ، والعُجْر : العيوب

(٢) هو من عبد القيس اشترى عار الفسور من إيادي (وكانت إيادي تسمى
به) يردن ف ضرب بصفقته المثل وسيأتيك خبرها في أحداث عكاظ .

(٣) حاطب بن أبي بلتعة كان حازماً فظناً في أمور البيع ؛ فباع بعض
أهله في غيبته ببيعة عُثْبَنٍ فيها ، ف ضرب هذا المثل لكل أمر يُبرم دون
حضور ماهر فيه - انظر مجمع الأمثال للميداني ٢٦٦/١

ذريتي للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وقوله :

دعيني أطوف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لذي الحق محمل
وقول الآخرين :

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدثنان ،
سأكسب مالاً أو أموت ببلدة يقل بها قطر الدموع على قبوري ،
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح ،
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا الخ
ويذكر المشتغلون باللغات القديمة السامية وغيرها قضية الكلمات
الأجنبية الأصل في اللغة العربية ، وقد أداهم بحشهم الى ان اللغة
الفارسية والحبشية والآرامية « كانت لغات العلائق التجارية أيضاً
فإن تجار مكة مثلاً كانوا يتجرون مع الآراميين في دمشق ، ومع
الفرس في الحيرة والمدائن ، ومع سبأ وحمير في اليمن ، وقوافل هذه
الأقوام كانت تجتاز جزيرة العرب من جهة الى أخرى ^(١) » ويعدد

(١) ص ١٤٣ من سلسلة محاضرات (التطور النعوي للغة العربية) ألقاها
سنة ١٩٢٩ بجامعة المصرية الاستاذ (برجستراسر) أستاذ اللغات السامية بجامعة
ميونخ بألمانيا .

هؤلاء الباحثون هذه الكلمات فإذا في أولها كلمات تجارية وهي أسماء البضائع التي يجلبها التجار من بلاد الفرس من مثل : « الصنج والصولجان والفيل والجاموس والمسك وخصوصاً أنواع النسائج كالديباج والاستبرق والإبريسم والطيلسان .. الخ »^(١) .

ولا ريب في ان اختلاط القوافل والتجار العرب منذ الزمن الاقدم بعرب الشام وغيرهم سرب الى اللغة العربية كثيراً من الكلمات اليونانية التجارية والحضارية ، حتى أتى عهد الجاهلية وكانت هذه الكلمات قد تعربت وصقلها الاستعمال الطويل ، وقد عد أحد الباحثين عشرات منها لا يظن لأول نظرة عجمتها مثل :

إفليد (مفتاح) واقليم وإكسير وبرج وبيطار وبوص (حرير أبيض) وترف وجزية ودرم ودكان ودمقس ودينار وزبرجد وزنار وسرق (شقة حرير) وسفود وسفين وسندس وسير (قدة جلد) وسيمياء وطاروس وفرصة وفض وفندق وقارب وقالب وقرابوس وقرنفل وقصدير وقلس (حبل السفينة) وققم وقميص وقنب وقنينة وكركي وكوب وكورة وكيس ولص ومرجان ومصطبة ومنجنيق ومنديل وناقورة وقاموس ونقرس ونوتي وياقوت ويانسون (آسنوت)^(٢) .

(١) المصدر السابق ص ١٤٣

(٢) سره هذه الكلمات بهذا الترتيب المعجمي بشدي جوزي ، انظر بحثه بعنوان (بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية) في مجلة مجمع اللغة العربية ٣/٣٣٠

بل مالنا لانعمد إلى القرآن الكريم نفسه وفيه على ذلك أوضح الأدلة : يقرب لهم المعاني بما تفيض به حياتهم ويضرب لهم الأمثال على الضلالة والهدى والمؤمنين والكافرين من التجارة نفسها، فهو يقول في المؤمنين المطيعين الذين أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة : إِنَّهُمْ « يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ »^(١) ويشبه الذين شفقتهم الضلالة عن الهدى بالخاسر في تجارته فيقول :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ »^(٢) ، « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ »^(٣) ، « بِمَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ »^(٤) .

ومدح آخرين سعوا في مرضاة الله فقال : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ »^(٥) ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

(١) سورة فاطر ٢٥/٢٩

(٢) سورة البقرة ٢/١٦

(٣) سورة البقرة ٢/٨٦

(٤) سورة البقرة ٢/٩٠

(٥) سورة البقرة ٢/٢١٧

بِئَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(١)»

ولأن التجارة والبيع أهم ما يشغل العرب لم يذكر الله غيرهما من المشاغل حين أثنى على أناس لا يغفلون عن ذكره فقال: «رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢)» .

وقال في تأنيب الذين اشتغلوا بالتجارة عن الصلاة: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا^(٣)» .

ولما أراد تشويق قوم الى الايمان قال:

«... هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ

الْأَلِيمِ: تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ...^(٤)»

وكثيراً ما تكرر كلمات التجارة والربح والخسران في القرآن.

وأحسب أن هذا القدر كاف في بيان الحيز الذي شغلته التجارة

من حياة العرب في جاهليتهم واسلامهم حتى ان صعصعة بن صوحان

لم يذكر للعرب من الحرف غيرها . جاء في أمالي القالي: «قال معاوية

لصعصعة بن صوحان: «صف لي الناس» فقال: «خلق الناس

(١) سورة التوبة ١١٢/٩ (٢) سورة النور ٣٧/٢٤

(٣) سورة الجمعة ١١/٦٢ (٤) سورة الصف ١١٠/٦١

أخياًفاً : فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ، وطائفة خطباء ، وطائفة للباس والنجدة ؛ ورجرجة بين ذلك يكدررون الماء ويغلون السعر ويضيقون الطريق^(١) .

ولعلك تتساءل بعد هذا قائلاً : إن التجارة تستلزم إلماماً بقيود وحسابات والعرب أمة أمية لاتقرأ ولا تحسب فكيف كان ذلك ؟ والجواب ان هذا الحكم على العرب حكم على مجموعهم لا على جميعهم^(٢) :

(١) ج ١ ص ٢٥٧ والاختلاف الاغلاط . والرجرجة شرار الناس ورفذاتهم
(٢) ومع هذا فقد كان العرب وتجارهم خاصة نقلة ثقافة تاريخية سياسية ،
جاء في طبقات الامم لصاعد (ص ٦٩) : قال ابو محمد الهمداني : ليس يوصل
الى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم ؛ وذلك ان من سكن بمكة
من العماليق وجرهم وآل السبيدع بن هونة وخزاعة أساطوا بعلم العرب العاربة
والفراعين العاتية وأخبار اهل الكتاب . وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون
أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الاعاجم من عهد أسعد
أبي كرب وبختنصر حروا على الاعاجم وأخبارهم وأيام حمير ومسيرها في
البلاد ، وعنه صار أكثر مارواه عبيد بن شربة ومحمد بن السائب الكلبي والهيثم
ابن عدي ، وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خيرهم بأخبار الروم
وبني اسرائيل واليونانيين ، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإبادفمنه أتت أخبار
طسم وجدبس ، ومن وقع من ولد نصر من الازد بعمان فعنه أتى كثير من
أخبار السند والهند وشي . من اخبار فارس . ومن وقع بجبلي طيء فعنه أتت
أخبار آل أذينة والجرامقة ، ومن سكن باليمن فإنه علم أخبار الامم جميعاً : =

فمنهم من كان يقرأ ويكتب ويحسب، وقد تعلم القرشيون الكتابة منذ القديم في الحيرة والأنبار، وكذلك فعل أهل الطائف. وسترى في أحداث عكاظ أن عمرو بن الشريد دعا فيها بصحيفة وكتب وسجل على نفسه صكاً أشبه بسند التمليك (طابو) الذي نألفه اليوم. كان هناك إذن صحف وكتاب وصكوك عند العرب وعند اليهود؛ بل إننا لنجد في آيات سورة البقرة الأخيرة ما يجعلنا نذهب إلى معرفة العرب بتقيد المعاملات التجارية، وليس من المعقول أن يخاطبهم الله بشيء لا يألونه من الإملاء والكتابة بالعدل وإشهاد الشهود في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» الخ. (١)

= لأنه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملوك السيادة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال. ولم يكن ملك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها. هـ ا .
وإذا تجاوزت عن جانب المداغة في هذا الكلام بقي لك أن العرب لم تقتصر فائدتهم في ترحالهم على الاتجار، بل كانوا يستفيدون من رقي أهل الحضارات المجاورة ويحلمون عنهم آثاراً من تقدمهم وثقافتهم.

وفوق هذا كله كان لهؤلاء العرب ذوي الملكة التجارية الراقية اهتمام بما حولهم من الاقطار التي يتاجرون فيها ومراقبة لما يجري هناك من أحداث ، دفعهم إلى ذلك طبيعة التجارة وما تتطلب من درس وإلمام بالأسواق وأمنها وأحوال المسيطرين على شعوبها ، وأنت تعرف ذلك من الحرب التي كانت بين الفرس والروم في مشارف الشام قبل الهجرة بست سنين وكيف كان مشركو مكة فرحين بانتصار الفرس إذ كانوا مثلهم غير ذوي كتاب ، وقد شتموا بهزيمة الروم إذ كانوا كالمسلمين أتباع كتاب سماوي ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الظاهرة ظاهرة اهتمام المكين بما يجري حولهم من شؤون الفرس والروم في الآية الكريمة أول سورة الروم :

« غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَضْعِ سِنِينَ ، اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »
وأدنى الارض : بصرى وأذرعات وهما سوقان من أسواق العرب .

والتجار منذ القديم نقلة ثقافة من حيث لا يشعرون^(١) فيجب

(١) ذكروا : أن قصص لافونتين نقلت إلى أوروبا على ألسنة التجار والمسافرين . انظر (مجلة الرسالة : السنة الخامسة ، ص ٥٠٣٥)

أن يحسب حسابهم فيما يكون بين الشعوب من تمازج وتفاعل ، وليس العرب يبدع بين الشعوب ، فقد أفادوا من اتجارهم واختلاطهم بالرومان والفرس وخضعوا لما يخضع له غيرهم من آثار الاختلاط وكثرة العلائق حتى إننا لنرى أسماء رومانية ^(٢) وفارسية تخللت لغتهم . ولنا أن نجد انتشار النصرانية في الشام والمجوسية في العراق واليمن أثراً من آثار التجارة فقد ذكروا ان « تنصر العباد بالحيرة لكثرة ترددهم الى بلاد الروم للتجارة » ^(٣) .

وستعلم بعد قليل أن العرب وقریشاً خاصة أحسنوا العلائق مع دولتي فارس والروم إذ كانت تجاراتهم الى بلاد تحت سيطرة هاتين الدولتين أو نفوذهما ، فالشام ومصر ولايتان رومانيتان ، والحبشة على على علائق خاصة بالرومان . والعراق واليمن تحت سيطرة الفرس ، والعرب تتاجر صيفاً الى مصر والشام والعراق وشتاء الى اليمن والحبشة .

هذا مجمل ما أردت أن أعرض له من بيان اهتمام العرب في التجارة

(٢) في كتاب (أمثال الضبي وأمرار الحكماء - طبع الجوائب) ما يفيد

أن (دخنتوس) من أسماء العرب انظر ص ٦

(٣) تاريخ ملوك الحيرة للأعظمي ص ١٤٠

ولم أقصد فيه إلى شيء من التطويل لأن الكتاب ليس في تاريخ تجارة العرب وإنما هو في أسواقها والتجارة أحدمواضيع الاسواق ، وحسبها هذه الإمامة الموجزة نمهد بها قبل الشروع في الموضوع لتمتم لنا الصورة التي نريد أن يتمثلها القارئ مستوفاة في غير نقص ولا زيادة .

بيوع الجاهلية

ألف العرب في جاهليتهم أنماطاً خاصة من البيع يتخذونها في أسواقهم ، وهي في جملتها مما يثير استغرابنا ودهشتنا لأن أكثرها مما يُغبن فيه البائع أو المبتاع . وتصور لنا تلك البيوع ما كان عليه تفكير فريق منهم . ولا بد من التنبيه إلى أنها لم تكن تتخذ في جميع الأسواق ، بل منها ما تمتاز به سوق من سوق وجماعة من جماعة ، وإليك ما عثرت عليه من بيوعهم :

١ - الرمي بالحصاة (أو الفاء الحجارة) :

ذكروا لهذا البيع صوراً كثيرة تجري في سوق دومة الجندل منها :

١ - أن يقول أحد المتبايعين للآخر : « ارم هذه الحصاة ، فعلى

أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم .^(١) »

٢ - أن يقول البائع : إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع « منك بكذا . فيجعل الرمي بالحصاة نفسه بيعاً .^(٢) ، أو يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول « أي شاة أصابتهافي لك بكذا .

(١) بلوغ الأرب للأوسي . (٢) شرح مسلم ٣٥٥/٦

٣ - أن يقول : « بعثك من السلع ماتقع عليه حصاتك » أو
« بعثك من الأرض الى حيث تنتهي حصاتك ^(١) »

٤ - أن يقبض المشتري على كلف من حصى ويقول : « لي
بعدد ماخرج في القبضة من الشيء المبيع ^(٢) » .

٥ - أن يبيعه ساعة ويقبض على كلف من حصى ويقول : « لي
بكل حصاة درهم ^(٣) » .

٦ - أن يقول للمشتري : « بعثك على أنك بالخيار إلى أن أربي
بهذه الحصاة فإذا نبذتها وجب البيع ^(٤) » .

٧ - « أن يجتمع نفر منهم على السلعة يساومون بها صاحبها
فأيهم رضي ألقى حجره .

وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بدأ من أن يشتر كوا
وهم كارهون ، وربما (اتفقوا) ^(٥) فألقوا الحجارة جميعاً (اذا كانوا
عدداً على أمرينهم ^(٦)) فيؤكسون صاحب السلعة اذا تظاهروا عليه .

(١) لسان العرب وتاج العروس . (٢) بلوغ الأرب

(٣) المصدر السابق وشرح مسلم

(٤) الزيادة عن كتاب الخبر لمحمد بن هيب ص ٢٦٤ وقد طبع سنة

١٩٤٢ بعد صدور الطبعة الأولى لكتابنا هذا بست سنين . ولا شك أن

المرزوقي قد نقل عبارته .

انفرد بهذه الصورة الأخيرة المرزوقي في كتابه « الأزمنة
والأمكنة » (٢ : ١٦٢) نقلاً عن محمد بن حبيب فيما أظن ، وسمّاها
إلقاء الحجارة بدلاً من رمي الحصاة ونص على شيوعها في سوق
دومة الجندل .

أقرب هذه الصور الى الرضى أن يكون رمي الحصاة إيذاناً
بوجوب البيع وانقطاع الخيار . أما بقية الصور فهي من بيع الغرر
وهي إن القمار أقرب وبه أشبه ، وقد عد الاسلام هذه البيوع فاسدة
كلها لما فيها من الجهالة والضرر بالبائع او المشتري .

٢ - المنازعة :

ولهم في هذا النوع من البيوع ثلاث صور :

١ - أن تقول : « انبذ إلي الثوب او انبذه اليك وقد وجب البيع

بكذا وكذا » ^(١) فيكون النبذ إيذاناً بالبيع وقطعاً للخيار .

٢ - أن يرمي الرجل الى الرجل بثوبه وينبذ الآخر اليه ثوبه ولم

ينظر واحد منهما إلى ثوب صاحبه فيكون ذلك بيعهما عن غير نظر

ولا تراض ^(٢)

(١) القاموس المحيط : مادة (نبذ) (٢) شرح مسلم ٣٥٦/٦

٢ - نبذ الحصة وقد تقدم

يقال في هذا البيع ما قيل في رمي الحصة وقد نهى الاسلام عنه وأبطله .

٣ - الملاسة :

وهي على أوجه ثلاثة :

١ - أن يأتي البائع بثوب مطوي ، أو في ظلمة فيأمره المستام فيقول له صاحب الثوب : « بعته بكذا بشرط أن يقوم المسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيتة . » ^(١) فلا يقاب المشتري الثوب لا ليلاً ولا نهاراً .

٢ - أن يجعل المتبايعان اللبس نفسه بعباً بغير صيغة ، كما تقدم في المنابذة ورمي الحصة .

٣ - أن يجعل اللبس شرطاً في قطع خيار المجلس وغيره .

وقد ألحق الاسلام هذه الصور بسابقتها وأبطلها ونهى عنها فقد

جاء في صحيح مسلم : « نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين : الملاسة والمنابذة ^(٢) » .

(١) المصدر السابق

(٢) وانظر أيضاً تيسير الوصول ١ / ٦٢ ، ٦٣

وذكر الألويسي مع الملامسة الإيحاء والهمهمة (وهي الكلام الخفي وكل كلام معه مجح) وعلل اتخاذهم لها بخوف الحلف والكذب . وهو طريف في الأقوال غريب .

ثم اطلعنا في كتاب المحبر لمحمد بن حبيب على هذا النص في الكلام على سوق المشقر :

« وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة : أما الملامسة [فهي] الإيحاء : يومىء بعضهم الى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيحاء ، وأما الهمهمة فكيف يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بدا له ^(١) .

٤ - المعاومة :

أو يبيع السنين وهو أن يبيع ثمر الشجرة عامين أو ثلاثة أو أكثر . وقد أبطله الاسلام لأنه من الغرر فهو يبيع معدوم ومجهول وغير مقدور على تسليمه وغير مملوك ^(٢) .

٥ - المزايعة :

هي بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً . وكذلك

(١) المحبر ص ٢٦٥ (طبعة حيدرآباد ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢)

(٢) شرح مسلم ٦ / ٣٦٨

ثم يبيع على شجر بثمر كيلاً وقد روى صاحب القاموس : « أنه كل جزاف لا يعلم كيله ولا عدده ولا وزنه يبيع بمسمى من مكيل وموزون ومعدود ، أو يبيع معلوم بمجهول من جنسه ، أو يبيع مجهول بمجهول من جنسه ، أو هي بيع المغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن . » هـ . والمزابنة المدافعة وسمي هذا البيع مزابنة لأن أحد المتبايعين إذا ندم زين صاحبه عما عقد عليه . وسبيله في نهي الإسلام عنه سبيل ما تقدمه لما فيه من الغرر ^(١) .

٦ - المحاقلة :

هي في الزرع على نحو المزابنة في التمر فيباع الزرع القائم بالحب كيلاً . وقد نهى الرسول عن المحاقلة كما نهى عن المزابنة ^(١) .

٧ - المخابرة :

وهي - وإن كانت بالزراعة ألصق لأنها معاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثلث ونحوه من الأجزاء المعلومه - تتعلق بموضوعنا لأن أحد أعلام العربية فسرها تفسيراً يجعلها بهذا الباب أشبه . جاء في شرح مسلم للنووي : قيل إن المخابرة مشتقة من الخُبيرة وهي النصيب وقال أبو عبيدة : هي النصيب من سمك أو لحم

(١) وانظر تفسير الوصول ٥٨/١

يقال : تخبروا خُبْرَةً إذا اشتروا شاة فذبحوها وتقاسموا لحمها . وقال ابن الأعرابي : هي مأخوذة من (خير) لأن أول هذه المعاملة كان فيها اهـ . والذي يظهر أن ابن الأعرابي يشير الى المزارعة لا الى الاشتراك بالشاة الذي فسّر المخابرة به أبو عبيدة ، لأن لأهل خير أرضين وعلماً بالزراعة .

٨ - جبل الحبله :

كان يبعاً يتبايعه أهل الجاهلية : كان الرجل منهم يتباع الجزور إلى أن تُنتج الناقة وأحياناً إلى أن تُنتج التي في بطنها فإذا نُتجت حملها . فالجبل الاول يراد به ما في بطن النوق من الحمل ، والثاني جبل الذي في بطون النوق .

فنهى رسول الله ﷺ عن هذا البيع . « وإنما نهى عنه لمعنيين : (أحدهما) أنه غرورٌ وبيع شيء لم يخلق بعد ، وهو أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير أن تكون أمشي فهو يبيع نتاج النتاج . (والثاني) : أن يبيعه إلى أجل ينتج فيه الحمل الذي في بطن الناقة وهو أجل مجهول ولا يصح ، ^(١) والحبله بالتحريك جمع حابل .

(١) انظر شرح مسلم ١٦٣٥٩ ، وللنهاية لابن الأثير : مادة (حبل)

٩ - التصرية :

كان من عادة بعض العرب إذا أراد بيع شاة أو ناقة امتنع من حلبها أياماً فيحتفل اللبن في ضرعها فيعظم . فإذا كان ذلك منها عرضها للبيع فيظن المشتري أن كثرة لبنها واحتفال ضرعها عادة مستمرة لها فلا يلبث أن يتبين خطأه بعد شرائها . والتصرية الجمع ، يقال صرّى الماء في الحوض إذا جمعه . جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ « لا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر .^(١) »

١٠ - السرار :

لم أجد هذا الضرب من البيع في جميع المصادر التي بيدي ، لم يذكره أحد غير محمد بن حبيب بقوله : « وكان يبيعهم بها (أي بعكاظ) السرار ، فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء ولا يريد له الشركة في الربح .^(٢) »

وقد رجعت في هذه الكلمة إلى المعاجم التي في يدي وهي :

(١) شرح مسلم ٦ : ٣٦٠ ، البخاري (ليدن) ٣٤ كتاب البيوع رقم ٢٧

(٢) انظر كتاب الهبر ص ٢٦٧ . وقد عزوته في الطبعة الاولى الى

المرزوقي ولم يكن طبع كتاب الهبر ، فلما طبع تبين ان المرزوقي نقل عبارته ولم يعزها .

الصباح ، تاج العروس (شرح القاموس) ، لسان العرب ،
المجمل لابن فارس (نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية)
الجمهرة لابن دريد ، الفائق ، أساس البلاغة ، النهاية لابن الأثير ،
المصباح ، فلم أجد أحداً تعرض لهذا الضرب من البيوع ثم تحريت
في شروح الحديث و كتب الفقه مظنة أن أجد فيها تعرضاً له في صدد
كلامهم عن البيوع الفاسدة أو المنهي عنها فلم أظفر . إلا ما وجدت في
كتاب (المغرب في ترتيب المغرب) للمطرزي ، وعنه نقل صاحب
محيط المحيط ^(١) .

قال المطرزي :

« وفي المنتقى : يبيع السرار ان تقول : أخرج يدي ويديك ،
فإن أخرجت خاتمي قبلك فهو يبيع بكذا ، وإن أخرجت خاتمك قبلي
فبكذا ، فإن أخرجاً معاً أو لم يخرجاً جميعاً عاداً في الإخراج !؟ ^(٢) » .

(١) لم أطلع في الطبعة الأولى إلا على محيط المحيط ، والفضل في تنبيهي إلى

كتاب المطرزي الأب (بويج) من بيروت فقد تفضل وكتب لي به .

(٢) أرسل إلى الأستاذ كرنكو المستشرق المعروف عقب صدور الطبعة

الأولى يقول : ولأرجع إلى بيع السرار في عكاظ وأظن أن أمر البيع والشراء
كان سراً لا اجتماع القبائل التي بينهم عداوات ودماء في هذه السوق . وعلى هذا

تدل قصة طريف العنبري التي ذكرتها وقد كانوا يتلشون عند حضور السوق
مخافة أن يراهم عدوهم وهذا رأيي والله أعلم - أه وما زال النص على

صورة هذا النوع من البيع يعوزنا ، أما التائم الذي المع إليه المستشرق الفقيه فلا
علاقة له بنوع هذا البيع .

١١ - الناهز :

وهو البيع العام المعروف لجميع الناس بادين وحاضرين ، وذلك إذا كانت المبادلة يبدأ بيد وقالوا : يبع السوق ناجزاً بناجز أي حاضراً بحاضر .

١٢ - الجس :

نص عليه محمد بن حبيب في كتابه المحبر (ص ٢٦٦) فقال في الكلام على سوق صنعاء : « وكان يبيعهم بها الجس جس الأيدي » ولعله نوع من يبيع الملامسة المتقدم .

* * *

جرى العرب في جاهليتهم على ما علمت من أنواع البيع التي تعرض أحد المتبايعين للغيب والضرر بلا مسوغ ، فلما أكرمهم الله بالاسلام رفع عنهم ضيم الجاهلية ونهاهم عن بيع الغرر بجميع صوره وأشكاله ليكون لكل من المتبايعين محض الاختيار فلا يتم بيع إلا إذا كان واضحاً معلوماً للمتبايعين ، وبالرضى الكامل . ولقد تباع بالاسلام معاملات الجاهليين فأبطل كل ما فيه غش وضرر كما في بيع حبيل الحبلة وفي التصرية . وشرع لهم في التجارة والبيوع ما ضمن خير الناس جميعاً بانعمهم ومشتريهم ورفع عنهم الحيف الذي كان يحيق بهم مما اعتادوه في جاهليتهم .

لم يقتصر الجاهليون في تجارتهم على ما قدمنا من بيوع فاسدة وعادات ضارة . فلم يلبسوا الى ذلك مساوية لا تقل قبجاً عما تقدمها : فمنها النجش وهو ان تواطىء رجلاً اذا اراد بيعاً أن تمدحـه ، أو أن يريد الانسان أن يبيع بياعة فتساومه بها بضمن كثير لينظر إليك ناظر فيقع فيها وكذلك في الاشياء كلها ^(١) .

ومن عاداتهم المكس وهي دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية ويقال للعشائر أيضاً صاحب المكس . والمكس لغة النقص ، والمماكسة في البيع انتقاص الثمن وانحطاطه ^(٢) .

ولعل ذلك يكون بعد الاتفاق على ثمن معين قال الشاعر :

أني كل أسواق العراق إتاوةً وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
وظاهر أن المقصود بالمكس أشبه بالضرائب التي تجبها حكومات اليوم على البضائع .

وقد امتد تحكّم تجار العرب إلى القوت الضروري فكانوا يحتكرونه على الفقراء فيتلقون الركبان ويشترون منهم الطعام وربما باعوه في مكانه قبل أن يبلغ السوق وقبل أن ينقلوه . ومنهم من كان يشتري ويبيع لحساب أهل البادية فيلحق بهؤلاء الضرر البالغ لجهلهم أمور التجارة ولأنهم في كل حال مغلوبون على أمرهم ، بعيدون عما

(١) ، (٢) المخصص والقاموس .

يباع ويشترى لهم ، ولعلمهم إن حضروا البيع رفعوا عن أنفسهم بعض الحيف . فلما كان الاسلام نهى عن جميع هذه المفاسد جملة فقد جاء في صحيح البخاري ^(١) : قال رسول الله ﷺ :

« لاتلقوا الركبان ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا تناجشوا ، ولا يبع حاضر لباد ^(٢) ، ولا تُصروا الغنم . ومن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر . » وقد فسر ابن عباس قوله (لا يبع حاضر لباد) بقوله : لا يكن له سمساراً .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر : ان رسول الله ﷺ قال : « من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه ويقبضه » قال ابن عمر : « وكنا نشترى الطعام من الركبان جزافاً (اي بلا كيل ولا وزن ولا تقدير) فنهانا رسول الله ﷺ ان نبيعه حتى ننقله من مكانه . »

ثم شرع لهم السهولة في المعاملة والتبيين في البيع كما في حديث : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما . »

وهناك مبيعات خاصة لأهل الجاهلية حرمتها الاسلام وحرمت

(١) طبع ليدن ٣٤ كتاب البيوع ٢٧

(٢) للحديث زيادة من رواية جابر : دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض

ثمنها ، أهمها الخمر ، فسيأتي ان الخمر من اهم ما كان يتجر به العرب وقد
اشتهرت مدن معينة في الجاهلية بخمرها الطيب اللذيذ ، ولا مندوحة
عن ذكر غزوة وأذرعات وأندرين وهجر والحيرة .. وغيرهن من
البلدان التي تحمل خمرها قوافل العرب التجارية وقد قال الشاعر :

إذا ذقت فإها قلت طعم مُدَامَة

مُعْتَقَةٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ التَّجْرُ (١)

وهي مورد تجاري عظيم لم يكن يستغني عنه العرب ؛ فلما حرم
الله على المسلمين الخمر حرم أيضاً ثمنها حسماً للداء ، فلا يجوز بيعها
ولا شراؤها كما نهى عن ثمن بقية المحرمات فقي صحيح البخاري :
« نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن . »
و « أن رسول الله ﷺ حرم بيع الخمر والميتة والخنزير
والأصنام (٢) » وعن عائشة قالت : « لما نزلت آخر البقرة قرأهن النبي
في المسجد ثم حرم التجارة في الخمر . »

لكن التجارة الممقوثة جداً ، التي يصم عارداً بعض أهل الجاهلية هي
البغاء : كانوا يؤجرون إماءهم للرجال ويأخذون هم ما يكتسب
لهم جواريتهم من هذا الكسب المرذول . واستمرت هذه العادة حتى

(١) التجار (٢) كتاب البيوع (٤٣) طبعة ليدن

جاء الاسلام وكانت الهجرة . ذكر المفسرون أن لعبد الله بن أبي بن سلول جاريتين يقال لهما مُسِيكَة ومُعَاذَة ، وكان يكرههما على الزنى لضريبة يأخذها منهما (وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية) . فلما جاء الاسلام قالت مُعَاذَة لمسيكَة : « إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين : فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه ، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه . » لكن عبد الله هذا قال لهما : « ارجعا فازنيا . » فقالتا : « والله لا نفعل ، قد جاء الاسلام وحرم الزنى . » فأتى رسول الله ﷺ وشكنا إليه أمرهما فأنزل الله هذه الآية :

« وَلَا تَكْرِهْهَا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْمُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١) . »

ربا الجاهلية

لست هنا بصدد بيان الربا وأنواعه ومضاره على التجارة والعمران والأخلاق ، وما يعقب من خراب البيوت وتقويض الأسر وفقدان الثروة والشقاء والدمار ، فذلك معروف أمره ، مستوفى شرحه في مظانه من كتب الحديث والتفاسير ، عدا ما يعاين الناس في حياتهم من شروبه على المرابين أنفسهم قبل غيرهم ، فحوادثه نشاهدها في كل يوم بالعشرات . وإنما أريد الإشارة الى ما استفاض منه في الجاهلية حتى أتى الاسلام فاجتثه من جذوره .

يرجح أن الذي أشاع الربا في جزيرة العرب هم اليهود الطارئون عليها ، الذين اتخذوا من بعض قرانا ومدنها مستعمرات عاجلوا فيها الزراعة فأصابوا منها الغنى ولم يكن لعرب الحجاز فيها كبير نصيب . فكان العربي إذا أعوزته المال اقترض ورهن عند داتته درعه أو ثيابه أو سلاحه ، وأحيانا تشتد به الحاجة ويشتط الدائن فيرهن ولده .

إلا أن الربا لم يقتصر على اليهود ، بل مازال ينتشر في مكة والطائف وخيبر ووادي القرى ويثرب حتى ألفه الناس وصاروا يأخذون به ويعطون .

اشتهرت الطائف برباها ولعل هذه الشهرة كانت لمكان اليهود منها فقد جاء في فتوح البلدان للبلاذري (ص ٥٦) أنه « كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية .. »

ويذكر المفسرون « أن أربعة أخوة من ثقيف كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن عوف الثقفي ، وكانوا يرابون ، فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة . فقال بنو المغيرة : « والله مانعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله عن المؤمنين . » فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب الى النبي بقضية الفريقيين وكان ذلك مالا عظيماً فأنزل الله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ .. »^(١) هذا وقد كانت ثقيف صالحت النبي ﷺ على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع ، وثقيف هم اهل الطائف . ولم تقتصر علائق أهل مكة مع أهل الطائف على المراباة والتجارة بل كان لأهل مكة أملاك بالطائف يصلحونها ويستغلونها فقد « كان

للعباس أرض بالطائف وكان الزيب يحمل منها فينبد بالسقاية للحاج
وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها...
وصارت أرض الطائف مخالفاً من مخاليف مكة^(١)»

وكان بالمدينة - وفيها كثير من اليهود - ربا منتشر، وعرف من
مرايها من أصبح ذا غنى فاحش :

جاء في خزانة الأدب : « كان أحيحة بن الجلاح كثير المال
شحيحاً عليه ، يبيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم ؛ وكان
له تسع وتسعون بئراً كلها ينضح عليها وكان له .. الخ^(٢) »

ومن مراجعة كتاب الصلح الذي كتبه رسول الله ﷺ لأهل
نجران نعلم أن غير اليهود لهم نصيب يحملونه من أمر الربا هذا ، فقد
شرط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به « ومن أكل منهم ربا من
ذي قبيل فذمتي منه بريئة . » ولعل نصارى نجران كانوا قد بلغوا من
التعامل به مبلغاً صعب عليهم فيه تنفيذ هذا الشرط ، لما تأصل فيهم من
اعتياده ، حتى استفحل أمره فيهم أيام خلافة عمر بن الخطاب وشاعت
لهم أموال أفادوها منه وخف عمر العاقبة فأجلاهم^(٣)

(١) البلاذري ج ١ ص ٥٦ (٢) خزانة الأدب ٣/٣٣٧ (المطبعة السلفية)

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ١/٦٦

تسرب الربا إلى أهل مكة وتعاملوا به وعُرف رجال منهم من
أهل الشرف والرئاسة بتعاطيه كالعباس بن عبد المطلب وخالد بن
الوليد وعثمان بن عفان^(١) وغيرهم . ومتى انتشرت عادة قبيحة ستر
فشيروها قبحها فلم يترفع عنها أحد ، وكانت الضرورة والحاجة شر
معوان على تعاطيه وبذلك انحصر الغنى في طائفة معينة وعم الفقر
من عداهم .

بالغ اليهود في هذا الميدان شوطاً لم يلحقهم فيه لاحق قط ، لما
تركز فيهم من الثراء وما حذقوا من حسن التأني في تسمير أموالهم ،
واستغلال الفقر والسذاجة في العرب ، فاعتقدوا الأرضين وبنوا
الحصون ثم دأبوا في جمع المال وتمميتها وإدانتها حتى كثرت الرهائن
عندهم واشتطوا في طلبها واقتنوا في تنويعها اقتنائاً شائناً ، فصاروا
يرتهنون الأولاد ويطلبون النساء أيضاً ولا يرعون في سبيل المادة حلفاً
ولا آصرة : جاء في سيرة ابن هشام (٢ : ٣٤١) أن أبا نائلة سلك بن
سلامة أتى أحد أشراف اليهود وأغنيائهم ، كعب بن الأشرف وكان
أخاه من الرضاة فقال له : « إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك
ونوثق لك وتحسن في ذلك . » فقال كعب : « أترهنوني نساءكم ! »

(١) انظر تفسير الحازن عند قوله « وذروا ما بقي من الربا » من سورة البقرة

قال : « كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ؟ »
قال كعب « أترهنوني أبناءكم ؟ » قال : « لقد أردت أن تفضحننا ، إن
معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن
في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه الوفاء . »

يريد أبو نائلة بقوله : « على مثل رأيي » : تضايقتهم من مجيء
الرسول والمسلمين ومزاحمتهم في بلدهم (المدينة) على العيش ، فلينظر
امرؤ كيف لم يشفع شيء عند كعب في سبيل المادة ، لا مشايعة القوم
له (ظاهراً) في هواه وعداوته لرسول الله ، ولا أخوة الرضاة ،
لا شيء إلا المال والربح ، المال وحده هو معبود اليهود منذ خلقوا إلى
يوم يبعثون .

هذا الغلو من اليهود في الربا وتعاطيه منذ القديم هو السبب في
تشنيع القرآن الكريم لفعاليتهم وتعنيفهم عليها حين يقول :
فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ
لَهُمْ وَبَدَّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرُّبَا وَقَدْ
نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١) .

أتى الإسلام وطعمة كثير من الجاهليين وما كلهم من الربا فامتنع قسم منهم من الاتجار لأن الربح قد حصل لهم بأخف مؤونة وأيسر مشقة : فلا أسفار ولا تعرض لأخطار ولا جهد ولا سعي . وكف أكثرهم بطبيعة الحال عن الإقراض بلا فائدة واعتاد المدين إعطاء الربا راضياً ، غير واجد فيه غبناً ولا شناعة وقال كثير منهم : «سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير . » هوّنوا بذلك على أنفسهم ورأوا البيع والربا سواء في الزيادة حتي أكذبهم الله وعنفهم أشد تعنيف بقوله : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا أَلَّا يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا^(١) » ولما حرّم الإسلام الربا جملة واحدة كان لا بد من تشريع حاسم للعلاقات التي سبقت اسلام المتعاملين به والتي كانت لا يخلو من الارتباط بها من كان يتعاطى التجارة وغيرها من شؤون الكسب ووقف الناس إزاء مشكلة جديدة : هل يمضون عقودهم على ما عقدوا قبل الاسلام إذا حل الأجل أم يتقيدون بتعاليمه فيملون ما كان منها فاسداً حسب هذه التعاليم ؟ وإذا كان الامر الثاني فلا بد حينئذ من

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٥

نخبن - في زعمهم - يلحق الدائن . وقد عرضت قضية من هذا الشكل
فنزل الوحي بالحل القاطع :

ذكر الطبري في تفسيره : أن العباس ورجلاً من بني المغيرة (لعله
خالد بن الوليد المصرح به في تفسير الخازن) كانا شريكين في
الجمادية ، سلفاً في الربا إلى أناس من ثقيف وهم بنو عمرو بن عمير
فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا . وذكر الخازن أن عثمان
ابن عفان والعباس بن عبد المطلب كانا أسلفاً في التمر فلما كان وقت
الجذاذ قال صاحب التمر لهما : « إن أنتم أخذتما حقكما لم يبق لي
ما يكفي عيالي ، فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف
لكما ؟ » ففعلا ، فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك رسول الله
ﷺ فنهاهما .

وسواء أكانت الحادثة الأولى أم الثانية سبباً في نزول الآية ، إن
من المعقول أن تتعدد الحوادث على هذا النسق لتفشي المعاملات فيما
سبق على الربا ، وحلول الآجال أجلاً بعد أجل ، وتخير الدائن
والمدين معاً بين إمضاء التعاقد السابق للتحرير ، والاذعان والكف عما
نهى الله عنه ؛ أي كان فقد نزل قول الله فاصلاً في هذه المسائل
وأشباهاها بهذا التشريع الحاسم الذي لا هوادة فيه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ^(١) . »

فسمع العباس وخالد وعثمان وغيرهم وأطاعوا وأخذوا رؤوس أموالهم . وكتب رسول الله يجيب عتاباً عاملاً على مكة بهذه الآية وقال له في آخرها : « إن رضوا وإلا فأذنهم بحرب . ^(٢) »

هذا ما كان من الربا في الجاهلية عامة : يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده وأخر عنه . إلا أن هناك ربا خاصاً كان من أثقل الأعباء على المسيرين وهو ربا الأضعاف الذي أشار القرآن الكريم إليه بقوله : « لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً .. الآية ^(٣) » وذلك أن الرجل منهم في الجاهلية يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فاذا حل الأجل وكان الذي عليه الدين ضائقاً لا يجد ما يؤدي به دينه قال صاحب المال : « زدني في المال حتى أزيدك في الأجل . » فيقول الآخر : « أخرجني دينك وأزيدك على مالك كذا . » فيفعلان ويكون الدين

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٨، ٢٧٩ (٢) انظر تفسير الطبري .

(٣) سورة آل عمران ٣/١٣٠

مئة فيصير الى قابل مئتين مثلاً ، وربما حل الأجل الثاني والذي عليه الدين في إعساره ذاك ، لم يتخلص منه ، فيؤجله الدائن أجلاً ثالثاً ، ويزيد المال عليه وربما فعلوا ذلك مراراً حتى تصير المئة بعد سنين مئات. وذكر ابن حجر في الزواج ما يفيد أن ربا الجاهلية كان الإنساء فيه بالشهور ، وعلى ذلك يسهل علينا إدراك هذا التضعيف فيه قال : « وربما النسبئة الذي كان مشهوراً في الجاهلية ، لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل ، على أن يأخذ منه كل شهر قدرأ معيناً ورأس المال باق بحاله ، فإذا حل الأجل طالب برأس ماله ، فإن تعذر عليه الأداء زاده في الحقي والأجل . »

ذلك تضعيفهم في العيّن (النقود) ، وأما تضعيفهم في السن ففي الابل وقد شرحوا ذلك بما يأتي :

« إنما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن : يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول : (تقضيني أو تزيدني) فإذا كان عنده شيء يقضيه قضي وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك : إن كانت ابنة مخاض (وهي التي دخلت في السنة الثانية) يجعلها ابنة لبون (وهي التي دخلت في الثالثة) في السنة التالية ، ثم حقة (وهي التي أتت عليها الرابعة) ثم جذعة (وهي التي أتت عليها الخامسة) ثم رابعياً ثم هكذا .. الى فوق . »

بدأت العلائق التي نشأت عن تعامل الجاهلية تضحل بقاياها مع الزمن . وقد تشدد الاسلام بما يرتبط منها بالربا تشدداً حازماً ، وورد فيها من الوعيد والتهديد ما لا مجال لبسطه هنا . وكان خاتمها ماجهر به رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، في خطبته البليغة المأثورة التي كانت فاصلة بين آثار الجاهلية وعهد جديد ، والتي بين فيها أهم الأمور الجسام التي يريد من أمته التمسك بها . وكان في طليعتها دون شك ، الربا فقال فيه :

« ألا وإن كل ربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أبدى به ربا عمي العباس بن عبد المطلب « لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »^(١) .

المحلون والمحرمون والحمس

كان العرب يعظمون أمكنة خاصة وشهوراً معينة ، لا يسهفون فيها دماً ، ولا يتجاوز بعضهم على بعض حتى يزيلوا المكان الحرام ، أو ينقضوا الشهر الحرام .

وكان من بعد النظر أن جعلوا أكبر أسواقهم يقام في الأشهر الحرم ، فكانت سوق حُباشة وسوق صُحار في رجب ، وحضرموت في ذي القعدة ، وعكاظ ومجنة وذو المجاز في ذي القعدة وذي الحجة ، ومعلوم أن الأشهر الحرم أربعة : رجباً وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، تضع فيهن العرب سلاحها فلو لقي المرء قاتل أبيه ما وسعه التعرض له بسوء ، حتى إن تلقيهم رجب بالأصم ، كان لأنه لا ينادى فيه : (يا صباحاه) ^(١) ولا (يا فلان) ؛ فينقطع فيه صوت الأسلحة . وكان من أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الشهر الحرام والبلد الحرام . ولهذا سميت العرب حروب قريش وهوازن في عكاظ بحروب الفجار لفجورهم باقتالهم في الشهر الحرام .

(١) انظر القاموس .

ولما ترصدت سرية عبد الله بن جهش عير قريش وكانت تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارتهم فيها عمرو بن الحضرمي ، بنخلة بين مكة والطائف ، وظفرت بالعير وقتلت ابن الحضرمي بعد أن هاب قوم الإقدام على القتل لأنهم كانوا في آخر يوم من رجب ، وأقبلوا على رسول الله ﷺ بالعير وبأسيرين ، امتنع رسول الله ﷺ عن أخذ الخمس وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ^(١) . وسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وأبقت قريش أنها وقعت على ما تعيب به محمداً وأصحابه عند العرب عامة لما اتهموا من حرمة الشهر فجعلت تشيع قولها :
« قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . » وأكثروا من ذلك لما فيه من تهيج العرب وتغيير قلوبها على صاحب الدعوة وتصويرها له في صورة المستحل الذي لا يرعى حرمة للشهر المحرم كما لم يرع من قبل حرمة آلهتهم . وتناست قريش ما كانت صنعت مع النبي وأصحابه من إيذاء وتعنيف حتى اضطروهم إلى الهجرة إلى الحبشة ثم

(١) سيرة ابن هشام ١٩٤/٢ .

الى المدينة . ثم تناست ما غاملت به المستضعفين من المسلمين من إقامة في الهاجرة تصهرهم الشمس ، ومن إلقاء الصخور عليهم ، وتهاقتهم على هولاء ضرباً وإيلاماً حتى يفتنواهم عن دينهم . ثم تنويعهم أساليب العذاب لهم ولأهلهم . فلما أشفق المسلمون من صنيع سرية عبد الله ابن جحش واستطالة السنة قریش فيهم أنزل الله هذه الآية :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ... الآية (١) » .

وقال عبد الله بن جحش يرد على قریش :

وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشِدَ رَاشِدٌ	تعدون قتلاً في الحرام عظيمة
وَكُفْرٌ بِهِ ، وَاللَّهُ رَءٍ وَشَاهِدٌ ،	صدودكم عما يقول محمد
لئلا يرى لله في البيت ساجد	وإخراجكم من مسجد الله أهله
وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدٌ	فإننا وإن عيرتمونا بقتله
بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدَمَ	سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا
يَنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَدِّ عَانِدٌ (٢)	دماً وابن عبد الله عثمان بيننا

(١) سورة البقرة ٢١٧/٢

(٢) ذكر ابن هشام أنها تنسب أيضاً لأبي بكر ، ومما يقل في نسبتها =

قال المرزوقي : « كانت هذه الاسواق منها ما يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها ، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها ، لكنه لا يصل إليها أحد إلا بخفير ولا يرجع إلا بخفير . » ولا يخفى أن الأمن من أوكد الاسباب في انتظام أمور التجارة ، فلولا ما أخرج بائع بضاعة ، ولا تظاهر مشترٍ بملك نقود . ومن هنا كان لقريش تلك الزعامة التجارية لأنها تسكن الحرم حيث الأمن والسلم ، وحيث لا تحدث أحداً نفسه بالبغي والعدوان . فكانت تجارات العرب أروج ما تكون حيث يستتب الأمن وتعم الثقة . رعاية هذه الحرم على ما تقدم ليست مطردة على إطلاقها ، بل هي كذلك في الأعم الاغلب ، إذ ان هناك قبائل معدودة لا تعرف لهذه المحرمات حقاً ، فكانت تسفك الدم ولو في الشهر الحرام أو البلد الحرام . علمت قريش أمر هذه القبائل فكانت تسلك في طريقها على القبائل التي تحفظها حرمتها وإذا وردت على من لا يرعاها تخمرت بخفير . ونحن مدينون للمرزوقي الذي له الفضل بإطلاعنا على ما لقريش من منزلة سامية في نفوس قبائل العرب وخاصة الذين يكونون على

= فإن فيما الجواب الطبيعي الذي لا يعقل إلا أنهم أجابوا به قريشاً .
واقد : هو ابن عبد الله التميمي الذي رمى ابن الحضرمي فقتله ؛ وعثمان
ابن عبد الله : أحد الأسيرين ؛ والغل : ما يشد على العنق . والقدر . السير من جلد .

طريقها ، كما علمنا منه القبائل التي لا تتجاز بها قريش إلا متخفرة .
كانت قريش في خروجها من مكة قاصدة دومة الجندل إذا أخذت
على الحزن لا تتخفر بأحد من العرب حتى ترجع . وذلك أن مضر
عامتهم لا تتعرض لتجار قريش ولا يتهمهم حليف لمضري ، مع
تعظيمهم لقريش ومكانهم من البيت . وكانت مضر تقول : قد قضت
عنا قريش مذمة ما أورثنا أبونا إسماعيل من الدين . وكانوا إذا خرجوا
من الحزن أو على الحزن وردوا مياه كلب ، وكانت كلب حلفاء بني
ميم . فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا في بني أسد . حتى يخرجوا على طي
فتعطيهم وتدلمهم على ما أرادوا لأن طيأ حلفاء بني أسد . فإذا أخذوا
طريق العراق تخفروا ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فيجيز
لهم ذلك ربيعة كلها .

هذا هو نظر أغلب العرب إلى قريش : تعظيم لهم واحترام ،
لمكانهم من البيت ولأنهم سددته والقائمون بأمر الحاج أيام الحج .
أذعنتم لهم بذلك العرب وعرفوا لهم حقوقهم لأنهم قوام الدين الذي
دان به العرب قبل الإسلام وهم لهم تبع . وقد استغل القرشيون هذه
المكانة القدسية ، فضربوا في جزيرة العرب شمالاً وجنوباً متاجرين
لا يعرض لهم ولا لأموالهم أحد .

وكانوا بطبيعة الأمر مسيطرين على الاسواق الثلاث الكبرى التي تقوم قريباً من مكة وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز . وفيها يجتمع أكبر حفل من بلاد العرب من جميع أطرافها لوقوع هذه الأسواق في أيام الحج وقريباً من أمكنته .

ويظهر أن قريشاً لم تكن بما لها من نفوذ في قبائل العرب بل أرادت أن تصبغ نفسها صبغة تمتاز بها منهم في الدين نفسه ، كأنهم طبقة خاصة تتمتع بحقوق ليس لغيرهم أن يتمتع بها ، ودمت من وراء ذلك إلى أن تمكن هيبتها في نفوس الأعراب الغفل . أقصد بذلك ما يعرف في كتب السير بحديث (الحمس) :

مادة (حمس) في اللغة تفيد الشدة والصلابة في الدين والقتال . تلتبت قريش بالحمس هي وأحلافها من كنانة ، وخزاعة ، وجديلة ، وكلاب و كعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة^(١) . ومن تبعهم في الجاهلية، وخلاصة هذا الحديث في بدعتهم تلك أنهم قالوا فيما بينهم .

« نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقطان مكة ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له

(١) العدة ٢/ ١٨٨ . ر.أبي عبيدة :: « كتاب الحمس من قريش » - الفهرست لابن النديم ص ٨٠ . وانظر تعدادهم أيضاً في (المجرب) لمحمد بن حبيب ص ١٧٨

العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظمووا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخف العرب بجرمتكم وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . « فأجمعوا على هذا الرأي وتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها كما يفعل سائر العرب . وهم مع إقرارهم أن الوقوف بعرفة من مشاعر الحج ودين إبراهيم ، ومع أنهم يأملون العرب عادة بالوقوف والإفاضة ، ابتدعوا لأنفسهم البقاء في الحرم واعتذروا لذلك بقولهم : « نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحرس . » « فإلا نفيض إلا من الحرم ، نحن قطين الله فلا نخرج من حرمه »^(١) وجعلوا لأنفسهم حق تمييز غيرهم بما ميزوا به أنفسهم . ثم ترقوا في الامتياز فحرموا على أنفسهم اتقاط الأقط وسَلَّ^(٢) السمن ماداً واحراً ، كما حرموا الاستظلال بغير بيوت الأدم محرمين ، وكما حرموا على أنفسهم أن يدخلوا بيتاً ماداموا محرمين . ثم حظروا على غيرهم الأكل من غير طعام الحرم ، فمن جاء بطعم من غير الحرم ، وكان حياً أو معتمراً حرم عليه الأكل منه . ولم يقتصر تحكمتهم بغيرهم على هذا ،

(١) تيسير الوصول ١/٣٠٥ ، والنظير : الجيران

(٢) سَلَّ السمن طبخه وعالجه ، أو الأقط : شيء يتخذ من الخيض الغنمي

وأقط الطعام : عمله به . « القاموس »

بل تعداه إلى الثياب فحجروا على كل إنسان من غيرهم الطواف بالبيت أول ما يقدمون إلا بثياب الحمس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة ومن طاف في غير ثياب الحمس حرمت عليه بعد الطواف فألقاها ولم يُنتفع بها قط ^(١) .

وكانت العرب إذا أحرمت لم تدخل البيوت من أبوابها وإنما تنقب في ظهورها نقباً فتدخل منه وتخرج ويزعمون أن ذلك من البر ، إلا الحمس فإنهم امتازوا من بين سائر العرب بدخول البيوت من أبوابها وهم محرمون ، وجروا على ذلك حتى في الإسلام وكانوا يستنكرون من غير الحمس أن يدخل أحديته محرماً من بابه ، فيذكرون أنه « بينا رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا يا رسول الله إن قطبة رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب !! » فقال له : « ما حملك على ما فعلت؟ » قال : « رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت » قال : « إني رجل أحمي » قال له : « فإن ديني دينك » ^(٢) ورووا مثل هذا الحادث لصحابي اسمه رفاعة فلما خرج مع النبي من الباب قالوا « يا رسول الله نافق رفاعة » ^(٣)

(١) انظر تفصيلاً أوفى من هذا في (المحبر) لمحمد بن حبيب ص ١٨٠

(٢) انظر لباب النقول في أسباب النزول

استغلوا سداجة من حولهم من الأعراب لينفردوا بالحرمة
والتقديس فيأمنوا بعدها على تجارتهم ويستفيدوا من هذا التمويه ثراء
وبسطة عيش . فلما جاء الاسلام دكت الامتيازات كلها جملة واحدة
ونزل قول الله لقريش :

« ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ^(١) كما نزل قوله
تعالى في نسخ إتيان البيوت من ظهورها : « وَلَيْسَ الْبِرُّ
بأن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ، وَأَتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا » ^(٢) فشعائر الدين بعد هذه الآية يذعن لها الناس
جميعاً بلا تمييز .

واستوى في الحج القرشي وغيره بعد أن كانت قريش تنفرد دون
جميع الحجاج إذا خرجوا من مكة يوم التروية وترووا من الماء ، فنزل
الحمس أطراف الحرم من نمرة يوم عرفة ، وتنزل الحلة عرفة . وقد
أجمع أصحاب السير أن رسول الله ﷺ وقف مع الناس بعرفة في
سنته التي دعا فيها قبل الهجرة ولم يقف مع الحمس في طرف الحرم .
فكان هذا مما جلب نظر الناس ، وروى ابن هشام عن جبير ^(٣) بن

(١) سورة البقرة ٢/١٩٩

(٢) سورة البقرة ٢/١٨٩ وانظر المصدر السابق

(٣) كان جبير هذا من أصحاب التجارات المشهورين ، ولما انقضت بيعة =

مطعم أنه قال : « أضللت بعيراً في يوم عرفة » فخرجت أقصه وأتبعه
بعرفة إذ أبصرت محمداً بعرفة ! نقلت : هذا من الحس ، فما يقفه هاهنا ؟
ف عجبت له ^(١) . »

تزيد قريش في دينها أو في ابتداعها على الأصح ، علم بعض
الاستيلاء ، وما زال الدين - كما عليه الوطنية في أيماننا - يتلى بمكر
المرتكبين والمحتالين ورواد المنافع . فكان إذا أحدث أحد العرب
حدثاً وخاف على نفسه وجد في حرمة الشهر وحرمة الحرم خير معاذ
يعتصم به من أن يناله القصاص . والظاهر أن أمثال هذه الحوادث
تكررت حتى حلت من حياة العرب الاجتماعية محل العادات المستحكمة
فقد ذكر الأزرقى أنه كان « من سنتهم أن الرجل يحدث الحدث :
يقتل الرجل أو يابطمه أو يضربه فيربط الحاء من الحاء ^(٢) الحرم قلادة
في رقبة ويقول : « أنا ضرورة . » فيقال : « دعوا الضرورة بجهله
وإن رمى بجعره ^(٣) في رحله . » فلا يعرض له أحد . فقال النبي

= العقبة وعرفت قريش أمرها وأرسلت تتمقب البثوبين ، ووقع في قبضتها سعد
ابن عباد ، أجاره جبير بن مطعم والحارث بن أمية ، إذ كان سعد يجير لها
قوافلها التجارية كلما مرت بالمدينة .

(١) انظر ج ٢ ص ١٩٤ (٢) اللحاء ما على العود من قشر ، بالمد والقصر لغة .

(٣) الجعر ما يبس من العذرة

ﷺ لا ضرورة في الاسلام ، وإنه من أحدث حدثاً أخذ بحديثه . « (١) اهـ

إذا أضفت هذه التزييدات الى ما في نفوس العرب من نفرة للخضوع حتى للدين ، استطعت أن تستسيغ وجود قبائل تستهين بالحرمات وتتجاهل مكان قریش فتراها كغيرها من سائر العرب دماء وأموالاً ، بل تذهب أبعد من ذلك فلا ترعى حرمة شهر ولا أيام حج . ومن هنا تخوف الناس بعض التخوف من ورود الأسواق عزلاً ، ولو كانت مواسمها في الأشهر الحرم . فإن كنت علمت أن عكاظ ومجنة وذا المجاز ، الأسواق الكبرى للعرب تقام في الأشهر الحرم فاعلم أن الأمن فيها هو أكثر حالها والاعلب من أيامها وأن ما وقع فيها من أحداث استحلّت فيها حرمتها ، صادر بمن لا يرى لها حرمة وهم أقلية قلما يقيم المؤرخون لها حساباً .

انقسم العرب إزاء حرمة هذه الأسواق أقساماً ثلاثة :

١ - فأما قسم فقد استحلوا المظالم فيها في أشهر الحج ، ففعلوا المناكر وأحلوا الحرام وفتكوا وسرقوا ولم يحنظروا للمكان ولا للشهر ولا لقریش حرمة ما ، فسموا [المحلين] لما استحلوا من الحرم

وهم قبائل من أسد وطىء وبكر بن عبد مناة وقوم من بني عامر بن صعصعة^(١) وأناس من خثعم وقضاعة . وغير هؤلاء أيضاً : ذؤبان وصعاليك وخلعاء ، ممن نفاهم قومهم وتبرؤوا منهم .

٢- وأما القسم الثاني فأقوام حفظت للمكان قدسه وللشهر حرمة وللقوأم على البيت منزلتهم ، فكفت عن الفتك والسرقة وسائر المظالم وأنكرت على المحلين استخفافهم ، ونصبت أنفسهم لنصرة المظلوم وحقن الدماء ومنع الأذى فسموا ؛ [الذادة المحرمين] وهم أغلب العرب .

٣- والقسم الثالث « أهل هوى شرعه لهم صلصل بن أوس من بني عمرو بن تميم ، فإنه أحل قتال المحلين^(٢) » فيلبسون سلاحهم ليدفعوا عن الناس أذى المحلين من الفريق الاول . وكان في هؤلاء أيضاً قبائل من طىء وخثعم ، وناس من بني أسد بن خزيمية .

أما سائر العرب ممن لم نعد ، فهم في صف المحرمين : يضعون أسلحتهم في الأشهر الحرم و « كان الرجل إذا خرج من بيته حاجاً أو داجاً (والداج التاجر في الأشهر الحرم) أهدى وأحرم ثم قلد

(١) انظر كتاب الأزمنة والأمكنة ١٦٦/٢

(٢) الأزمنة والأمكنة ١٦٦/٢

وأشعر^(١) فيكون ذلك أماناً له في المحلين . وكان الداغ إذا انفرد
وخشي على نفسه ولم يجد هدياً ، قلد نفسه بقلادة من شعر أو وبر ،
وأشعر نفسه بصوفة فيأمن بها . وإذا صدر من مكة تقلد من لحاء شجر
الحرم . وكان الداغ وغيره إذا أم البيت وليس له علم بذلك ولا هو
في سماء الحرم أخذ المحلون مامعه . وكانت العرب جميعاً تنزع أسنتها في
الأشهر الحرم ، غير المحلين والذين يقاتلونهم ، فإنهم كانوا يقاتلونهم حتى
في الأشهر الحرم .^(٢)

خير تلك الطوائف الطائفة الثالثة التي نعتها المرزوقي بأنها أهل
هوى : إذ لا يكفي أن يكون الانسان محرماً يرعى ذمام الشهر
والمكان ، كافاً أذاه عن غيره وهو ينظر إلى المحلين يسفكون الدم
الحرام وينهبون المال الحرام . ليس من البر أن يترك هؤلاء واتهاكهم
بل البر كل البر أن يكون المرء محرماً ثم مدافعاً عن المحرمين شر
هؤلاء المعتدين . وبذلك تستأصل شأفتهم ويحسم ضرهم . أما كف

(١) أهدي ساق الهدى وهو ما يهدى إلى الحرم من الثعم . وأحرم دخل
بالج . وقلد : من تقليد الهدى وهو أن يعلق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم
أنه هدي فيكف الناس عنه . وأشعر البدنة (الناقة) إشعاراً حزناً سنامها
حتى يسيل منه الدم فيعلم أنها هدي .

(٢) الأزمنة والأمكنة ١٦٦/٢

اليد والاقْتِصَارُ عَلَيْهِ بَيْنَا الْعَيْنِ تَنْظُرُ مَكَانَ الْمُسْتَدِيحِينَ وَمَدَى أَذَاهِمْ فِي
الْأَمْنِينَ الْبَرِيثِينَ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ إِثْمًا لَمْ يَكُنْ بَرًّا وَإِنْ دَانَ بِهِ أَكْثَرَ
الْعَرَبِ ، وَلَعَلَّ خَيْرَ مَا يَمِثِلُ هَؤُلَاءِ كَلِمَةُ الزَّيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَحَدِ الْحَمْسِ
وَكَانَ شَاعِرًا خَطِيبًا سِيدًا جَوَادًا :

وَلَوْلَا الْحُمْسُ لَمْ يَلْبَسْ رِجَالُ ثِيَابِ أَعْزَةَ حَتَّى يَمُوتُوا
ثِيَابِهِمْ شِمَالٌ أَوْ عِبَاءٌ بِهَا دَنْسٌ كَمَا دَنْسَ الْحَمِيْتُ ^(١)
وَلَكِنَّا خَلَقْنَا إِذْ خَلَقْنَا لَنَا الْحَبْرَاتِ وَالْمَسْكَ الْفَتِيَّتِ
وَيَقْطَعُ نَخْوَةَ الْمُخْتَالِ عِنَّا رُقَاقُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ
بِكَفِّ مَجْرَبٍ لَا عَيْبَ فِيهِ إِذَا لَقِيَ الْكُرَيْهَةَ يَسْتَمِيْتُ ^(٢)

بَقِيَ أَمْرٌ ، وَهُوَ أَيُّ الْحَرَمَيْنِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ رِعَايَةٍ لَهَا : الشَّهْرُ أَمْ
الْحَرَمُ ؟ فَإِنَّ الْمَرْءَ لِيُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَ الْوَاقِعَ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَتِمَّ فِكْرَتَهُ
عَنْ مَفَاضِلَتِهِمْ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ . وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا وَرَاءَ الْحَوَادِثِ يَعْرِفُ أَنَّ
الْعَرَبَ أَرَعَى لِحَرَمَةِ الْحَرَمِ مِنْهَا لِحَرَمَةِ الشَّهْرِ ، وَلَنَا عَلَى ذَلِكَ أُدْلَةٌ :

١ - مِنْهَا أَنَّ حَرَمَةَ الْحَرَمِ لَا تَكْلِفُهُمْ إِلَّا رِعَايَةَ مَكَانٍ مَحْدُودِ مَدَّةٍ
إِقَامَتِهِمْ فِيهِ فِيهِ مَيْسُورَةٌ لَهُمْ وَقِيلَ أَنَّ حِفْظَ التَّارِيخِ اتِّبَاهًا كَأَنَّ حَرَمَةَ

(١) ص ٧٢ رسائل الجاحظ (جمع السندوبي) ، الحميت : الزق الصغير ،

وعاء السنن مُتَّعِنٌ بِالرُّبِّ - القاموس

الحرم . وليس كذلك حرمة الشهر فإن أمد رعايتها طويل جداً وهو ثلث السنة فيجب عليهم أن يكفوا عن الاعتداء مدة أربعة أشهر في أي بقعة كانوا وهو قيد صعب على طبيعة العربي النفور من القيود .

٢ — كثير من القبائل انتهكت حرمة الشهر ولم تجرؤ على انتهاك حرمة الحرم على حين أن ثأرها وشرفها — وأنت تعلم قيمتها عندهم — كانا يتقاضيانها غرض النظر عن حرمة الحرم . كان من هؤلاء القبائل قريش نفسها . فسيمر بك في حرب الفجار التي كانت بين قريش وأحلافها من جهة وهوازن وقيس وأحلافهما من جهة أخرى ، أن القوم اقتتلوا بعكاظ في الشهر الحرام فاستووا جميعاً في انتهاك حرمة مع أن قريشاً هي القيمة على دين العرب بحكم مكانها من البيت . إلا أن قريشاً لما انسلت من عكاظ حين أتاها نبأ اعتداء أحد أحلافها على هوازني ، خوفاً من هوازن التي كانت متكاثرة في السوق ، علمت هوازن بالأمر فاتبعت قريشاً فاقتلوا حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم فأمسكت عنهم هوازن رعاية لحرمة . فهم جميعاً يرون للحرم من الرعاية مالا يرون للشهر .

٣ — للعرب أساطير تقص العقاب الشديد الذي نزل بمن لم يبال

حق الحرم ، وليس لهم في قوتها أساطير تعاقب من انتهك حرمة الشهر . وقرأ إن شئت حديث إساف ونائلة^(١) اللذين مسخا صنمين لأنهما لم يحفظا للبيت حرمة ، وقرأ إن شئت الأحداث التي تروىها سيرة ابن هشام (١ : ١٨ فما بعد) في ذلك والأشعار ، وكلها متضافرة في بيان تعظيم حرمة البيت والعقاب الشديد الذي حل بمن أراد انتهاكها .
٤ — أمر النبي وهو تلاعب محض بالتقاليد التي تخص الشهر ، ولم يؤثر لهم مثله ولا قريب منه فيما يخص الحرم . جاء في أمالي القالي :
[أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة فقال : « أنا الذي لا أعاب ولا يرد لي قضاء . » فيقولون له : « أنسنا شهراً » أي آخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر .
وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر (ذو القعدة وذو الحجة والحرم) لا تمكثهم الإغارة فيها . لأن معاشهم كان من الإغارة : فيحل لهم (نعيم بن ثعلبة) المحرم ويحرم عليهم (بدلاً منه)

(١) في كتاب الأصنام للكلبي : أن إساف ورجل من جرم يقال له إساف ابن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرم وكانت يتعشقها في أرض اليمن ، فحبها فدخلوا الكعبة ، فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ، ففجر بها فيه ، فسبوا . فأصبحوا فوجدوها ممسوخين فوضعهما ليتعظ بهما الناس . فلما طال مكنتها وعبدت الأصنام عبدا معها . اهـ . ثم صارت قريش تنهر عندهما النسائك

صفاً ، فإذا كان في السنة المقبلة حرم عليهم المحرم وأحل لهم صفاً ،
فقال الله عز وجل : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ .. الآية (١) »

وقال الشاعر :

ألسنا الناسين على معدّ شهر الحِلِّ نجعلها حراماً [٢]

هذا وقد وقر في نفوس العرب « أن مكة لا تقر فيها بغياً ولا
ظلماً ، لا يبغي فيها أحد إلا أخرجته ولا يريد ما ملك يستحل حرمتها
إلا هلك مكانه » [٣] . وذهب الزرقاني إلى أنها سميت (بكة) لأنها تبتك
(تدق) أعناق الجبارة .

فللحرم في صدورهم رهبة لا يدانيه فيها غيره .

رأيت أن اسم الحرم الذي تضاف إليه قريش ، كان خير حارس
لتجارتها وعيرها . تسير بفضل أمته مطمئنة ، تتمتع بالرعاية والحرمة
إلى اليمن وإلى العراق وإلى الشام .

وقد ذكر النيسابوري في تفسيره (عند الكلام على الإبلان)

(١) سورة التوبة ٣٨/٩

(٢) ٤: ١ : طبع دار الكتب المصرية وانظر مروج الذهب للسعودي ٣٦٧/١

(٣) شرح المواهب (للزرقاني) ٩٢/١١

أن أشراف مكة لما كانوا يرتحلون للتجارة في الشتاء والصيف كانوا
« يأتون لأنفسهم ولأهل بلدهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والثياب .
وإن ملوك النواحي كانوا يعظموهم ويقولون : هؤلاء جيران بيت
الله وقطان حرمه ؛ فلا يجترى عليهم أحد . » وظاهر أن المقصود
بملوك النواحي أمراء العرب في اليمن والعراق والشام . فإن هؤلاء
هم الذين يعظمون البيت ؛ لا قيصر وكسرى .

هذا مكان قريش من العرب في الأعم الأغلب ، ولا حكم للنادر .
ولو لم يكن ذلك مستتباً لقريش ما كان هناك من معنى لسعي هاشم في
طرق أبواب الأسواق الخارجية يفتحها لقبيله ، بينما تجارته المحلية غير
آمنة . فهو وإخوته ما شرعوا بمفاوضاتهم التجارية مع دول الرومان
والفرس واليمن والحبشة إلا وقد فرغوا من الاطمئنان إلى الطرق
الموصلة إلى هذه الممالك .

رَفْعُ

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

أحداث قريش التجارية

- ج - عرب الفجار ا - قريش التجار
د - ملف الفضول ب - اهل قريش

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

قريش التجار

- ١ -

في سبب تسمية هذه القبيلة قريشاً أقوال مبثوثة في كتب السيرة والأدب تبلغ العشرين عدداً . أما القرش في اللغة فهو الجمع وإليك زبدة هذه الأقوال :

١ - سمو قريشاً لتجمعهم إلى الحرم بعد تفرقهم في البلاد ، وذلك حين غلب على مكة^(١) قصي بن كلاب الذي سمي مجعاً لذلك ، وقال فيه الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

٢ - أو لأنهم كانوا أهل تجارة وتكسب وضرب في البلاد ابتغاء الرزق ، يتقرشون البياعات فيشترونها ولم يكونوا أهل زرع

(١) اكبر محطة تجارية داخل جزيرة العرب قبل الإسلام ، لوقوعها وسط إحدى الطريقين التجاريين الكبيرين للجزيرة كما مر بك أول هذا الكتاب ، ثم لاتصالها بنجد والعراق ثم الفرس بطرق للقوافل ، ومينائها جدة يصلها بالبحر الأحمر وإن كانت رحلات قريش البحرية هي إلى الحبشة فقط عن طريق اليمن .

وضرع : من قولهم فلان يتقرش المال أي يجمعه .

٣ - أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها : فمن كان محتاجاً أغنوه ومن كان عارياً كسوه ، ومن كان معدماً واسوه ، ومن كان طريداً آووه ، ومن كان خائفاً حموه ، ومن كان ضالاً هدوه الخ ..
٤ - أو لأن أباهم النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرش .

٥ - أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قريش أي شديد .

٦ - أو لأن قصياً كان يقال له القرشي .

٧ - أو سميت القبيلة بمصغر العرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها^(١) .

٨ - أو سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان

(١) نسبوا هذا القول إلى ابن عباس . جاء في خزائن الأدب ١ : ١٨٩ (السلفية) :
(سأل عمرو بن العاص عبد الله بن عباس : بم سميت قريش ؟ قال : « بدابة في البحر تسمى قريشاً ، لا تدع دابة إلا أكلتها ، فدواب البحر كلها تخافها . » قال المشرخ بن عمرو الحميري :

وقريش هي التي تسكن البع - ر بها سميت قريش قريشاً) اه
وكان هذا البيت تعريف لغوي منظوم كما تنظم المتون ، وزاد آخرون بعده :
قال المشرخ بن عمرو الحميري :

تأكل الغث والسين ولا تنسرك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد شأن قريش يا كلوت البلاد أكلاً كمشا .
انظر حواشي الكشاف للزحمرى عند الكلام على سورة « لإبلان قريش »

صاحب غيرهم أو دليلها ، فكانوا يقولون : قدمت غير قريش ،
خرجت غير قريش ^(١) .

فهذه ثمانية وجوه في هذا الاسم . وكل وجه منها معه شفيح من
معنى أو مناسبة ، ينفذ به إلى القبول .

إلا أن منها جميعاً قولين يظفران على التمحيص ؛ أما الأول فهو
أنه أطلق على النضر بن كنانة ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن
لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهناك مذهب آخر له شأنه من حيث
رواته الثقات ، يرمي إلى أن هذا اللقب أطلق على حفيده « فهر بن مالك
ابن النضر » نقله صاحب المصباح عن السهيلي وشارح القاموس عن ابن
الكلبي وقال : « إنه مرجع في هذا الشأن . » ، وذكر أيضاً في سيرة
ابن هشام . ونحن إذا دققنا في صيغة الرواية عند ابن هشام وصاحب
المصباح وجدناها مبنية للمجهول : « ويقال .. » وبهذا نعلم أن الراويين
ضعفها فكفينانا بذلك المؤونة ^(٢) . وقول الشاعر :

(١) انظر مادة قريش في القاموس وشرحه تاج العروس ، وفي لسان العرب
وخزانة الأدب ١ : ١٨٩ (السلفية) .

(٢) ومع ذلك فقد قال في العقد الفريد (٢ : ٢٠٣) : « إنما جمع قصي
إلى مكة بني فهر بن مالك ، فجد قريش كلها فهر بن مالك ، فما دونه قريش
وما فوقه عرب . »

وجاء في خزانة الأدب ١ : ١٩٠ : « قال عبد الملك بن مروان : سمعت
أن قصياً كان يقال له القرشي ، لم يسم قرشي قبله . »

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر^(١)
المتقدم الذكر لا يمنع أن يكون ولد النضر جميعاً من قريش والنص
على فهر لا يخرج إخوته وأولاد عمه من القرشية .

ولا بد من التنبيه هنا على حجة قوية ولعلها قاطعة ، جاءت في
سيرة ابن هشام وهي كفيلة بالفوز بطمأنينة الباحث ، فقد ذكر بيتاً
لجرير في مدح هشام بن عبد الملك يعني فيه برة بنت مر أخت تميم بن
مر وهي أم النضر هذا ، وذلك قوله :

فما الأم التي ولدت قريشاً بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بأنجب من أيكم وما خال بأكرم من تميم^(٢)
وجرير من تميم .

وأما الثاني ففي بيان السبب في هذه التسمية وأي التفاسير هو الأرجح :
يستبعد الذهن أن تكون دابة البحر هي التي أوحى هذا الاسم
ولوروي هذا القول عن ابن عباس : لبعد العرب حول مكة عن
البحر وجهلهم حيوانه ففي هذا الشرح تكلف ظاهر كالذي في اشتقاقه
من الجمل القريش . والذي لا يجد المرء غيره مذهباً يرتضيه هو أن

(١) البيت لحذافة بن غانم العدوي انظر طبعة لجنة التأليف للمقد الفريد ٣/٣١٢

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٩٠ ، والإقراف : أن تكون الأم عربية

والأب غير عربي ، والقرم : السيد والفعل .

تكون (قريش) من القرش بمعنى الجمع ، لما كانوا يتعاطون من التجارة وجمع^(١) المال إذ كانوا معروفين بذلك عند العرب عامة . ذكر ابن هشام أن القرش: التجارة والاكتساب ، وأن القروش (أيضاً) التجارة والاكتساب وأتى على ذلك بشاهد من كلام العرب . لكن الجاحظ أزال اللبس في ذلك وأحسن الإيضاح حين قال في صدد كلامه عنهم :

« وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : « لله در الديار ، لقريش التجار » وليس فوقهم قرشي . كقولهم هاشمي وزهري وتميمي لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينتسبون إليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقرش .^(٢) »

وقد تقدم الدليل آنفاً على أن النضر هو قريش ولا داعي لتسميته بذلك إلا معنى التجارة والكسب .

وقريش في الأصل طبقتان : قريش البطاح وقريش الظواهر^(٣)

(١) انظر مردج الذهب للمسعودي ١ / ٣٦٩ حيث يقول : « وأخذت قريش الأيلاف من الملوك .. وتقرشت ، والتقرش : الجمع ، ومنه قول ابن حازمة البشكري :
إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم . »

(٢) رسائل الجاحظ ص ١٥٦

(٣) عدت المسعودي في قريش البطاح : بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني =

أما قريش البطاح فهم الذين نزلوا بطحاء مكة وبطنها وهم سادة
القرشيين ، فيهم بنو هاشم وبنو أمية ومنازلهم الشعب بين أخشي
مكة^(١) وهم صباة قريش وصميمها وساداتها وأغنياؤها ، اختطوا
منازلهم في البطحاء ونزلوها .

وأما قريش الظواهر فهم الذين لم تسعهم الأباطح فنزلوا أعلى مكة
خارج الشعب ، فانتشروا حولها في ظواهرها وهم دون أولئك شرفاً
وغنى وشأناً . قال في لسان العرب : « وقريش البطاح أكرم وأشرف
من قريش الظواهر . » واستشهد لذلك بقول الشاعر^(٢)

فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر
ويقول الفرزدق في مباحاته جريراً :

تنح عن البطحاء إن قديمها لنا ، والجبال الراسيات الفوارع^(٣)

= عبدالغزي ، وبني زهرة وبني مخزوم وبني تيم بن مرة وبني جمح وبني سهم وبني
عدي وبني عتيك بن عامر بن لؤي .

وعد في قريش الظواهر : بني محارب والحارث بن فهر ، وبني الادرم بن
غالب بن فهر وبني هيص بن عامر بن لؤي ، - الصفحة السابقة ، والعمدة
١٨٤/٢ والمجرب ص ١٦٧

(١) أخشبا مكة جبلاها : أبو قيس والذي يقابله
(٢) هو ذكوان مولى عبد الدار يقوله للضحاك بن قيس الغمري . انظر

مروج الذهب للمسعودي ١/٣٦٩

(٣) شرح شواهد المغني ص ٣

وقول الكميت :

فحللت معتلج البطاح وحل غيرك بالظواهر^(١)
وهناك قرشيون استوطنوا الطائف وغيرها حيث اتخذوا
الأموال والمزارع فلم ينسبوا إلى ظواهر ولا إلى بطاح . روى صاحب
تاج العروس أن « في قریش من ليس بأبطحية ولا ظاهرية . »

* * *

أول بانٍ لمجد قریش وموطد لنفوذها هو قُصي بن كلاب ، إذ
استنقذ أمر مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب
شديدة وجمع أشتات قومه فأنزلهم حول الحرم وملك أمرهم فكان
أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه . فكانت إليه
الحجاجة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع

(١) انظر لسان العرب وتاج العروس مادتي : بطح ، ظهر .
والكميت يخاطب هنا هشام بن عبد الملك ، وقبل هذا البيت :
يابن العقائل للعقا تل والجحاجة الاخير
إن الخلافة والإلا ف برغم ذي حسد وواغر
دلغا من الشرف التلي د إليك بالرفد الموافر
فحللت ...

مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها .. فسمته قريش مجتمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعتقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره الخ ..^(١)

فأنت ترى أن قصياً مكن دعائم قريش ونظم أمورهم ثم جعل من داره التي اتخذها لنفسه وجعل بابها إلى الكعبة مجلس شورى لقريش ودار حكومة معاً وسمها دار الندوة . وكانت قريش بعده لا تقضي أمراً إلا فيها ، فيها ينظمون غيرهم إلى الشام أو اليمن فلا تخرج غير إلا منها ولا يقدمون إلا نزلوا فيها ، ويتفاوضون في أمر تجارتهم وحربهم وسلمهم . وفيها كان معظم المؤامرات التي اتسمروا بالنبي وأصحابه في بدء الدعوة ، وكانت لهم محكمة يلجأ إليها المتخاصمون ويقضي فيها شيوخهم المقدمون . ولا ريب أن أمور التجارة القرشية بعد الذي صنع قصي لهم اطرء تقدمها وازدهارها فانتسعت ونمت . وأراد قصي تثبيت هيبة قريش في نفوس العرب ففرض عليهم

خرجاً يخرجونه في كل موسم من أموالهم ، فإذا كان الحج قال قصي :
« يا معشر قريش : إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وإن
الحجاج ضيف الله وأهله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة
فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم ، فكانوا
يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه فيصنعه طعاماً
للناس أيام منى فياً كله من لم يكن له سعة ولا زاد^(١) من الحجاج
وأهل مكة . وهذه هي الرفادة .

امتدت أيام قصي حتى كبر فعهد الى ولده عبد الدار باللواء
والسقاية والرفادة ، لأنه لم يشرف في حياته وكان بكره ، فقد بطأ
به عمله عن أن يلحق بأخيه عبد مناف الذي بلغ في الشرف والسيادة
شأواً بعيداً ، فخص قصي عبد الدار بذلك جبراً له حتى يلحق بأخيه .
ثم تنازع على الشرف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف وتحزب لكل
من الفريقين أقوام وأفضى النزاع الى الاستعداد للحرب ، وتعاهد عند
الكعبة بنو عبد الدار وحلفواؤهم على النصر فسموا الأحلاف ،
وتعاقد بنو عبد مناف وغمسوا أيديهم في جفنة مملوءة طيباً فسموا
المطيبين ، ثم كان سعى بين الفريقين انفراج عن صلح بينهما على أن

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٢

يكون لبني عبد مناف السقاية والرفادة وأن يكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار . فتحاجز الناس على ذلك حتى أتى الاسلام وهم عليه .

ازدهر مجد قريش التجاري وبلغ أوجهه في الحقيقة ، بهاشم بن عبد مناف ، لأن تجارة قريش قبله لم تكن تعدو مكة « وإنما كان يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب . »^(١) حتى جاء هاشم ففتح في وجوههم ما فتح . كانت لهاشم دون إخوته الرفادة ، السقاية فقام بأمرهما إذ كان أخوه عبد شمس رجلاً سفاراً مقلداً ذا عيال . وهاشم موسر طماح بعيد النظر ، وقد ضرب القرشيون على عهدده في الأرض ، أكثروا الأسفار التجارية . ومن الغريب ان أولاد عبد مناف كلهم حليفو أسفار طوحتهم الغربية فمات كل بناحية : أما هاشم فمات بغزة من ارض الشام فسميت به غزة هاشم ، وأما أخوه المطالب فمات بردمان من ارض اليمن ، وأما أخوه نوفل فمات بسلمان من ارض العراق ، وعبد شمس مات بمكة .

اضطلع هاشم بأعباء الأمور وأكثر من الأسفار وهو أول من

(١) الامالي ج ٣ ص ١٩٩

عقد المعاهدات التجارية لقريش (كما سيأتي قريباً عند الكلام على الإيلاف) فتمرّ الأموال وارتفع له ذكر نابه بين قومه واستفاضت له مكارم سار بها الركبان^(١) قال ابن سعد :

« كان اسم هاشم عمراً فأصابت قريشاً سنوات ذهبين بالأموال فخرج هاشم الى الشام فأمر بنخبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر^(٢) على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك الإبل ثم أمر الطهارة فطبخوا . ثم كفاً القدور على الجفان فأشبع أهل مكة . فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم فسمي بذلك هاشماً وقال ابن الزبير في ذلك :

عمر و العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف
وقال وهب بن عبد قصي في ذلك :

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأغنيا أن يقوم به ابن يرض
أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النقيض
وأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض
فضل القوم بين مكالات من الشيزاء حائر هايفيض^(٣) اهـ

(١) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٤٣ طبعه ليدن

(٢) ، (٣) الطبقات ١ : ٤٤ ، الغرائر جمع غرارة وهي : الجوارق

(العدل) . متأقات : ممتلئات الغريض : الطري . والشيزاء بمدود شيزى : وهو الخشب الاسود يعمل منه القصاع . والحائر : الودك (الدهن) .

والظاهر ان هاشماً لقي مجداً وعزاً ومكانة لم يحظ ببعضها أحد ،
فأثار بذلك حسد الأقران له لما انقطعوا دون بلوغ شأوه وأورثوا
هذا الحسد أبناءهم من بعدهم ، ولم يشفع لهاشم ما قدم لقومه من
خير وما رفع لهم من ذكر وما وطد لهم من تجارات ؛ فإن ابن سعد
يروى لنا بعد ما تقدم من صنع هاشم ، اول مازرع الشر بين بني أمية
وبني هاشم قال : « فحسد هاشماً أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه ، فشمته به
ناس من قريش فغضب وقال من هاشم ودعاه الى المنافرة ، فكره
هاشم ذلك لسنة وقدره ، فلم تدعه قريش وأحفظوه . فقال لأمية :
فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة ، والجلاء
عن مكة عشر سنين ؛ فرضي أمية بذلك وجعلها بينهما الكاهن
الجزاعي . فنفر هاشماً عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من
حضره وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه اول
عداوة وقعت بين هاشم وأميه . »^(١)

جري بنو قصي على سنة أبيهم في إطعام الحاج إلا أن هاشماً

امتاز منهم جميعاً فسار بهذه السنة الى شوط بعيد لم يبلغه احد قبله ولا بعده ، ولا غرو فقد كان من الغنى بالمكان المشهور وأسعفه في التجارة حظ قلما أتيج لغيره . وعلى يده وأيدي إخوته فتحت لقريش أسواق في بلاد الروم وفارس والحبشة ، فصنع للحاج مالم يصنعه أحد . ونحن عارضون لك من ذلك ما وصفه ابن ابي الحديد ومنبهوك خاصة على شرف هاشم وكال مروءته في حرصه على ألا يطعم الحاج إلا ما حل كسبه :

كان يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب قريشاً فيقول : « يامعشر قريش أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها أنساباً وأقربها أرحاماً ، يامعشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصمكم بجواره دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ منكم جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعناً غبراً من كل بلد : فورب هذه البنية ، لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل . وأسألکم بجرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله

لكرامة زوار بيت الله ومعوتهم لإطياباً لم يؤخذ ظالماً ولم يقطع فيه
رحم ولم يغتصب ، فكانت قریش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله
أحوالها وتأتي به الى هاشم فيضعه في دار الندوة لضياقة الحاج ^(١) . اه .
والمرء - وإن حدثته نفسه فيما روى ابن ابي الحديد - موقن أن
هاشماً في الغاية من النبل والشرف وتحري الطيب من المكاسب . كان
إذا جمع الأموال من قریش يأمر بجياض ^(٢) من آدم فتجعل في موضع
زمزم ثم يستقى فيها الماء من آبار مكة فيشربه الحاج وكان يطعمهم
أول ما يطعم ، قبل التروية بيوم ، بمكة وبمبنى وجمع ^(٣) وعرفة . وكان
يترد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويجعل لهم الماء
فيستقون بمبنى - والماء يومئذ قليل - في حياض من الأدم الى ان يصدروا
من منى فتقطع الضياقة ويتفرق الناس لبلادهم .

لم تكن أمور قریش وخدمة الحجيج لتصرف هاشماً عن تجاراته
وأسفاره بل كان بين هذا وذاك يقود قوافل قریش الى الشام وقد
تزوج قبيل وفاته في إحدى هذه الرحلات . والفضل لابن سعد في
وقوفنا على بعض تفاصيل للغير التي خرج بها هاشم ، كما له الفضل في

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٤٥٤

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ (٣) المزدلفة

معرفة ممارسة المرأة العربية للتجارة ومشاركة الرجال في الجاهلية بالخروج الى الاسواق والاتجار فيها قال :

« خرج هاشم في غير لقريش ، فيها تجارات . وكان طريقهم على المدينة ، فنزلوا بسوق النبط فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها . فباعوا واشتروا ونظروا الى امرأة على موضع مشرف من السوق ، فرأى امرأة تأمر بما يشتري ويباع لها ، فرأى امرأة حازمة جلدة ، مع جمال . فسأل هاشم عنها : أأيم هي أم ذات زوج ؟ ف قيل له : « أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمراً ومعبداً ، ثم فارقتها . » وكانت لاتنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، فإذا كرهت رجلاً فارقتة . وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه ، فزوجته نفسها ودخل بها وصنع طعاماً ودعا من هناك من اصحاب العير الذين كانوا معه و كانوا أربعين رجلاً من قريش فيهم رجال من بني عبد مناف ومخزوم وسهم ، ودعا من الخزرج رجلاً وأقام بأصحابه أياماً . وعلقت [منه] سلمى بعبد المطلب فولدته وفي رأسه شيدة فسمي شيدة . وخرج هاشم في أصحابه الى الشام حتى بلغ غزة فاشتكى فأقاموا عليه حتى مات فدفنوه بغزة

ورجعوا بتركته الى ولده .^(١)

ذكر ياقوت أن قبر هاشم بغزة حيث مات ، وأنها لذلك يقال لها
غزة هاشم وروى لمطروود الخزاعي في رثائه :

مات الندى في الشام لما أن ثوى فيه بغزة هاشم لايبعد
قال ياقوت : « مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة
وذلك الثبت وقيل عشرون . » وفي النفس من هذا التقدير شيء لأن
ما حفلت به حياة هاشم وما تم لقومه على يديه ينذر أن يكمل لابن
خمس وعشرين .

قام بأمر قريش بعد هاشم أخوه الأصغر المطلب بن عبد مناف
وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش إنما تسميه الفيض
لسماحته^(٢) وفضله وقد ضم إليه ابن أخيه شيبه بن هاشم في أحد
أسفاره فدخل به مكة مردفاً إياه على بعيره فظنت قريش انه غلامه
فقالوا : عبد المطلب ، فقال المطلب : ويحكم إنه شيبه ابن أخي : هاشم ،
قدمت به من المدينة . ولما خرج المطلب في رحلة له الى اليمن مات
بردمان ، وكان آخر من مات من بني عبد مناف : نوفل الذي تقدم
أنه مات بسلمان من أرض العراق ، فذكرهم مطروود بن كعب الخزاعي
في رثائه فقال :

(١) الطبقات : ١ : ٤٥ (٢) ابن هشام : ١ : ١٢٨

أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسا مان وميت بين غزات^(١) .. الخ
ثم انتهت السقاية والرفادة من بعده إلى عبد المطلب بن هاشم
فأدار أمور قومه وأهم ما صنع لهم حفر بئر زمزم . وقد كان في قريش
ذاهية ومكانة .

وفي أيامه هددت مكة وتعرضت مكاتها التجارية للهبوط ،
إذ قصدتها أبرهة « يريد بلا شك الاستيلاء على مكة ومفاتيح
تجارتها^(٢) » فاعتصمت قريش في شعف الجبال وفي الشعاب تخوفاً من معرفة
الجيش وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة مع نفر من قريش يستعدي رب
البيت على الأحباش بما لا غرض لنا بذكره هنا ، إلا أننا لا نرى مندوحة

(١) ومن الغريب الطريف أنه أصاب أولاد العباس بن عبد المطلب
ما أصاب إخوة هاشم هؤلاء حتى قالوا : أبعد قبور إخوة على الأرض قبور
أولاد العباس : فعبد الله بن عباس الحبر دفن في الطائف ، والفضل بن عباس
رديف رسول الله ﷺ مات في طاعون عمواس بالشام أيام عمر ، وعبيد الله بن
عباس الجواد مات بالمدينة ، ونثم بن عباس شبيه النبي ﷺ مات بسمرقند زمن
معاوية ، وعبد الرحمن بن عباس قتل بإفريقية زمن عمر . اهـ ملخصاً عن النوادر
للقالبي ص ١٩٧

(٢) تاريخ العرب الأدبي للاستاذ رينولد نيكلسون ترجمة محمد حسن

عن التعرض للتقدمة التي قدم بها أنيس (سائس فيل أبرهة) ، عبد
المطلب إلى أبرهة إذ قال له : « أيها الملك ! هذا سيد قريش بيابك
يستأذن عليك وهو صاحب غير مكة ، يطعم الناس بالسهل والوحوش
في رؤوس الجبال . (١) » وكان أبرهة أخذ لعبد المطلب مئتي بعير أصابها
خارج مكة فأتاه يستردها . وإذا كان مئتا بعير مما يملك مثل عبد
المطلب وأضفت إلى ذلك ما يذكر الرواة من أن عبد المطلب أمهر
امراته ، فاطمة بنت عمرو دئة ناقة ومئة رطل من الذهب (٢) ، وهو لم
يشتهر بكثرة الأسفار كما اشتهر غيره من القرشيين ، أمكنك أن
تصور الغنى الذي تمتع به هذا البطن من العرب .

وعبد المطلب هذا هو الذي رأس وفد قريش الذي ذهب إلى
سيف بن ذي يزن ليهنئه بالملك وبالظفر . وقد لقي الوفد ورئيسه خاصة
من إجلال الملك وإكرامه ما تجد تفصيله في العقد الفريد (١٧٥:١)

(١) المصدر السابق . هذا وقد كان أبرهة بنى بيتاً مقدساً باليمن ليصرف الناس
عن قصد الكعبة والحج إليها ، فلما رأى اليمنيين وسائر العرب لا تنصرف عن الحج إلى مكة
والطواف بكعبتها غاظه ذلك وعزم على هدمها . والحافز له على ذلك - فيما
أرى - تجاري قبل كل شيء . إذ في إقامة الحج في اليمن ونقل أسواق العرب
الكبرى إليها ما يجلب الحياة والانتعاش والنشاط للحركة الاقتصادية باليمن ،
وذلك بالطبع يستتبع عمرانها وتقدمها وغناها .

(٢) إنسان العمون ٤٨/١

فارجع إليه ثمة ، وكان قبيل ذلك قد وفد الى معد يكرب حين ملك على اليمن^(١) . وينسب إلى عبد المطلب هذه الآيات يذكر فيها حرمة البيت ويعرض لجيش أبرهة :

نحن آل الله في ذمته لم نزل فيها على عهد قدم
إن للبيت لرباً مانعاً من يرد فيه ياثم يُخترم
لم نزل لله فينا حرمة يدفع الله بها عنا النقم^(٢)
ثم أفضى الأمر من بعده إلى أصغر أولاده العباس بن عبد المطلب
ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثمانين سنين . وبقي الأمر في يده حتى
جاء الاسلام .

ومن تمام الوصف أن نختصر هنا عن العقد الفريد توزيع
(الوظائف الرسمية) على بطون قریش ، في هذه الجمهورية التجارية في
مكة ، التي شبهها « لادنس » بجمهورية البندقية وقرطاجة ، لسيطرة
المالين من أرباب التجارة وأصحاب رؤوس الأموال^(٣) :

(١) مروج الذهب ١٠/٢

(٢) هذا وقد جاء في فهرست ابن النديم ص ٧ « أنه كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم ، فيه ذكر حق عبد المطلب ابن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وذل ؟ صنعاء ، عليه ألف درهم كميلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه ؛ شهد الله والملائكة . »

(٣) مجلة المشرق سنة ١٩٢٦ ص ٥٢٩

قال ابن عبد ربه^(١)

« من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم هاشم وأمّية ونوفل وعبد الدار وأسد نيم ومخزوم وعدي وجموح وسهم :

١ - فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب : يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الإسلام .

٢ - ومن بني أمّية : أبو سفيان بن حرب : كانت عنده العقاب زاية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأوا صاحبها فقدموه .

٣ - ومن بني نوفل : الحارث بن عامر وكانت إليه الرفاة .

٤ - ومن بني عبد الدار : عثمان بن طلحة كان إليه اللوا والسدانة مع الحجابة والندوة .

٥ - ومن بني أسد : يزيد بن زمعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة . وذلك أن قريشاً لا تجتمع على أمر حتى يعرضوه عليه فإن وافقه والاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعوانا .

(١) المقدم القريب ٣/٣١٣ فما بعد (مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ)

٦- ومن بني تيم : أبو بكر الصديق . وكانت إليه في الجاهلية الأشناق وهي الديات والمغرم . فكان اذا احتمل شيئاً من الدماء فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه .

٧- ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة ، فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجدهون إليها ما يجزون به الجيش ، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .

٨- ومن بني عدي : عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية . وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به .

٩- ومن بني جُمح : صفوان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام يستقسم لهم بها إذا أرادوا أمراً من أمورهم العامة .

١٠- ومن بني سهم : الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لأهلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية وهي السقاية والعمارة^(١) والعقاب والرفادة والسدانة والحجابه والندوة واللواء والمشورة

(١) يبشرها ابن عبد ربه بعد أسطر .

والأشناق والقبة والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والأموال
المحجرة ، الى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت
في أوليتهم ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر .

وجاء الاسلام فوصل لهم ذلك . فكانت سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام وحلوان النفر في بني هاشم . والعمارة هي ألا يتكلم
أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع صوته ، فكان
العباس ينهاهم عن ذلك . وأما حلوان النفر : فإن العرب لم تكن تملك
عليها في الجاهلية أحداً فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة فمن
خرجت عليه القرعة أحضره صغيراً كان أو كبيراً ؛ فلما كان
يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير
فأجلسوه على المنج . »

* * *

- ٢ -

هذا أمر سراة قريش ورؤسائهم فأما عامتهم فقد أخذوا
يشغلون مركزاً ممتازاً بين قبائل العرب ساعدهم على بلوغه مقامهم في
مكة حيث البيت والحرم ، إذ كانوا يقومون بسدائه البيت وما يحتاج
إليه من خدمة وعناية . فكانت العرب تعرف لقريش شرفها ومكاتها
وغناها كما تعرف لها زعامتها الدينية وسيطرتها على مكة وإدارتها ،

« ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها : أهل الله ^(١) . » ،
وأبلغ تعبير عما بلغته قريش في نفوس العرب من منزلة في الجملة قول
رسول الله ﷺ فيما بعد : « الناس تبع لقريش في الخير والشر » ^(٢)
والقرشيون من بين عامة سكان الحجاز أغنياء مهرة في أمور
التجارة لا يكاد يعرف لكثير منهم عمل غير الاتجار « ومن لم يكن
من قريش تاجراً فليس بشيء » ، فكانوا ينظمون عيرهم في الشتاء إلى
اليمن حيث يتبايعون سلع الهند والحبشة المستفيضة هناك فيحملونها إلى
الحجاز ، وعيراً في الصيف إذ يرحلون بما حملوا من الحبشة والهند وما
عندهم ايضاً من محصول بلادهم كالتمر والأدم ، إلى الشام فيفرغون
في أسواقها : غزة وبصرى وغيرهما ، ما في أحماهم ويأخذون بدلاً
منها ما في الشام مما لا يكون بالهند ولا بالحبشة .

وكانوا يسرون قوافل عظيمة معها حامياتها وأدواتها ومعهم
الأدلاء يسرون بين أيديهم . أما الحاميات فأكثر ما تكون من بني
غفار ومن إليهم ، ممن يتقاضون على مرافقة العير وحمايتها جعلاً من
قريش ، هذا عدا عبدان قريش ومواليها وأحلافها .

اختلاط القرشيين بالروم والفرس والحبشان بسبب التجارة

(١) الصاهي ص ٢٣ (٢) تيسير الوصول ٣٠٤/٣

جعلهم يتميزون من سائر العرب بميزات أفادوها من هذا الاختلاط ،
فتعلم فريق منهم الكتابة من الحيرة ونشروها لما رجعوا إلى بلادهم
فكان في مكة والطائف عدد يسير يحسنون الكتابة^(١) ويذكرون
أنه كان لبشر أخي أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل صحبة
بحرب بن أمية التاجر القرشي الكبير « لتجارته عندهم في بلاد العراق
فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصبياء بنت
حرب ، فتعلم منه جماعة من أهل مكة فهذا أكثر من يكتب بمكة من
قريش قبل الاسلام . ولذلك قال رجل كندي من أهل دومة الجندل
بين علي قريش بذلك :

لا تسجدوا نعاء (بشر) عليكم
أناكم بخط الجزم حتى حفظتم
وأقتنتم ما كان بالمال مهملًا
فأجريتكم الاقلام عوداً وبدأة
وأغنيتم عن مسند الحمي حمير
فقد كان ميمون النقيبة أزهرًا
من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وطا منتم ما كان منه منفرا
وضاهيتم كتاب كسر وقيصرا
وما زبرت في الصحف أقيال حميرا^(٢)

(١) انظر بلوغ الأرب ٣ : ٣٦٨ وما بعدها . ولما دون عمر الديوان أمر
عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش
فكتبوا ديوان الجند ، فلولا التجارة ما كان لقريش هؤلاء الكتاب المخضرمون .
(٢) انظر الزهر للسيوطي (النوع الثاني والاربعون ٣٤٦/٢ طبعه
عيسى الحلبي) الأولى

ومهما يكن فقد كان أكثر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ منهم
ومن هنا كان القرشيون أقرب العرب من علم وثقافة وتهذيب ،
لمخالطتهم هؤلاء الأجانب المتحضرين وقبسهم شيئاً من تعاملهم في بيوتهم
وأنظمتهم في تجارتهم حسبما كانوا يرون في الأسواق التي كانوا يحيطون
رحالهم فيها . وهذه الأسواق وإن لم تكن في الدرجة الأولى
بين أسواق الرومان ، ولا كان أهلها سابقين في مضمار الحضارة كثيراً ،
لم تخل من آثار بعيدة في التحضر استفاد منها تجار مكة شيئاً يعتد به
في السياسة والاقتصاد .

بل لقد تأثروا برحلاتهم هذه ببعض المعتقدات أيضاً فقد ذكروا
أن عبادة الاصنام طارئة على أهل مكة من الشام ، وان عمرو بن لحي
- فيما زعموا - أول من نشر عبادة الاصنام حول الكعبة حين حمل
معه صنماً من اصنام وجدها في جنوب الشام فنصبه في الكعبة ^(١) .

وفشت في جماعة من قريش زندقة حتى قال صاعد : « كانت الزندقة
في قريش أخذوها عن أهل الحيرة » ^(٢)

فأنت ترى أن هذه الرحلات أثرت حتى في معتقدات العرب

(١) انظر مثلاً : مروج الذهب للمسعودي ١/٣٦٧

(٢) طبقات الامم لصاعد ص ٦٧

ومن القريب المألوف أن يحمل الرحالون من البلاد التي ينزلونها شيئاً من طرائقها في العادات والدين والأخلاق والعروض، والأزياء يتحدثون عنه إذا ردتهم أسفارهم إلى بلادهم، فيعجبون منه ذويهم وجيرتهم ممن لم يكن له بتلك البلاد عهد، وما أكثر ما يحاول الانسان تقليد من يملأ عينه.

أفادت قريش من هذه الرحلات وهذا الاختلاط بالأمم التي سبقتهم، كثيراً من اللباقة والكياسة إلى ما عرفت به من الفصاحة المشهود لهم بها، حتى إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش، وعرض علقمة الفحل عليهم شعره فوصفوه بـ سِمِطِ الدهر^(١)، وثقفت ألواناً من الدهاء والاحتيال، لا يحسنها إلا من رسخت قدمه في التجارة وأسبابها وضروب تعاطيها، حتى إذا دار الزمان وقضي للعرب أن تكون لهم دولة ذات سياسة داخلية وخارجية، كان أقطاب هذه الدولة وأركانها أولئك التجار الذين يعرفون كيف يتأتون للأموال ويتلطفون لمواجهة الصعاب وتذليل العقبات وحل المشكلات من أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وأبي سفيان ومعاوية وعمر بن العاص وزباد والمغيرة، وتلك الطبقة الممتازة من أكابر التجار^(٢) في الجاهلية

(١) الأغانى ١١٢/٢١

(٢) من المهم أن نلاحظ هنا أن أكثر تجار قريش أمويون، وقد طال -

و كبار أهل الحل والعقد في الإسلام .

ومتى رميت برجل ذي ذكاه ومواهب ، في قطر تجاري كالشام
أو العراق (قبل الإسلام) فاختلط بالتجار ، وقاسى محيطاً غير محيطه ،
تفتحت تلك المواهب ، وانجلت عن نبوغ كبير ما كانت لينكشف
لو جمد صاحبه في محيطه الضيق ، بين شعاف مكة وبطاحها . إن شئت
فانظر إلى هذا الاحتيال المضاعف الذي أتاه المغيرة بن شعبة وضحك
به على كل خمار في الحيرة (إن كان ليعجز عن أقل منه أقطاب فضائح
« ستافسكي » رغم ما يجزهم به العصر العشرون من وسائل وعدد .)
ولعل في هذه القصة التي سأوردها لك بياناً شافياً لهذا الدهاء التجاري
الذي تمرست به قریش وامتازت به من العرب قاطبة :

قال المغيرة بن شعبة :

« أول ما عرفني به العرب من الدهاء والحزم ، أني كنت في
ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحيرة فقلوا لي : « قد اشتينا
الشراب وما معنا إلا درهم زائف . » فقلت : « هاتوه وهلموا زقين . »
فقالوا : « وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد ! » قلت : « أعطوني
ما طلبت وخلصكم ذم . » ففعلوا وهم يهزؤون من قولي .

= ترددهم ولبثهم في الشام ، فاطلموا على أصول السياسة والحكم ، وكان نجاحهم
فيما بعد من ثمة .

فصبيت في أحد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت إلى خمار فقلت له :
« كل لي ملء هذا الزق . » ففلاه . فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته
إياه . فقال : « إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم
زائف ! » فقلت : « أنا رجل بدوي وظننت أن هذا يصلح كما ترى ،
فإن صلح وإلا فخذ شرابك . » فاكتال مني ما كاله وبقي في زقي من
الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزق الآخر وحملتها
على ظهري وخرجت ، فصبيت في الزق الأول ماء ودخلت إلى خمار
آخر فقلت : « إني أريد ملء هذا الزق خمرأً فانظر إلى ما معي منه ،
فإن كان عندك مثله فأعطني . » فنظر إليه (وإنما أردت ألا يستريب بي
إذا رددت الخمر عليه) فلما رآه قال : « عندي أجود منه . » قلت :
« هات » فأخرج إليّ شراباً فاكتلته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت
إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه فقلت : « خذ خمرك »
فأخذ ما كالي وهو يرى أنني خلطته بالشراب الذي أريته إياه . وخرجت
فجعلته مع الخمر الأول .

ثم لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الأول
وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي فوضعت الزقين بين أيديهم
ورددت درهمهم .

فقالوا : « ويحك ! أي شيء صنعت ؟ » فحدثهم فجعلوا يعجبون
وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم^(١) ،

هذا احتيال لا يخترعه إلا عقل تاجر ماهر ، لم يجرفته وأسرارها
وبالغش وضروبه ، أحسنه قريش وشركاؤها كما أحسنت ضرباً آخر
من اللباقة وحسن التأني مع الدول المجاورة التي تاجروا في بلادها ،
فكانوا بهذه الكياسة ، ينجون من عقاب المخالفات التي يرتكبونها
وعواقب المغامرات التي يقتحمونها . ولما أرادت قريش أن تفتح لها
أسواق فارس ولم تكن ترتادها كما ترتاد أسواق الشام ، كان لا بد في
سبيل الوصول إلى ذلك من مغامرات ومخاطرة وتعرض للأذى وكانت
الحاجة تخلق لها مغامرين أذكيا منها أو من شركائها يصلون برفقهم
ودهائهم إلى ما يريدون مع السلامة والغنيمة . ونحن ذاكرون لك هنا
شاهداً ، مهما يكن حظ التزيد فيه فإن ما يخلص منه بعد الامتحان
صالح لأن يعطيك صورة صحيحة عن فطنة القوم في أمور التجارة
والاحتيال لها والجرأة فيها :

ذكر الرواة أن أبا سفيان خرج في جماعة من قريش يريدون
العراق بتجارة ، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال لهم : « إنامن

مسيرنا هذا لعل خطر ، ما قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمتجر ؟ ولكن أيكم يذهب بالخير فإن أصيب فنحن براء من دمه وإن غنم فله نصف الربح ؟ »

فقال غيلان بن سلامة : « دعوني إذا فأنا لها . » فدخل الوادي

فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رأني أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور إلى أمر له طبق

لقال رعب ورهب يجمعان معاً حب الحياة وهول النفس والشفق

إما بقيت على مجد ومكرمة أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً فلما قدم بلاد

كسرى تخلّق ولبس ثوبين أصفرين وشهر أمره وجلس بياب كسرى

حتى أذن له ، فدخل عليه فخرج إليه الترجمان وقال له : « يقول لك

الملك : ما أدخلك بلادي بغير إذني ؟ » فقال . « قل له : لست من أهل

عداوة لك ، ولا أتيتك جاسوساً لئلا أضدمن أضدادك ، إنما جئت بتجارة

تستمتع بها ، فإن أردتها فهي لك وإن لم تردها وأذنت لي بذلك رددتها . »

فتكلم كسرى فلما سمع صوته غيلان سجد ، فقال الترجمان : « يقول

لك الملك لم تسجدت ؟ » فقال : « سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي

لأحد أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يقدم على رفع

الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له . « فاستحسن كسرى ما فعل وأمر له بمرفقة توضع تحته ، فلما أتى بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه ، فاستجله كسرى واستحمقه وقال للترجمان : « قل له إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . » قال : « قد علمت ، ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك ، فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقها التعظيم ، فوضعتها على رأسي لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ . » فاستحسن فعله جداً ثم قال له : « ألك ولد ؟ » قال : « نعم » قال : « فأبهم أحب إليك ؟ » قال : « الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب » فقال كسرى : « زه ، ما أدخلك عليّ وذلك على هذا القول والفعل إلا حظك ، فهذا فعل الحكماء وكلامهم ، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ » قال : « خبز البُر » قال : « هذا العقل من البُر لا من اللبن والتمر . » ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه [وبعث معه من الفرس من بني له أطمأً بالطائف فكان أول أطم بني بها ^(١)] . فهذا نمط مما بلغ إليه القوم .

(١) انظر الاغانى ١٢ : ٤٦ ولغيلان هذا شأن في العرب ، فمحمد بن حبيب في (المجرب ص ١٣٥) وتبعه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة [٢٧٤ : ٢]
عده من حكام قيس وذكر أن له ثلاثة أيام : يوم ينشد الناس بشعره ويوم =

حتى الأجيال التي انقطعت عن التجارة من القرشين كانت
الفاظ التجارة وحساباتها أسرع إلى أفكارهم وعلى ألسنتهم حين التعبير،
فهذا إسماعيل بن علي بن العباس يقول لطلحة بن عمر بن عبد الله :
« أنت أئجر الناس ! » فيقول طلحة : « والله ما عاجلت تجارة قط ! »
فيجيبه « بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك
إبراهيم ورملة ، فزوجت رملة بمئة ألف دينار فربحت ستين ألفاً
وإبراهيم » في خبر طريف^(٢)

* * *

مكانة قريش من العرب وقيامها على الدين كلفاها مغارم كانت
تؤديها عن طيب نفس ، ويتعاون أفراد هذا الحي على الإنفاق في كل
ما يعود على مكة والبيت وأهله بالفخر والتكرمة . ولنا على ذلك
دليلان مشهوران هما خير ما يمثل لنا تضامن هذا الحي في المكارم ،
وما يتكلف من بذل وخدمة في سبيل تقوية منزلته من نفوس العرب
وفي سبيل تعظيم حرمة البيت وأهله وحفظ قدسيته في قلوب القبائل كافة :

= يحكم بين الناس ويوم يقعد للناس فيه فيزار وينظر إلى سروره وجماله . فلا تعجب
بعد هذا إن حدثتك نفسك بتزيد أضيف إلى أخباره .

(٢) انظره في كتاب (أخبار النساء) لابن قيم الجوزية ص ٧٣ [مطبعة التقديم

العلمية بصر سنة ١٣١٩ هـ]

أما الاول فالرفادة التي كانت من مناقب قريش خاصة ، مما تفاخر به أحياء العرب قاطبة وهي - كما ذكرنا في موضع آخر - « شيء » تترافد به قريش في الجاهلية تخرج فيما بينها ما لا تشتري به للحاج طعاماً وزيباءه ولعل في هذا الامر شيئاً وراء إكرام حجاج البيت الحرام ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بشعائر وعقائد تمت إلى الدين ، وهذا الشيء هو إغراء العرب بحج تلك الاسواق التجارية والاقبال عليها حتى تغص بالبايعين والشارين ، فتأمن قريش على أرباحها وتكفل من ذلك رواج تجارتها التي هي قوام أمورها في الحياة . فالغرض الحقيقي - فيما يبدو لي - تجاري أكثر منه دينياً . ولا يفسر ذلك أحسن تفسير إلا الحوادث التي رافقت البعثة ، وما لاقى رسول الله ﷺ أول أمره من الألاقي والأذى . وما كانت قريش - وهي ماهي حصافة عقول - لتعمى عن نور الإسلام لولا أنها خافت على زعامتها التجارية والدينية أن يدكها الإسلام ويذهب ريجها ، وانما تسلطت قريش على نفوس العرب السذج بتلك الخرافات التي جعلت من أصنام الكعبة آلهة مقدسة لُفَّقَ حولها أباطيل وقصص اتخذت مع الزمن شكل العقائد ، وجعلت من قريش قوَّاماً على هذا الدين الذي دانت له العرب في الجاهلية .

وأما الأمر الثاني فما كانت تتشارك فيه من كسوة الكعبة جاء في (أخبار مكة للأزرقي ص ١٧٤) :

« إن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى ، كانت البدنة تُجَللُ بالخبرة والبرود والأكسية ، وغير ذلك من عصب اليمن ، وكان هذا يهدى للكعبة سوى جلال البدن ، هدايا من كسى شتى خزياً وحبيرة وأنماط تعلق فتكسى فيه الكعبة ويجعل ما بقي في خزانة الكعبة . فاذا بلي منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك ، وكان يهدي إليها خلوق ومجمر ، وكانت تطيب بذلك في بطنها ومن خارجها » .

ويظهر أن الحرص على شرف هذه الكسوة كان بالغاً ، وكان مما تباهي به قريش سائر العرب حتى كان في الأفراد من اشرب للاستثمار بهذه المكرمة وحده بلا شريك ، ففي ص ١٧٥ من الكتاب المذكور : كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة ابن المغيرة بن عمرو بن عبد الله بن مخزوم ، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها ، فأثرى في المال فقال لقريش :

« أنا أكسو وحدي الكعبة سنة ، وجميع قريش سنة . » فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالخبرة الجيدة من الجند (أحدى قرى

اليمن ومن أسواق العرب) فيكسوها الكعبة فسمته قريش (العدل) لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها ، فسموه الى اليوم العدل ويقال لولده بنو العدل .

والحق أن الامر لم يقتصر على هذه (المكارم الرسمية) من الرفاة وكسوة الكعبة وما إليها ، بل كان ذلك من أخلاق قريش الملازمة لهم في حلهم وترحالهم فـ «لم يكن أحد يتزود مع قريش في سفر ، وكانوا يطعمون كل من يصحبهم» وعرف ثلاثة نفر منهم بالمفتهم في هذه الخصلة بـ (أزواد الركب) وهم مسافر بن أبي عمرو بن أمية وزمعة بن الاسود ، وابو أمية بن المغيرة .^(١)

لم تنج قريش من السنة العرب ، ولم تخل بمن نفس عليها مكانها أو حقد عليها استئثارها بالغني من أفناء العرب الذين يقدمون مكة فيعانون من تجارتها عنثاً وإرهاقاً ، عدا مايسامون من الهزء أحياناً ومن أداء الربا المضاعف لهؤلاء . وكان اشتغال التجار بتجارتهم وانكبابهم على شؤونها قد صرفهم بعض الصرف عن معالجة شؤون الحرب كما يعالجها أمثالهم من غير التجار . ولاحظ ابن سلام ان الذي

(١) الاغانى ٩/٩٤ (طبعة دار الكتب) ، وانظر في هذه الصفحة الحاشية المنقولة عن كتاب (مايعول عليه في المضاف اليه) .

قلل شعر قريش عدم اشتغالها بالحروب « فلم يكن بينهم نائبة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف ^(١) » وعُمان والطائف أيضاً بلدان تجاريان . ولما أرادت أن تباهي الانصار ولم يكن لها أيام ولا أشعار جعلت « تزيد في أشعارها ^(٢) » . عرف بعض العرب ذلك من أمرها والبدو يحقرون التجارة بطبعهم ككل الأمم التي تعيش من الغزو والسلب ، فصاروا يعيرونها بها ، وطار لهم أشعار في ذلك ، منها ما يحقر التجارة نفسها ، ومنها ما يقصد الى قريش مباشرة ، وانظر إن شئت قول القائل يريد مكة :

ولا مرتع للعين أو متقنص ولكن تجراً والتجارة تحقر
وقول ابن الزبيري :

ألهي قصياً عن المجد الاساطير
وقولها : رحلت عير أتت عير

ومن هنا كانت استهانة بعض العرب بقريش وعدم الهيبة منها لانكبابها على التجارة وشغلها عن الحروب من دون سائر العرب ، عرف ذلك من امرهم القاصي والداني ، جاء في تاريخ الطبري عند كلامه على فتوح سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الاسلامية في العراق ما يأتي :

(١) طبقات الشعراء ص ١٠٢ . (٢) ص ٩٨ المصدر نفسه .

« سأل النعمان بن قبيصة الطائي ، وكان على مرابطة كسرى عن سعد بن أبي وقاص فقيل له : « رجل من قريش » فقال : « أما إذ كان قرشياً فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ، إنما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمينعون خفيراً ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير^(١) ، إلا أنه لما عانى من شدة بأسهم ما عاناه علم أن في جلود أولئك التجار مغاوير حرب ومذاويد حق^(٢) .

كان لهؤلاء القرشيين معارف في بلدان الشام واليمن وفارس وكانت قريش تنظم وفوداً تفد على ملوك النواحي ، ونحن نعلم أن عمرو بن العاص كان يعرف مصر وغزة والشام تمام المعرفة ويعزى نجاحه في فتح مصر إلى عوامل منها إجادة معرفته بها . ولما كان أمام غزة دخل على حاكمها بصفة موفد وعرفه الحاكم وأمر حاجبه سرّاً بقتله لولا أن نبهه عربي نصراني كان يعرف عمراً في الجاهلية حين كان يتاجر والقصة مشهورة . وعرف من القرشيين تجار كبار ذوو أسفار بعيدة

(١) تاريخ الطبري ١ : ٢٣٥٠ (طبع ليدن) .

(٢) ليس غريباً أن يحقر بعض العرب حينذاك التجارة ، ولما الغريب أن تستمر هذه النغمة في النفوس حتى القرن الرابع الهجري وقد تبدلت الأرض غير الأرض فيقول شاعر مثل المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة .

ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نفض النعال

كثيرة ، فأبو سفيان كان « تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم ^(١) » ولعل أول عير طرقت بلاد فارس العير التي كان هو صاحبها ، والتي دخل بها غيلان مخاطرأ كما تقدم . ثم كانت له عودات إلى فارس ، ودخل وافداً مرة على كسرى وأهدى إليه « خيلاً وأدماً فقبل الخيل ورد الأدم » قال أبو سفيان : « أدخلت على كسرى فكأن وجهه وجهان من عظمه . فألقى إليّ مخذة كانت عنده فقلت : واجوعاه ! هذه حظي من كسرى بن هرمز ؟ » فخرجت من عنده فما أمر على أحد من حشمه إلا أعظمها حتى دفعتها إلى خازن له فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فضة وذهب ^(٢) .

وكان يخرج إلى اليمن أيضاً ويتصل بطبقات أهلها وأخبار يهودها كما يتصل غيره فيعلمون من الأخبار والسياسة ما لا يعلمه غيرهم ، وقرأ في الأغاني كيف يشرح لك الحرب بين هرقل وفارس وكيف انتصر هرقل ، وكيف خرج من حمص ليصلي بيت المقدس شكراً لله . وهو حديث طويل مستوفى في كتب السيرة هو والحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان في شأن بعثة النبي ﷺ ، ولا بأس في أن نقل هنا أول هذا الحديث لعلاقته بموضوعنا قال أبو سفيان :

« كنا قوماً تجاراً و كانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا . فلما كانت الهدنة [هدنة الحديبية]

(١) الاغاني ٦ : ٣٤٣ دار الكتب . (٢) العقد الفريد ١ / ١٧٤ .

بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجت في نفر من قريش إلى الشام ،
وكان وجه متجرنا منه غزة ، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان
بأرضه من الفرس .. الخ^(١) »

واقراً أيضاً ما كان بينه وبين العباس وحبس من أحبار اليهود في
متجرهم باليمن (الأغانى ٦ : ٣٤٩) فستعرف من كل ذلك أن هؤلاء
التجار كانوا على اتصال بما كان يجري في زمنهم من أحداث سياسية ،
شديدو الاهتمام بذلك لما يعود على علاقتهم بالبلدان وعلى تجارتهم .
وكانوا ينقلون إلى بلادهم بعض ما يجدون في متاجرهم الخارجية من
طرف وغرائب ، ولعلمهم استفادوا من بعض الأنظمة
الاجتماعية التي وجدوا عليها الروم أو فارس . بل ما يدرينا أن دار
الندوة نفسها اقتباس مغير مصغر ، عن مجامع الروم الدينية والمدنية
فقد كان مجلساً منظماً « لتشاور قريش وعقد الألوية في حروبهم .
ولا ينكح رجل من قريش إلا فيها ولا يعقد لواء الحرب لهم ولا
لغيرهم إلا فيها ، ولا يعذر غلام إلا فيها^(٢) » ولا تدرع جارية من

(١) الأغانى ٦ : ٣٤٥ [دار الكتب]

(٢) مدينة العرب في الجاهلية والاسلام - محمد رشدي : ص ٥٨ ويعذر

قريش إلا فيها يشق عليها درعها ثم تدرع وينطلق بها إلى أهلها ولا تخرج غير من قريش إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها. وهذا عبد الله ابن جدعان أتى العرب بطعام لا عهد لهم به : وفد على كسرى فأطعمه الفالودج فسأل عن صنعه وحمل معه غلاماً يحسن له عمله ، فصار يطعم أهل مكة منه . وهو من سراة مكة وأجوادهم وأحد أغنيائهم الكبار و« وضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالودج فليحضر ، فحضر الناس^(١) » وقال فيه أمية بن أبي الصلت يصف طعامه هذا :

له دأع بمكة مشمعل^٢ وآخر فوق دارته ينادي
إلى رُدْح من الشيزي ملاء^٣ لباب البر يلبك بالشهاد^(٢)

(١) (٢) الاغاني ٨ : ٣٣٠ شمل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا ، ورُدْح جمع رَداح وهي الجفنة العظيمة . والشيزي . خشب أسود تتخذ منه القصاع .

جاء في الأمالي ٣ : ٣٨ : قال أمية بن أبي الصلت : أتيت نجران فدخلت على عبد المدان بن الديان ، فاذا به على سريره ، وكان وجهه قمر ، وبنوه حوله كأنهم الكواكب ، فدعا بالطعام فأتي بالفالودج فأكلت طعاماً عجيباً ثم انصرفت وأنا أقول :

ولقد رأيت القائلين وفعلهم
ورأيت من عبد المدان خلانقاً
فرأيت أكرمهم بني الديان
فضل الأنام بين عبد مدان
لا ما يعلننا بنو جدعان
=

ومن كان يواصل أسفاره في التجارة أبو طالب والعباس عما
النبي ﷺ وقد أخرج أبو طالب ابن أخيه محمد. بدأ مرتين إلى الشام في
تجارة : مرة وهو فتى لا تتجاوز سنه الخامسة عشرة ومرة وهو شاب
في سن الخامسة والعشرين .

وقد تجر أبو بكر إلى الشام وتجر عمر إلى غزة وفيها استغنى في
الجاهلية على ما قال ابن حوقل^(١) ، واستمر عمر مشغلاً بالتجارة في
الإسلام وأسف على اشتغاله هذا إذ حرم من علم كثير ، وجهل في
خلافته مسألة في الاستئذان فلما رويت له عبر عن أسفه بقوله : « أخني
علي [هذا] من أمر رسول الله !؟ أهاني الصفق بالأسواق ، يعني
الخروج إلى التجارة^(٢) .

وقل أن تجد قرشياً ذا شأن في الجاهلية والإسلام إلا كان

= فبلغ ذلك عبد الله بن جدعان ، فوجه إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج
بالهسل ، فكان أول من أدخله مكة ففي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت :
« له داع ... البيتين »

ولعل الفالوذج الذي كان صنعه الغلام الفارسي بمكة لعبد الله بن جدعان لم
يكن لذنباً في فم الشاعر أمية كما كان فالوذج نجران .

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ١١٣ طبع ليدن .

(٢) الأدب المفرد للبخاري ، الباب ٤٩٢ ص ٢٧٤ [المطبعة السلفية

تاجراً^(١) واستفاض لهم غنى عريض وثروة واسعة حتى كثير منهم الأجواد وغزرت عطاياهم وقصدهم العفاة وأصحاب الحاجات وكان من ذلك ما تقرؤه من أخبار جودهم الكثيرة في العقد الفريد والأغاني وغيرهما من الأمهات .

ولم تكن النساء القرشيات لتقصر عن الرجال في هذا المدى بل كان منهن من اتسعت ثروتها من التجارة حتى فاقت كثيراً من الرجال . ولعل السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين خير مثال تقدمه على ذلك ؛ فقد كانت من أكبر تجار قريش وأكثرهم مالاً وأوفرهم غنى ، وكانت في حسب ومقام رفيع في قومها ، مع مزايا في أخلاقها طيبة . كانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم . ترسل بأموالها إلى الشام وإلى عكاظ وحباشة وغيرهما من أسواق العرب . وكثيراً ما كانت ترجع هذه الأموال بربح وافر . وذكروا أن غير

(١) وفي كتب الأدب تقع على مكاسب كثير منهم ، وفيهم من صاروا أعلام الإسلام فيما بعد ، فابن قتيبة في كتابه المعارف يذكر أن أبا سفيان كان يبيع الزيت والأدم ، وأمّية بن خلف يبيع البرم ، وعقبة بن أبي معيط كان خماراً ، وأبو طالب كان يبيع العطر وربما باع البز ، وأبو بكر وعثمان بن عفان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف كانوا يبيعون البز . . . المعارف ص ٢٤٧

خديجة كعامة غير قریش^(١) . ولما بلغها عن محمد بن عبد الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج إلى الشام ، ولعل الحقيقة ما ذكره الزرقاني شارح المواهب من أن الرسول نفسه استشرف للسفر بمال خديجة فقد ذكر :

[أن أبا طالب قال له : « يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكورة وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيرون منافع ، فلو جئتها لفضلناك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك . » فقال محمد : « لعلها ترسل إلي في ذلك . » فقال أبو طالب : « إني أخاف أن تولي غيرك . »]

وبلغ خديجة ما كان من محاورتها فقالت لمن بلغها : « ما علمت أنه يريد هذا . » ثم أرسلت إليه وقالت له : « دعاني إلى البعثة إليك ما يبلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك . » فذكر ذلك لعمه فقال : « إن هذا لوزق ساقه الله إليك » وكان عمره صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة خمساً وعشرين سنة . « وخرج رسول الله إلى سوق بصرى فباع سلعته

(١) شرح المواهب ١ : ١٩٨ وابن سعد ٩/٨

التي أخرج واشترى غيرها وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تبيع..^(١) كانت قريش تنظم كل سنة عيراً بتجارة إلى الشام، وكانت هذه القوافل تزيد شأنها عاماً فعاماً .

ولما بلغ أذى قريش من المسلمين ما بلغ، حتى اضطر هؤلاء إلى الهجرة إلى الحبشة^(٢)، ثم الهجرة الكبرى إلى المدينة^(٣)، واعتزل المسلمون وقورا... كان أول أمر ينتصفون به لأنفسهم، ويحملون أعداءهم من قريش بسببه على الكف من كيدهم وأذاهم لمن في بلدهم من ضعفة المسلمين، هو التعرض لتجارهم وإن جارينا مصطلح عصرنا قلنا: أن يضربوا على قريش حصاراً اقتصادياً، لعلمهم أن ذلك أبعث على الرعب وأبلغ في النكاية بهم وأفتك ما تكون الحرب في العدو

(١) طبقات ابن سعد ٩/٨

(٢) وإنما خصوا الحبشة بالهجرة لكثرة ترددهم عليها في الجاهلية للتجارة، وليناسهم من ملكها عدلاً ورعاية، والأصفهاني يذكر لنا في صدد كلامه على خروج عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص - وكانا تاجرين - إلى أرض الحبشة قوله: « وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً » - الاغانى ٥٦/٩ (طبعة دار الكتب) .

(٣) خافت قريش على مكانتها وتجارها فوضعت جائزة كبيرة لمن يأتيها بالنبي، حتى اضطر النبي وصاحبه إلى الاختفاء في الغار.. وهذا من أعمالهم (الدولية) التي أفادوها من مخالطتهم شعوباً خاضعة لحكومات مختلفة .

حين توهى (اقتصادياته) ، فأرسل الرسول ﷺ سرية عليها عبد الله بن جحش أمير ، لتعرض لعير قريش ، وكانت راجعة من الشام فترصدوها بموضع بين مكة والطائف يعرف بنخلة ، وكان في العير العلاء بن الحضرمي ، فلما مرت بهم حملوا على من فيها واحتجزوا الأموال وكانت زيبياً وأدماً وتجارة من تجارة قريش . فقتل من حامية القافلة من قتل ، وأسر من أسر وقوى الله المسلمين بما غنموا من عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم وأبنائهم ، وبلغ الخبر قريشاً فكانت الأذية منهم بالغة .

وكان السبب في استدراج المسلمين قريشاً إلى المعركة الحاسمة بين الإسلام والشرك في بدر الكبرى تجارياً أيضاً : فإن قريشاً أقبلت لها عير من الشام عليها أبو سفيان في ثلاثين راكباً ، وكان فيها معظم أموالهم ، قدرها المؤرخون بخمسين ألف دينار ، وقالوا : « لم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال إلا بعث به في العير . وبلغ النبي ﷺ خبرها فتجهز ليتعرض لها ، ولكن أبا سفيان أخذ على الساحل فنجابها بعد أن أرسل إليهم نذيراً ضمضم بن عمرو الغفاري يستنفرهم إلى العير . فجدع هذا أنف بعيره وحوّل رحله وشق قميصه من قبل ومن دُبُر وصرخ في أهل مكة : إن محمداً مع أصحابه قد عرض لعير قريش ،

يا معشر قريش! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، ما أرى أن تدركوها، الغوث الغوث... فنهضوا وقالوا: «أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله، ليعلمن غير ذلك.» وخرجوا ألفاً بين فارس وراجل، كل من قدر على النهوض نهض ومن لم يستطع أرسل بماله وسلاحه من يقوم مقامه. وكان كل ذي خطر إما في العير مع أبي سفيان، وإما في النفير إلى بدر، وصاروا بعد ذلك إذا استصغروا أحداً قالوا: «لا في العير ولا في النفير» فأرسلوها مثلاً في الناس.

ثم نجت العير، والتقى الجمعان في بدر الكبرى وكان من أمرهم ما يعلم الجميع. وقرر كبراء قريش أن ترصد أرباح العير للتجهيز لغزو محمد ثاراً لقتلى بدر.

وظفق الرسول عليه السلام بيث سراياه، وأشفقت قريش من ذلك إذ تعطل تجاراتهم إذا لم تكن الطريق آمنة، وطريقهم المسلوكة المعبدة هي الطريق المساحلة إلى الشام وإلى اليمن، وقد أصبحت غير مأمونة بعد أن صارت كتائب المسلمين ترصد قوافل التجارة المكية، وأشفق أيضاً القبائل المقيمة على هذا الطريق حول المدينة إلى مكة إذ بانقطاع هذا الطريق التجاري موت لهم. وأيُّ كان فقد فكرت قريش

في تغيير الطريق وسلوك طريق نجد فالعراق لبعده عن منطقة الحصار الذي ضربه المسلمون على تجارة مكة ، وقد قال صفوان بن أمية يوماً في أحد منتديات قريش : « إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعوه ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسكن . وإننا أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء . » فأشير على قريش أن تسلك طريق العراق ، فخرجت غيرهم مثقلة بالعروض والفضة ، وبلغ أمرها النبي فأرسل زيد بن حارثة في سرية اعترضت العير عند (القرودة) أحد مياه نجد فغنم العير وأسر الدليل . كان هذا الحصار الاقتصادي الذي أحكمه الرسول أهم الممهدات لفتح مكة فيما بعد إذ أضعف من قوة قريش الاقتصادية . وإنما قريش بتجارته وأموالها ، فإذا فقدت مكاتبها التجارية فقد هوى شأنها بين العرب ، ولذلك عادت تفكر في رفع هذا الحصار عنها في محاولات لم تنته بالنجاح . ولعل أشد ما أحمى قريشاً في موقفها من الرسول وصحبه في مفاوضات الحديبية خوفها أن تفقد مكة ما عرفت به من حرمة وأمن إذا اقتحمها عليهم محمد ﷺ عنوة ، فلا تعود العرب تقصدها للتجارة

فتعطل أسواقها وتخسر قريش أرباحها و ثراءها . فلذلك حالوا بكل ما يستطيعون دون وقوع قتال ودون دخول المسلمين لها عامهم ذلك ، إبقاءً على مصالحهم التجارية والأدبية بين العرب .

* * *

وليس يصور لنا ذلك الغنى المستفيض إلا الأخبار التي أثرت عن كبار القرشيين في الجاهلية والإسلام ، ولا بأس في ذكر عبد الله بن جدعان مثلاً في ذلك :

فقد تقدم أنه كان يبسط الموائد في مكة يطعم الناس الفالودج وله جفنة عظيمة يأكل منها الفارس على فرسه ، وفي الحديث : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي ^(١) » ورويت له أخبار أشبه بما يروى عن الملوك فقد كان يتخذ القيان يغنيه ثم يهبه لمادحه ، وكان يقضي عن الناس ديونهم ، وله شاعر هو أمية بن أبي الصلت ، وكان يلقب بجاسي الذهب ، وما أجد حاجة إلى التنبية على بطلان خرافة الكنز التي ذكروها تعليلاً لوجود كل هذا الغنى عنده ، فليس من كسب له ولا لقومه سوى التجارة ، وما عرفنا أن رمال الجزيرة مما تبطن الكنوز .

وأصحاب السير يقدمون لنا حساباً نستطيع أن نعتمد عليه هنا

(١) صكة عمي : حين اشتداد الهجرة .

في معرفة أرباحهم التجارية^(١) لنقدر نحن بعد ذلك الأمد الذي بلغوه في الثروة قالوا : إن قريشاً لما رجعوا من هزيمة بدر إلى مكة ، وقد أصيب أصحاب القليب ورجع أبو سفيان بعيره (سالمة) مشى جماعة من أشرف قريش من أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر فقالوا ، « يا معشر قريش : إن محمداً وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربته » يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ، والعير - كما تقدم من عادتهم - تنزل أول ما تنزل في دار الندوة حتى يتفق أصحابها على إخراجها للبيع ، فاستمر القرشيون وشركاؤهم أن ينفقوا ربح هذه العير على تجهيز جيش يجازبون به محمداً ﷺ ، وكانت ألف بعير موقرة بما قيمته خمسون ألف دينار ، وكانوا يربحون بكل دينار ديناراً - على ما نقل الزرقاني - فيكون ما أنفق على هذا الجيش خمسين ألف دينار ، أو - على رواية المقل - خمسة وعشرين ألف دينار . وهو على كل حال مبلغ ضخم جداً ، وكان عدد من استأجرهم أبو سفيان

(١) كانت هذه التجارة التي تبعت بها مكة والطائف جميعاً ، والتي كانت تجيء إلى مكة من بلاد الجنوب ، تجارة واسعة النطاق ، حتى لقد كانت بعض القوافل تسير في ألفي بعير ، حملاتها تزيد على خمسين ألف دينار . وكانت صادرات مكة السنوية على ما قدرها المستشرق (سبنجر) توازي مئتين وخمسين ألفاً من الدنانير أي نحو مئة وستين ألف جنيه ذهباً - حياة محمد ص ٢٤٠

من الأحابيش فقط ألفين . وفي هذا الحادث نزل قول الله عزوجل :
«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ .» (١)

وخلق بمن كانت أرباحهم بهذا المقدار أن يثروا في المدة الوجيزة
الثراء الكبير . ونحن نعرف أن رسول الله ﷺ أخذ من العباس
الفداء يوم بدر فكان مقداره عشرين أوقية من ذهب ، وأن عثمان
بن عفان وحده جهز جيش العسرة (في غزوة تبوك) ألف بعير
بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ولما أقحط الناس أيام ابي بكر وأت
عير لعثمان خاصة جعلها جميعاً في سبيل الله . ولما كانت الفتوحات زاد
غناه بما لا يقدر حتى إن ابن سعد صاحب الطبقات ليروي (٣ : ٥٣)
أنه « كان له عند خازنه يوم قتل (٥٠٠ ، ٥٠٠ ، ٣٠٠) درهم و (١٥٠)
ألف دينار فاتمتهبت وذهبت وترك ألف بعير بالربذة ، وترك صدقات
كان تصدق بها بيراديس وخيبر ووادي القرى قيمة مئتي ألف دينار»
وليس ما يروى في تقدير ثروة عبد الرحمن بن عوف بالقليل فقد
ذكر ابن سعد (٢) عنه أنه : « قدم المدينة فأخى رسول الله ﷺ
بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري ، فقال له سعد : أخي أنا أكثر

(١) سورة الأنفال ٣٦/٨ (٢) الطبقات ٣ : ٨٩ .

أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذته ، ونحني امرأتان فانظر أيتهما
أعجب إليك حتى أطلقها لك . « فقال عبد الرحمن : « بارك الله لك
في أهلك ومالك ، دلوني على السوق .. » فاشترى وباع فربح فجاء
بشيء من أقط وسمين ، ثم لبث ماشاء الله ان يلبث فجاء وعليه ردع
(لطح وأثر طيب) من زعفران فقال له رسول الله ﷺ « مهيمم »
فقال : « يارسول الله تزوجت امرأة » قال : « فما أصدقها ؟ » قال :
« وزن نواة من ذهب . » قال : « أولم ولو بشاة . » فقال عبد الرحمن :
« فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً . »
وحسبك هذا دليلاً على مهارتهم في الاتجار وخبرتهم بطرق الكسب .
أما تركته فكانت « ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس ترعى
بالبقيع ... وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي
الرجال منه . وترك أربع نسوة ، فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً^(١)
وقد باع مرة أرضاً له بأربعين ألف دينار ، فتصدق بها كلها ، وتصدق
مرة بسبعائة جمل بأحماؤها قدمت من الشام ، وأعان في سبيل الله
بخمسمائة فرس عربية^(٢) » « وأوصى في السبيل بخمسين ألف دينار^(٣) »

(١) طبقات ابن سعد ٩٦/٣ والمجل أن يكون بين الجلد واللحم ماء من العمل

(٢) تهذيب التهذيب للذهبي (٣) طبقات ابن سعد ٩٦/٣ .

« وكان الزبير بن العوام كثير المتاجر والاموال قيل : كان له
الف مملوك يؤدون الخراج فربما تصدق بذلك في مجلسه ، وقد خلف
أملا كآ بيعت بنحو أربعين ألف ألف درهم ^(١) .

« وأرسل سعد بن أبي وقاص الى مروان ، بزكاة عين ماله خمسة
آلاف درهم ، وترك يوم مات (٢٥٠٠٠٠) درهم ^(٢) ، ومهما تسقط
من هذه الارقام مما تقدر انهم كسبوه من غنائم الحرب فسيبقى لك
بعد ذلك مقادير واموال طائلة .

فهذا دون شك غنى واسع ، ودنيا عريضة ، وتوفيق عجيب
أتيح لهؤلاء التجار ، وإن كلمة عبد الرحمن بن عوف « لو رفعت
حجراً لرجوت إن أصيب تحته ذهباً » لتشرح لك مدى التوفيق
التجاري الذي أحرزوه بما أتقنوا من هذه المهنة ، وما تفتنوا في
أساليبها وطرقها .

وأظن هذا القدر كافياً في الدلالة على مبلغ اهتمام قريش بالتجارة
حتى صاروا يعيرون بذلك ^(٣) ، حين جعلوها دينهم ومعاشهم

(١) تهذيب التهذيب (٢) الطبقات ٩٦/٣

(٣) قال زيد بن صوحان لمعاوية : « كم تكثر علينا بالإمرة وبقريش ، فما
زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجار !! » - العواصم من القواصم
لأبي بكر بن العربي ص ١٢٠ (طبع السلفية)

وهجيرا هم في مجالسهم وأسماهم ، الكبير منهم والصغير والرجل والمرأة سواء ، كل يسهم في العير بما يستطيع ، وله من الربح على قدر ماله . كانوا يذهبون راحلين الى اليمن أو الى الشام أو إلى العراق حتى جعلوا لانفسهم محطات ومنازل خاصة بأصحابها على طول الطريق ^{١١} ، كل أسرة ترسل من أفرادها من استطاع ، ولا يكادون يعرفون في العرب بعمل غير التجارة وما اليها من معاملات * .

(١) جاء في تفسير الطبري : « لما نزلت آية الاستئذان في البيوت قال ابو بكر « يا رسول الله ، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق : فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكك ؟ » فنزل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ . » سورة النور ٢٤ الآيات ٢٨ ، ٢٩ .

(*) أضاف الزمن على تاريخ قريش هذا ثوباً من التقديس لمكان النبوة منهم ، فكان كثير من علماء المسلمين ومكلمهم يسبقون على قريش ألواناً من الاجلال والتعظيم لما تكنه قلوبهم لنفر النبي ﷺ ، وصرنا نسمع كثيراً من مثل قول الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر
ومثل قول أبي تمام :

تلكم قريش لم تكن آباؤها
حتى إذا بعث النبي محمد
عزبت عقولهم وما من معشر
تفؤ ولا أحلامها تنقسم
فيهم غدت شحناؤهم تتضم
إلا وهم منهم ألب وأعزم =

ونختم هذا الفصل برأي لأحد سادات قريش في الجاهلية

- ومن الخير للقارىء أن يطلع على هذه النظرة ليكون إمامه محبباً شاملاً ، وليرى فيما سندرجه له امتداداً لنظرة عرب الجاهلية الى قريش النظرة الدينية التي أسهبنا في وصفها ، وإليك اقوالاً لرجال ثلاثة مختلفين ، تمثل في الجملة آراء الناس حتى المئة الرابعة للهجرة ، أما من بعدهم فتبع لهم في ذلك :

١ - قال العتيبي : شهدت مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين فتشاجروا في مواريت ونجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال : « إن لقريش درجاً تزلق عنها أقدام الرجال ، وفعالاً نخضع لها رقاب الأموال وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكل عنها الشفار المشحودة ، ولو احتفلت الدنيا ماترنت الابهم ، ولو كانت لهم خاقت بسعة أخلاقهم . (الفريد ٢ : ٢٠٨) .

٢ - قال الجاحظ : قد علم الناس كيف كرم قريش وسفاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيا وذكاؤها ، وكيف سياستها وتديبرها ، وكيف إيجازها وتحبيرها ، وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الحليم ، وحدة أذهانها إذا كلّ الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في الأواء ، وكيف وفاؤها إذا استحسن الغدر ، وكيف جودها إذا حب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ، وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ، ودعاؤها اليه ، وكيف سماحة أخلاقها وصونها لأعرافها ، وكيف وصلوا قديمهم بمجديتهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم مرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدر بعد غوره وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره .

بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها ، وكيف نماؤها وبيائها ، وكيف سرورها ونجابتها ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها . =

والاسلام حكيم بن حزام و كان واسع الغنى فاحش الثراء ، تصدق

= فالعرب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سرها ولبها ،
وموضع غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم مباح الارض وزينة الدنيا ، وحيي
العالم ، والسنام الأضخم والسكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل
عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمفرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن
الفهم ، ونبوع العلم ، وثهلان ذو الهضاب في الحلم ، والسيف الحسام في العزم ،
مع الأفاة والحزم ، والصفح بعد المقدرة . وهم الأنف المقدم والسنام الأكرم ،
وكالماء الذي لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب
لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم للبحر ان ، والبارد للظلمان ، ومنهم الثقلان والأطيبان
والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد الوادي ، وساقى
الحبيج ، وحليم البطحاء ، والبحر والخبز ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجر من
هاجر اليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم والفاروق من فرق بين الحق
والباطل [منهم] ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهدهم ، ولا خيرا ولا
لهم اوفهم او معهم او يضاف اليهم . وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول
رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ،
الذي لم يتم لبي نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عم برسالته
ما بين الحاققين ، وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون . « زهر
الآداب ١ : ٩٤ .

وقال أيضاً : « وقد علم المسلمون أن خيرة الله تعالى من خلقه ، وصفيه من
عباده ، والمؤمن على وحيه من أهل بيت التجارة ، وهي معولهم وعليها
معتبدهم ، وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ، ولقد بلغتك بسائهم ووصفت
لك جلاذتهم ، ونعتت لك أحلامهم ، وتقدر لك سخاؤهم وضيافتهم ، وبدلهم =

بغيره الخاصة غير مرة وأعتق المئات من العبيد في عرفة ، وتصدق بدور و أموال عظام ، هذا الثري القرشي أحب أن يتصل لقريش هذا المجد التجاري ، فلما شاور عمر الصحابة في فرض العطاء لقريش وافقوه إلا حكيم بن حزام فقال له : « يا أمير المؤمنين إن قريشاً أهل تجارة ومتى فرضت لهم عطاء تركوا تجارتهم ، فيأتي بعدك من يجبس عنهم العطاء فتكون قد خرجت من أيديهم . » (١)

= ومواساتهم .. ، رسائل الجاحظ ، الرسالة السادسة في مدح التجار وذم عمل السلطان .

٣ - قال الثعالبي يعدد مناقب قريش أهل الله : « ومنها ثبات جودهم وجزالة عطايهم ، واحتمالهم المؤن الفلاظ في أموالهم المكتسبة من التجارة ، ومعلوم أن البخل والنظر في الطفيف مقرون بالتجارة التي هي صناعاتهم ، والتجار هم أصحاب التربيع والتكسب والتدنيق ، وكان في اتصال جودهم العالي على الاجواد ، من قوم لا كسب لهم إلا من التجارة عجب من العجب ، وأعجب من ذلك أنهم من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشدد في الدين ، فتركوا الغزو كراهة للسي واستحلال الاموال ، فلما زهدوا في المفسوب لم يبق مكسبة سوى التجارة ، فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة ، والمقوقس بمصر ، وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء ، فكانوا مع طول ترك الغزو وإذا غزوا كالاسود على برائثها ، مع الرأي الاصيل ، والبصيرة الناقدة ... »
نار القلوب للثعالبي ص ٩

ب - ايلاف قریش

« لإيلاف قریش إيلافهم ، رحلة الشتاء والصيف .
فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم
من خوفٍ » .

إيلاف قریش ، [وإذا شئنا التعبير بلغة عصرنا قلنا المعاهدات
التجارية]^(١) مستفيض الشهرة في كتب السير والتاريخ والأدب .

(١) اطلعنا بعد صدور طبعتنا الاولى باثنتين وعشرين سنة على بحث مفيد
بعنوان (الايلاف او المعونات غير المشروطة) نشره الامتاذ ظافر القاسمي
أحد العلماء من نقباء المحامين في الشام (مجلة المجمع العلمي العربي ١ نيسان ١٩٥٩)
فعلق على تعبيرنا عن الايلاف بالمعاهدات التجارية بما يلي :

« ما من شك في أن الغرض من الايلاف تجاري .. ولكنه لا يمكن ان
يسمى « المعاهدات التجارية » لأن هذه تقتضي اتفاقاً على تبادل السلع وطريقة
دفع قيمتها أو مكوسها (جماركها) أو غير ذلك . أما أمان الطريق بغير
حلف ، فلا يمكن ان يسمى بلغة العصر الا (المساعدات غير المشروطة -
Aides inconditionnés) اهـ . وليس في يدنا ولا يده ما يجزم بأنه لم يكن هناك
اتفاق على تبادل السلع ، بل المعروف العكس فاتجارة العربية كانت تنقل
الى بلاد العرب من الشام (وهي مشمولة بالحكم الروماني) القمح والزيت وما
إلها ، وتجلب اليها من بضائع الهند والحبشة والجزيرة ما مر بك تفصيله أول هذا =

وقد أخبر به القرآن الكريم . وهو أبرز حادث في تاريخ العرب
التجاري قبيل الإسلام .

وفي تحديد معنى الإيلاف مذاهب ، منها :

١ - أنه الدأب ، فسر به بذلك ابن سعد صاحب الطبقات . ومنها :

٢ - أنه ربح مخصوص جعله هاشم لرؤساء القبائل فيحمل لهم

متاعاً مع متاعه ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار
ويكفي قريشاً الأعداء^(١) . ومنها :

٣ - أنه العهد وشبه الاجازة والخفارة^(٢) قاله صاحب الفاموس .

= الباب والباب قبله . ولا يمكننا لذلك قبول التسمية (بالمساعدات غير المشروطة)
لأنه سير بك اشتراط القرشيين على انفسهم بلسان هاشم جلب البضائع اللازمة
لبلاد قيصر وأن يضمنوا له ان تباع عنده أرخص ويكفوه حملاتها .
هذا وشع المصادر بالتفاصيل من جهة وضرورة التمام في المصطلحات من
جهة اخرى يجعلان من غير المعقول المطالبة بالشروط الحديثة للمصطلحات القديمة
حين نطلقها على أحداث كانت قبل خمسة عشر قرناً ، اذ لكل جيل اعتباراته
الخاصة المتغيرة على الزمن من اطلاق الى تقييد ، ومن تعميم الى دقة في الشروط
والتفاصيل والتخصيص . ونقص شيء من هذا لا يسلب المصطلح معناه .

(١) تآر القلوب ص ٨٩

(٢) وفسره المسعودي بالامن ، ثم أردف بقوله : ورحلت قريش حين

أخذها الإيلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق . - مروج

الذهب ١ / ٣٦٩ ومحمد بن حبيب فسر في كتابه (المجر) بأنه العمود ص ١٦٢

ومن التفصيل الذي سنسوقه لك تعرف أن المعاني الثلاثة تجتمع في الإيلاف معاً .

ذكر الثعالبي أن قريشاً كانت لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبذي الحجاز وسوق عكاظ في الأشهر الحرم ، لا تبرح دارها ولا تتجاوز حرمها ، للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والإلف لبيتهم ، ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم . وكانوا بوادٍ غير ذي زرع كما حكى الله عن إبراهيم حين قال :

« رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ »^(١) .

فكان أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك ، وأبعد في السفر ، ومرّ بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله ، هاشم ابن عبد مناف وكانت له رحلتان : في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من أرض الحبشة ، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم .

وأبي رواة الأخبار إلا أن يجعلوا لهاتين الرحلتين بدءاً يكون لهما كالسبب والعلة فرووا عن ابن عباس :

(١) غار القلوب ص ٨٩ - والآية هي السابعة والثلاثون من سورة إبراهيم

« أن السبب في هاتين الرحلتين هو أن قريشاً إذا أصاب واحداً منهم مخرصة ، خرج وعياله إلى موضع ، وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا ؛ إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والمجاعة . فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه أياماً . ثم أتى ترب أسد مرة أخرى وشكا إليه الجوع . فقام هاشم خطيباً في قريش فقال :

« إنكم أجديتم جدباً تقلون فيه وتذلون . وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع . » قالوا : « نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف . »

فجمع هاشم كل بني أبي علي الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم . فجاء الإسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم :
والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي^(١)

(١) بلوغ الأرب ٣ : ٣٦٨ ، والكافي الغني . وفي هاشم وصنيعه يقول خاله الحارث بن حنش السلمي :

إن أخي هاشماً ليس أخا واحد الآخذ الإيلاف ، والقائم للقاعد
انظر رسائل الجاحظ جمع السندوني ص ٧١ (المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٢ هـ) و (المجرب) لابن حبيب ص ١٦٢

وكان هاشم يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل ورؤساء العشائر
لخصلتين : « إحداهما أن ذوء بان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب
الغارات وطلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ،
والخصلة الأخرى أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة
ولا للشهر الحرام قدراً كبنو طي وخنعم وقضاعة . وسائر العرب يحجون
البيت ويدينون بالحرمة له ... فكان الإيلاف صلاحاً للفريقين إذ كان
المقيم راجعاً والمسافر محفوظاً فأخسبت قريش وأتاه خير الشام واليمن
والحبشة وحسنت حالها وطاب عيشها . »

وقول الله : « أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ . »
يعني الضيق الذي كان فيه أهل مكة قبل أن يأخذ هاشم لهم الإيلاف ،
والخوف الذي كانوا عليه ممن يرون به من القبائل والأعداء وهم
مغتربون وهمم الأموال وهو قوله عز ذكره : تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ^(١) يعني في تلك الأسفار ولم يرد ذلك وهم مقيمون في حرمهم
وأمهم لأن الله يقول : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا^(٢) مع قوله : « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا^(٣) » وقوله : « أَوْ لَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . »^(٤)

(١) سورة الانفال ٨ الآية ٢٦ (٢) سورة البقرة ٢ الآية ١٢٥

(٣) سورة آل عمران ٣ الآية ٩٧ (٤) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٦٧

ويعلق عدد من المفسرين مطلع السورة (لإيلاف) بسورة الفيل التي قبلها ويكون تسلسل الكلام عندهم « فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ » والمعنى أنه أهلك أصحاب الفيل « الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترىء عليهم أحد ولا يتعرض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم »^(١)

هذا وقد عم مطرود الخزاعي بني عبد مناف بذكر الإيلاف لان جميعهم قد فعل ذلك فقال :

يا أيها الرجل المحول رحله	هلا حلت آل عبد مناف
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة الإيلاف ^(٢)
سفرين سنهما له ولقومه	سفر الشتاء وسفرة الأضياف

(١) الزمخشري في الكشاف ، ويؤكد تعليق (لإيلاف) ب (فجعلهم) بأن السورتين في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ، وأن عمر قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب :

(٢) لهذا البيت روايات ، والتي هنا من سيرة ابن هشام . وانظر (المجرب) لمحمد ابن حبيب ص ١٦٤ فقيه :

هبتك أمك لو حلت اليهم	ضمنوك من جوع ومن تطواف
الآخذون العهد من آفاقها	والراحلون برحلة الإيلاف
ويقابلون الريح كل عشية	حتى تغيب الشمس في الرجاف

ومر بك تعداد الكميت ماثر أجداد هشام بن عبد الملك فذكر

منها الإيلاف ص ٩٧

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر

وهو يرد على بني أسد ما يدعونه من قرابة قريش :

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلفٌ وليس لكم إلاف
أولئك أو منوا خوفاً وجوعاً وقد جاعت بنو أسدٍ وخافوا. اهـ

وهناك قول بتفسير الإيلاف غير صحيح جاء في شرح ابن أبي

الحديد وهو قوله : « إن هاشماً جعل على رؤساء القبائل ضرائب

يؤدونها إليه ليحمي بها مكة » والأمر على العكس فالمستفيد من

الإيلاف مادة هم رؤساء القبائل ، ومكة لم يؤثر أن اعتدى على حرمتها

أحد من العرب فبلغ منها .

وقد آن أن نذكر الإيلافات أو المعاهدات التجارية التي عقدها

هاشم وإخوته المطلب وعبد شمس ونوفل مع العرب والروم والحبشة

وفارس ، فأخرجوا بذلك تجارة قريش من طابعها المحلي وأقبحها المحصور

إلى الآفاق الأجنبية ، فصارت لقريش العلاقات الخارجية مع الدول

المعروفة حينئذ وأثرت هذه العلاقات في حالاتها الاجتماعية أثراً بعيداً

نحن متعرضون له بعد قليل .

ومتى عرفنا ما أسدى أولاد عبد مناف لقريش وللعرب من أياد
تبيّننا مدى الصدق في قوله ابن عباس :

« والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الأيلاف وأجاز لهم
الغير لهاشم ، والله ما شدت قريش رحلاً ولا حبلاً بسفر ولا أناخت
بعيراً لحضر إلا بهاشم . »

ونحن فيما سنعرض عليك من حديث ، عيال على القالي الذي
انفرد دون غيره من أصحاب الأمانات بتفصيل تلك الأحلاف ، ولا بد
من تنبيهك إلى أن العرب كثيراً ما تسمي عامل الشام قيصر وهو المراد
في حديث القالي ، ولعل عامل أنقرة هو المراد أيضاً من قيصر أنقرة
فيما روى ابن سعد في طبقاته إذ قال :

« كان اسم هاشم عمراً وكان صاحب إيلاف قريش . وإيلاف
قريش : دأب قريش ، وكان أول من سن الرحلتين لقريش ، ترحل
إحدهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه ،
ورحلته في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ (أنقرة) فيدخل على
قيصر فيكرمه ويحبوه .^(١) »

ولا ينبغي أن تستغرب ما تقرأ في رواية القالي من اهتمام قيصر

بهاشم فإن الروم كانوا يهتمون بمن ينزل ارضهم من العرب الغرباء وليس من المعقول ان يكون أمرهم هملاً فالغالب أن هناك موظفين وعيوناً من العرب أو ممن يعرفون العربية يوافون العامل بأخبار الطراء والتجار الأجانب قال ابو علي القالي (١) :

« كانت قریش تجاراً ، وكانت تجارتهم لاتعدو مكة ، وإنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى :

١- ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون . وكان هاشم من أجل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر فقيل له : « هاهنا رجل من قریش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم . » وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز . فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمه أعجب به ، فكان يبعث إليه في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه . فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : « أيها الملك إن قومي تجار العرب ، فإن رأيت ان تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يُستطَرَف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو

أرخص عليكم . « فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرت بجي من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافاً - والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، وإنما هو أمان الطريق - على أن قریشاً تحمل إليهم بضائع فيكفونهم حملانها ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم ، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فاتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجوزهم ويوفّيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام وأحلهم قراها . ومات في ذلك السفر بغزة .

ب - وخرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر إليهم من قریش ، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم . وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن .

ج - وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة ، فأخذ إيلافاً لفعل هاشم والمطلب وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون .

د - وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهداً من كسرى لتجار قریش وإيلافاً ممن مرّ به من العرب . ثم قدم

مكة ورجع الى العراق فمات بسلمان .

واتسعت قريش في التجارة في الجاهلية و كثر أموالها . فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منة في الجاهلية والاسلام . ا هـ ،
يمتاز هذا الخبر مما تقدمه بالدقة فقد عرفنا أن صاحب القاموس ومحمد بن حبيب فسرا الايلاف بالعهد . وما يتبادر الى الذهن من ذلك حقوق متقابلة وحلف دائم فقصر الايلاف هنا على أمان الطريق فقط . وخرجنا من رواية القالي بأربع معاهدات تجارية ، إلا أن الفكر ليستشرف لمعرفة نصوص هذه المعاهدات ويتوقع تفصيلاً أكثر . أما الكتاب الذي أشار القالي الى ان يقصر كتبه لهاشم فإننا لم نجد له ذكراً بعد موت هاشم ، فيما بين أيدينا من المصادر . وهو - ان صح وقوعه - من الخطر بمكان ، بل هو مما يجب أن يعرض عليه بنو هاشم بالنواجذ ففيه لهم فخر كبير وهم الحريصون على قيد كل صغيرة وكبيرة مما يدخل في باب المفاخرة فمن العجيب سكوت الأخباريين عن ذكره في المناسبات التي كثيراً ما تعرض .

وهؤلاء (هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل) هم أصحاب الايلاف « الذين رفع الله بهم قريشاً ونعش فقراءها ... وكل كان رئيس من يخرج معه ممن يتجر في وجهه ... فهؤلاء سادة قريش

وتاعشوهم^(١) . »

لقد انتقلت أحوال قريش التجارية بهاشم واخوته من طور الى طور ، فبعد ان كانت قاصرة على مكة يقدم عليهم فيها التجار الأعاجم فيشترون منهم سلعهم ، خلصوا من تحكم الأجانب ومارسوا هم انفسهم التجارة الخارجية بعد أن أمنوا الطريق وعقدوا المحالفات فعظمت ثرواتهم وفاض غناهم وأصبح معظم اتجار الجزيرة مع الأمم المجاورة حكرة لهم ، وقد اعترفت قريش لأولاد عبد مناف بفضلهم وجميل صنيعهم لقومهم فسموهم (المجبرين^(٢)) إذ بهؤلاء النفرا الاربعة جبرت قريش وتبجحت في الخير والغنى والمقام .

وزيد ابن سعد في طبقاته ، فيذكر لنا شيئاً مما في عهد قيصر ، ويذكر أيضاً كتاباً آخر أرسله قيصر الى النجاشي يوصيه بهم ولم يشر إلى شيء من مضمون هذا الكتاب قال^(٣) : « كان هاشم رجلاً شريفاً وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف آمنة . وأما من على الطريق (يعني قوافل العرب) فألفهم على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق . فكتب له قيصر كتاباً وكتب الى النجاشي ان يدخل قريشاً أرضه . »

(١) محمد بن حبيب في كتاب المجرى ص ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) وسموهم أيضاً اقداح النضار لشرف أحسابهم وفضل مساعيمهم . - انظر

(٣) الطبقات ١/٥٥

الاسلام والحضارة العربية ص ١١٦

وفي شرح نهج البلاغة (٣ : ٤٥٨) أن هاشماً سأل قيصر أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر وان يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم وبينه ففعل . والعموض الذي في الرواية المتقدمة يكتنف هذه أيضاً فليس فيها صيغة هذا الأمان ولا شروطه .

ومهما يكن من شيء فإلى هؤلاء الاخوة الاربعة ، يرجع الفضل كله في تسمير تجارة قريش^(١) وبنائها على أسس قوية حتى اتسعت فصارت شبه دولية بعد ان كانت موضعية لاتعدو الأسواق القريبة من مكة . فهم في الحقيقة أبطال قريش ورجالها في الاقتصاد وهم دعائمها التجارية التي قامت تلك الثروة العريضة بمساعيمهم وكفayaياتهم ، وليس بقليل أن تفتح أربع ممالك أسواقها لقوافل قريش وتجاراتها . وما أنا إلى الغلو إذا زعمت أن فضل هذه الأحلاف امتد حتى زمن الاسلام ، وأن المسلمين الأولين ما اختيرت لهم الحبشة مهاجراً إلا لاعتيادهم الرحلة إليها متاجرين ، وإلا لمعرفةتهم بها وبأهلها لكثرة ارتيادهم

(١) ومن حولها أيضاً من التجار غير القرشيين الذين ضربوا في الارض للتجارة بعد ان مهدت لهم قريش السبيل ، فكتب السيرة مثلاً تذكر لنا أن مشركي مكة أرسلوا عروة بن مسعود التقفي سفيراً إلى الرسول في مفاوضات الحدبية وأن من قوله لقريش لما عاد « يامعشر قريش ، اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله مارأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في اصحابه .. الخ » .

إياها وحمدهم مقامهم فيها وحسن ما يلقون من معاملة طيبة .
في الخبر بعد ، إشارة إلى كرم هاشم وكثرة إنفاقه على إخوانه ،
وأن أفعاله نمت على أصله وسيادته وشرفه ، كما فيه تصريح بأسلوب
الروم وأسلوب العرب في أكل اللحم والمرق وكيف عجب الروم
من الثريد لأنه طراز لم يأنفوه .

* * *

ذكروا أن اللام في قوله تعالى أول السورة : « لإيلاف قريش »
للتعجب فالمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش ، وآخرون علقوها ومجرورها
بالفعل فقالوا إن المعنى : فليعبدوا رب هذا البيت لا يلافهم^(١) . فجعلوا
الفاء في الفعل زائدة لتحسين اللفظ وتقوية المعنى كما في قوله تعالى :
« وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » وجعلوا « إيلاف » الثانية توكيداً للأولى .

وقد آمن الله عليهم بإيمان خوفهم من الغارات والحروب والقتال
وغير ذلك من الأمور التي يخافها كل عربي غيرهم حتى إن الرجل منهم
ليصاب في حي من أحياء العرب فإذا قال : أنا حرمي (أي من أهل الحرم)
أطلقوه وكفوا عن ماله إكراماً له .

وقد آمن الله أهل مكة من خوف آخر هو جيش أبرهة أصحاب

(١) والوجه ما تقدم لك ص ١٥٢ من تعليق (لإيلاف) بقوله (فجعلكم

كعصف ما كول) فارجع إليه .

الفيل حين ردهم الله عن مكة والبيت بعد أن اعتصم أهلها بالشعاف والمضاب . ومن عليهم حين ألقاهم من جوع السنين التي أصابهم قحطها من قبل . فذكر ابن عباس وعكرمة^(١) أن الله أمرهم في هذه السورة بالاقامة بمكة لعبادة رب هذا البيت . إذ كفاهم مؤوته رحلتهم بعد أن كانوا لا يكادون يرتاحون في صيف ولا شتاء .

لخص صاحب القاموس ما تقدم حين عرض لتفسير الإيلاف فقال :

« والإيلاف في التنزيل (العهد) وشبه الاجازة بالحفارة وأول من أخذه هاشم من ملك الشام ، وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم ، آمنين في امتيارهم وتنقلاتهم شتاءً وصيفاً والناس يتخطفون من حولهم ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : « نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد ... » وكان هاشم يوالف إلى الشام ، وعبد شمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس . وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال (عهود) هؤلاء الاخوة ، فلا يتعرض لهم . وكان كل أخ منهم أخذ جبلاً من ملك ناحية سفره . أما ناله . »

(١) راجع أقوال المفسرين في ذلك .

ج - حرب الفجار

أفردت هذا البحث وإن كان حقه أن يذكر في أحداث سوق عكاظ ، لخطره وبعد أثره ولأن هذا الفجار كان في حقيقته نزاعاً على النفوذ التجاري والأدي ، بين قريش وأحلافها وبين هوازن القبيلة المعروفة بعددها وبطشها .

وقعت هذه الحرب وكان بود قريش ألا تقع ، لميلها إلى السلم الضروري لتجارتها وكانت تنجح إلى السلم في كثير من أمورها وخاصة مع قبيلة هوازن التي لها القوة والمنعة حول عكاظ . فإن قريشاً ترهب جانبها وتجتنب ما يعكر الصفو بينها وبين هوازن حرصاً على سلامة الموسم وعلى تجارتها فيه . يدلنا على ذلك أن عبيد الله بن جدعان كان طرد مئة ناقة لكلاب بن ربيعة فأرسل كلاب إلى قريش : « إن سفهكم أغار علي وطردي مئة ناقة ، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ولي عليكم ترة . » وكانت عكاظ في وسط أرض قيس بن عيلان . قال ابن جدعان : « وإن قريشاً اتمرت بقتلي ، لثلا أجني عليهم الجرائر فيطلبون بسبي

وهم تجار لا يستغنون عن بلد. (١)

وهذا صريح في إشفاق قريش من كل ما يعكرو أمن تجارتها وقد أذعنت للتهديد حتى كادت تسلم أحد أفرادها ، وهو شيء لا تسمح به العرب أبداً حتى تفنى عن آخرها . وبهذا عرفوا ، وما كانت قريش لتخرج على ذلك لولا الضرورة الملحة ولولا أنها تهدد موردها الوحيد وهو التجارة .

أيام الفجار أربعة . وإنما نريد هنا الكلام على الفجار الآخر أي الرابع لأنه هو الذي أدى إلى الحروب ، وهو الذي كان سببه التزاحم على الكسب والتجارة . أما بقية الأيام فستمر بها عند الكلام على عكاظ . وقد سميت بالفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم وهي الشهور التي تعظمها العرب وتحرم فيها القتال والقتال فيما بينها . فلما خرج المتحاربون فيها على شريعة العرب كانوا فاجرين (٢) بذلك . وأيامها خمسة تفرقت على أربع سنين . وهانحن أولاء نأتي عليها بالتفصيل الممكن معتمدين فيه على الأغاني وبلوغ الأرب وعلى العقد الفريد خاصة .

(١) الأكليل للهمداني ٨ : ١٨٤

(٢) يلاحظ الجاحظ بحق - أن قريشاً لم تفجر وإنما فجر الذين حاربهم -

رسائل الجاحظ (جمع السندوي) ص ٧٤

سنة

من الصعب تعيين سنة هذه الحروب لما ورد فيها من تضارب الروايات ، فقد أجمعت المصادر على أن رسول الله ﷺ حضرها بنفسه ، ثم افرقت فرقتين : فابن هشام ومن تابعه يجعلون سن الرسول لما حضرها أربع عشرة سنة ، ومنهم صاحب العقد الفريد الذي يروي في ذلك حديثاً هذا نصه : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة . » وابن إسحاق ومن تابعه - ومنهم صاحب القاموس والأصفهاني وابن سعد - جعل سنه حينئذٍ عشرين سنة . وهناك غموض آخر اشترك فيه الفريقان معاً وهو أن أيام الفجار الآخر تفرقت على أربع سنين ، ففي أيهن كان عمره أربع عشرة أو عشرين ؟ وأنا لم أمتد بعد إلى الحق الذي لاحق غيره في هذه الروايات . ونبه ﷺ على أعمامه فسر بوجهين : أما صاحب العقد الفريد فقال : أنبل بمعنى أناولهم النبيل وهو خلاف ماذهب إليه ابن هشام في سيرته من أن معناه أنه كان يرد عنهم نبيل عدوهم . إلا أن تعدية الفعل بـ (على) ترجح التفسير الأول فقد جاء في القاموس : نبيل عليه : لقط له النبيل . وروي الحديث (في مادة فجر) - وكذلك رواه ابن سعد - على هذه الصيغة : « كنت أنبل على عمومي يوم الفجار ، ورميت فيه بأسهم ، وما أحب

أني لم أكن فعلت . »

فإن يكن رسول الله ﷺ قد حضر الأيام جميعها وكانت سنة أول ما هاجت خمس عشرة سنة - على إحدى روايتي ابن هشام - أمكن التوفيق بين الروايات على وجه التقريب فتكون الحرب قد وضعت أوزارها وقد أشرفت سنة على العشرين . فكان يلتقط السهام في أولها ويرمي بنفسه في آخرها . فعلى الرواية الأولى تكون الحرب قد وقعت قبل البعثة بخمسة وعشرين عاما وتوافق سنة (٥٨٥) للميلاد المسيحي .

سبب الحرب :

من عادة النعمان بن المنذر ملك الحيرة أنه يرسل كل عام إلى سوق عكاظ لطيمة (وهي الجمال تحمل المسك والطيب) بجوار رجل شريف من أشرف العرب ، يحميها له حتى تصل إلى السوق فتباع فيها ويشترى له بثمنها أدم من أدم الطائف .

ولا يقوم عادة بعبء حمايتها إلا رجل منيع ، لقومه عدد وعزة . وكان الذي يجيرها في الغالب سيد مضر ^(١) .

فلما جهز النعمان اللطيمة لهذا العام (٥٨٥ م) قال : « من يجيرها ؟ »

وكان بحضرته أناس من أشراف القبائل ، فانبرى له البرأض بن قيس الضمري وكان فتاكاً يضرب بفتكه المثل فقال : « أنا أجيرها على بني كنانة . » فقال النعمان : « ما أريد إلا رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامة . » فقام عروة الرحال أحد أشراف هوازن وكبرائهم فقال : « أكلب خليع يجيرها لك ؟ أبيت اللعن ، أنا أجيرها لك على أهل الشيخ والقيصوم ، يريد عامة العرب . فحقدوا عليه البرأض وقال : « أعلى بني كنانة تجيرها يا عروة ؟ » قال : « نعم وعلى الناس كلهم . » فحمي البرأض إذ غدها استهانة به واستخفافاً بقومه ، وأضمرها في نفسه غدرة شنعاء .

دفع النعمان اللطيمة إلى عروة فخرج بها . فتبعه البرأض وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه شيئاً لأنه منيع بين قومه من غطفان ، حتى إذا بلغوا (فذك) نزل عروة في أرض يقال لها « أواره » فشرب الخمر وغنته قينة ثم قام فنام .

اغتم الفرصة البرأض ، وانسل إليه في خبائه ، فلما رآه عروة ناشده واعتذر إليه وقال : « كانت مني زلة » فلم يفد الاعتذار شيئاً ولم يخفف مما يضطرم في صدر البرأض من الحقد ، فانقض على عروة فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة مني ضلّة
هلاً على غيري جعلت الزلّة
فسوف أعلو بالحسام القلّة

ثم أنشد :

وداهية يُهال الناس منها شددت لها بني بكر ضلوعي
قدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالي بالضروع
جمعت له يديّ بنصل سيف فخرت يميد كالجدع الصريع^(١)

واستاق اللطيمة إلى خيبر ، وبعث رسولاً مستعجلاً إلى حرب
ابن أمية يخبره أنه قتل عروة فليحذر قيساً^(٢) ، فتبعه رجلان من غطفان
يريدان قتله ، فكان هو أول من لقيهما فعرف ما قصدا إليه فنوى
التعجيل بهما فقال لهما : « من الرجلان ؟ » قالوا : « من غطفان وغني » قال
البراض : « ماشأن غطفان وغني بهذه البلدة ؟ » قالوا : « ومن أنت ؟ »
قال : « من أهل خيبر » قالوا : « ألك علم بالبراض ؟ » قال : « دخل
علينا طريداً خليعاً فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتاً . » قالوا : « فأين

(١) أرضعت الموالي بالضروع : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع
الضروع وأظهرت فسالتهم ، وهذا كما يقال لثيم راضع أي يرضع اللؤم من
ثدي أمه . والقلة من كل شيء : أعلاه .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ١ : ٢٤١

يكون ؟ » قال : « فهل لك بما به طاقة إن دلتكنا عليه ؟ » قالوا : « نعم »
قال : « فانزلا » فنزلا ففعلنا راحتيهما . قال البرأض : « فأيكما أجراً
عليه وأمضى مقدماً وأحدسيفاً ؟ » قال العطفاني : « أنا » قال : « فانطلق
أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحتيكما . » ففعل .

وانطلق البرأض يمشي بين يدي العطفاني حتى انتهى إلى خربة في
جانب خير ، خارجة عن البيوت فقال البرأض : « هو في هذه
الخربة وإليها يأوي . فأنظري حتى أنظر : أتم هو أم لا ؟ » فوقف له
الرجل ودخل البرأض ثم خرج إليه وقال : « هونائم في البيت الأقصى
خلف هذا الجدار عن يمينك إذا دخلت . فهل عندك سيف فيه صرامة ؟ »
قال : « نعم » قال : « أرني سيفك أنظر إليه أصارم هو ؟ » فأعطاه
إياه ، فهزه البرأض ثم ضربه به فقتله . ووضع السيف خلف الباب .
وأقبل على الغنوي فقال : « ما وراءك ؟ » قال البرأض : « لم أر
أجبن من صاحبك ، تركته قائماً في الباب الذي فيه الرجل - والرجل
نائم - لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه . » قال الغنوي : « يالهفاه ! لو كان
أحد ينظر راحتينا . » قال البرأض : « هما علي إن ذهبتا . » فانطلق
الغنوي والبرأض خلفه حتى إذا جاوز الغنوي باب الخربة أخذ
البرأض السيف من خلف الباب ثم ضربه به حتى قتله . وأخذسلاحيهما

وراحلتيهما ثم انطلق .

بوم نخلة :

بلغ قريشاً خبر البرأض وقتله عروة وفزعوا أن تعلم بذلك هو ازن فتدهمهم وكانوا في عكاظ في الشهر الحرام فخلصوا نجياً (واتفق رأيهم أن يخاطبوا عامر بن مالك سيد قيس بذلك فأتوه وأخبروه فأجاز مالك بين الناس وأعلم قومه ما قيل له وأوشكوا أن يصطلحوا) . لكن فريقاً منهم خافوا أن يكون قومهم بمكة في ضيق فانسأوا من عكاظ وهو ازن لا تشعر بهم وتوجهوا نحو مكة رجاء أن ينصروا إخوانهم إن كان حزبهم أمراً .

وكان من عادة العرب إذا وفدت على عكاظ أن تدفع أسلحتها إلى عبد الله بن جدعان ، و كان هذا سيداً حكيماً مثرياً من المال ، فتبقى عنده أسلحة الناس حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم فيردها عليهم إذا ظعنوا . فلما كان من أمر البرأض ما كان قال حرب بن أمية لابن جدعان : « احتبس قبلك سلاح هو ازن . » فقال عبد الله : « أبالقدر تأمرني يا حرب ؟ فوالله لو أعلم أنه لا يبقى فيها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً . ولكن لكم مئة درع ومئة رمح ومئة سيف تستعينون بها . » ثم صاح ابن جدعان

في الناس : « من كان له قبلي سلاح فليأت وليأخذه . » فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد ابنا المغيرة إلى أبي براء سيد قيس : « إنه قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا . » وساروا راجعين إلى مكة^(١) . فلما كان آخر النهار بلغ أبا البراء قتل البراض عروة فقال : « خدعني حرب وابن جدعان . » وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في إثر القوم فأدركوهم في نخلة قبيل الحرم ، فناوشوهم شيئاً من القتال يسيراً حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم فأمسكت هوازن عنهم ونادوهم : يامعشر قريش ! إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة الرحال أبداً أو نقتل به عظيماً منكم ، وميعادنا وإياكم هذه الليالي من العام المقبل . » ونادى رجل من بني عامر :

لقد وعدنا قريشاً وهي كارهة بأن تجيء إلى ضرب رعايل^(٢)
فقال حرب بن أمية لأبي سفيان ابنه : قل لهم : « ان موعدكم قابل في هذا اليوم . »

وتعرف هذه الواقعة بيوم نخلة وقد تعطلت السوق فلم تقم تلك

(١) الاغاني ١٩/٢٦ (٢) ثوب رعايل : تمزق بال .

السنة . فقال خدّاش بن زهير يذكر قريشاً بها ويعيرهم ، وكانت
العرب تسمى قريشاً (سخينة) لأنها السخينة وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة علي (سخينة) لولا الليل والحرم
إذ يتقينا هشام بالوليد ولو أنا تقفنا هشاماً شالت الخدم
لما رأوا خيلنا تزجي أوائلها آساد غيل حمى أشبالها الأجم
ولوا شلالاً وعظّم الخيل لاحقة كما تخب الى أعطانها النعم^(١)
بين الأراك وبين المرج تبطحهم زرق الأسته في أطرافها السهم
فإن سمعتم بجيش سالك شرفاً ووطن مرثفاً خفوا الجرس واكتموا
وهذا غاية في التغيير وفي وصف شدة الحرب حتى صار الأخ
يفتدي نفسه بأخيه .

يوم سَمَظَة :

سَمَظَة^(٢) موضع في عكاظ نزلته كناية بعد عام من يوم نخلة حسبما

(١) الخدم جمع خدمة وهي حلقة القوم حيث يجتمعون ، عظّم الخيل :
معظمها . تخب : تسرع . والاعطان : مبارك الإبل حول الماء ، أو هي
كلأوطان للناس . شلالاً : خفافاً سراغماً وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١٢١
(٢) اثبتها ياقوت في معجم البلدان بالطاء وذكر ان الأزهرى نقلها بالظاء
قلت : وهو المشهور المتداول في كتب اللغة .

اتعدواهم وهوازن . فاحتشدت كنانة ، قريشها وعبد منافها
والأحابيش^(١) ومن لحق بهم ، وسلح يومئذ عبد الله بن جدعان مئة
كمي بأداة كاملة سوى من سلح من قومه . وعلى إحدى مجنبتى كنانة
عبد الله بن جدعان ، وعلى الثانية كرز بن ربيعة ، وأمر الجميع إلى
حرب بن أمية الذي كان في القلب . أما هوازن وأحلافها فأمرها إلى
مسعود بن معتب الثقفي . واعتزل فريق من الحسين فلم يشهدوا الحرب .
ثم تناهض الناس وزحف بعضهم إلى بعض ، فكانت الدائرة
أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كانت آخر النهار تداعت
هوازن وصابرت ، فانقضت كنانة واستحرق القتلى فيهم ، فقتل منهم
تحت رايتهم مئة رجل ، ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر ، وذلك
قول خدش بن زهير :

فأبلغ ان عرضت بنا هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا
أونئك ان يكن في الناس خير فإن لديهم حسباً وجودا

(١) الاحابيش حلفاء قريش وهم - على ما قال ابن قتيبة - بنو المصطلق ،
والحياء بن سعد بن عمرو ، وبنو الهون بن خزيمية : اجتمعوا أمقل جبل بمكة
اسمه (حبشي) فتعالفوا بالله انا ليد على غيرنا ما سجا ليل وأوضح نهار وما
وما حبشي . وقيل : سموا بذلك لاجتماعهم والتحميش التجميع . العمدة ١٨٥/٢
والقاموس مادة (حبش) .

هم خير المعاشر من قريش وأوراهم إذا قدحت زنودا
بأنا يوم (شمظة) قد أقننا عمود الدين إن له عمودا
فجاؤوا عارضاً برِداً وجئنا كما أضرت في الغاب الوقودا
فعاقتنا الحكاة وعانقونا عراك النمر واجهت الأسودا
ونادوا: يا عمرو لا تفروا فقلنا: لا فرار ولا صدودا
فولوا نضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا^(١)
فلم أر مثلهم هزموا وقلوا ولا نديارنا سنقنا مذودا

بوم الصبوة :

عاد الأحياء المذكورون من هؤلاء وأولئك فالتقوا من قابل في
اليوم الثالث من أيام عكاظ بالعبلاء الى جنب عكاظ فاقتلوا على التبعئة
التي تقدمت .

فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على قريش وكنانة . فأصابت
قريش وقتل أحد صنابيرها العوام بن خويلد ، والد الزبير بن العوام
حواري رسول الله ﷺ ، قتله مرة بن معتب الثقفي ، فقال في ذلك

(١) انظر خزائن الادب ، وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٣ (في طبعة دار

المعارف : ص ١٢٩) . أبلغ بحذف نون التأكيد الحفيفة وإبقاء فتحة البناء على
آخر فعل الأمر . والذيادة : الدفاع ، والعنق : المقبولون بجماعتهم

رجل من ثقيف يفتخر بقتله لما له من الخطر :

منا الذي ترك العوام مجندلاً تنتابه الطير لحماً بين أحجار

وفي هذا يقول شاعر هذه الحروب من هو أزن . خدأش بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقياد

فقدتكم ولحظكم إلينا بيطن عكاظ كالإين الغداد^(١)

ضربناهم بيطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

ويقول :

ألم يبلغك ما لقيت قریش وحي بني كنانة إذ أبـيروا

دهمناهم بأرعن مكفر فظل لنا بعقوتهم زئير^(٢)

* * *

يوم شرب :^(٣)

ثم التقوا على رأس الحول في اليوم الثالث من عكاظ أيضاً شرب ،

وشرب من عكاظ . ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، صدقوا

(١) هذا البيت في كتاب (الامتاع والمؤانسة ١ / ٢٢١) وهو في لسان

العرب : (عدمتكم ونظرتكم إلينا ..) - الغداد : جمع غادة ! أي ناقة ذات غدة

(٢) أبـيروا : أهلكوا . العقوة ماحول الدار ، المحلة .

(٣) ضبطه ياقوت في معجم البلدان فبفتح فكسر نقلاً عن أبي بكر بن نصر

فأما التي في شعر ابن مقبل فبفتح فسكون .

فيه الحملة ، وصبروا حفاظاً وحمية ، وقد أبلت فيه قريش بلاء حسناً .
وكان الذي أحماهم أن هو ازن عليهم يومين ذهبت بفخرهما . فحافظت
قريش وكنانة وصارت بنو مخزوم وبنو بكر ، وقيد ثلاثة شجعان
من قريش وأشرفها أنفسهم وقلوا : « لا يبرح منا رجل مكانه حتى يموت
أو نظفر » وهم أبو سفيان وحرب ابنا أمية ، وأبو سفيان بن حرب
والد معاوية فسموا (العنابسة) من يومئذ . وكان علي الفريقيين
رؤساؤهم السابقون ، واستمر القتال بهذه الشدة حتى انهزمت هو ازن
وقيس كلها رغم عددها وعدتها ، إلا بني نصر فإنهم صبروا مع ثقيف ،
وذلك لأن عكاظ بلدهم ، لهم فيه نخل وأموال إلا أنهم لم يغبوا شيئاً
ثم انهزموا أيضاً وقتلت هو ازن يومئذ قتلاً ذريعاً . وذهبت بفخر
هذا اليوم كله كنانة وقريش ، فارتفعت أصوات شعرائهم تخلد هذا
النصر المؤزر ، وما لها لا تفعل ، وقد لقيت خزيأ كبيراً من شعراء
هو ازن ، وما شأن شاعر تفقده أمته يوم الحاجة ، وأي غناء لشاعر
لا قوم له ، فقال أمية بن أسكر الكناني :

ألا سائل هو ازن يوم لا قوا فوارس من كنانة معلمينا
لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أيننا^(١)

وقال :

قومي اللذو بعكاظٍ طيروا شررا من روس، قومك ضرباً بالمصاقل^(١)
وقال جذل الطعان :

جاءت هوازن أرسالاً وإخوتها بنو سُلَيْمٍ فهابوا الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم مثل الحريق فما عاجوا ولا عصفوا
وقال عبد الله بن الزبير شاعر قريش (والمشر كين فيما بعد) :

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبد مناف مدره الخصم
وذو الرعين أشباك من القوة والحزم
فهدان يذودان وذا من كتب يرمي^(٢)

(١) اللذو : لغة في الذين . والمصاقل : السيف .

(٢) وتمة هذه الأبيات :

أسود تزدهي الأقران متاعون للهضم
وم يوم عكاظ منعوا الناس من الهزم
وم من ولدوا أشبوا بسر الحسب الضخم
فإن أحلف وبيت الله لا أحلف على إثم
لما من إخوة بين قصور الشام والردم
بأزكى من بني ربيعة أو أوزن في الحلم

أبو عبد مناف الفاكه بن المغيرة . وربطة هذه التي عناها هي أم بني المغيرة
وهي بنت سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت من المغيرة هشاماً وأباربيعة والفاكه =

يوم الحربة :

وهو آخر أيامهم . ثم التقوا على رأس الحول بالحربة وهي حرة إلى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها ، وعلى كل قوم رؤساؤهم

- وذو الرحين هو أبو ربيعة بن المغيرة لقب به لقتاله في هذه الحرب برحين .
وأشباك : حسبك . والميدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم . تردمي الأقران : تستخف بهم . وأشبى فلان : اذا ولد له ولد كبئس . والرذم مكان بكة يضاف إلى بني جحج ، وقربة بالبحرين .

هذا وقد اختلف في قائل هذه الابيات ، فقيل : ابن الزبيري . وقيل : عمر ابن أبي ربيعة حفيد ذي الرحين ، وقد كشف الاصفهاني عن حقيقتها بخبره الطريف المشهور قال : قال أبو نهشل : جئت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام الوارد ذكره في الابيات ، قصده أطلب منه مغرمًا فقال : يا خال هذه اربعة آلاف درهم وأنشد هذه الابيات الاربعة (الاولى) وقل سمعت حسان ينشدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أكذب على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعت عائشة تنشدها فعلت . فقال : « لا ، إلا أن تقول : سمعت حسان ينشدها رسول الله ﷺ ورسول الله جالس . » فأبى عليّ وأبى عليه ، فأقمنا لذلك لانتكلم عدة ليل ، فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً - يعني جده ابن المغيرة - وبني أمية . فقلت : « سمع لي . » فسأهم وقال : « اجملها في عكاظ واجملها لأبيك . » فقلت : « ألا الله ... الابيات . » ثم جئت فقلت : « هذه قالها أبي ، فقال : « لا ، ولكن قل : قالها ابن الزبيري . » قال : فمهي إلى الان منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزبيري . وقيل : هن لعمر ابن أبي ربيعة ، والله أعلم .

السابقون . فاقتلوا قتالاً شديداً كان شؤماً على قريش وأحلافها ، قتل فيه من كنانة ثمانية نفر ، وقتل أبو سفيان بن أمية أخو حرب جد معاوية . وكان يوماً لهوازن فخره ونصره . فلعل صوت شاعر هو ازن بهذه الصاعقة المجلجلة :

إني من النفر المحمرّ أعينهم أهل السوام وأهل الصخر واللوب^(١)
الطاعنين نحور الخيل مقبلة من كل سمراء لم تغلب ، ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم يوم الحريرة ضرباً غير مكذوب
لاقتهم منهم أساد ملحمة ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا نأخذ نحوركم وإن تباهاوا فإني غير مغلوب
وقال الحارث بن كلدة الثقفي :

تركت الفارس البذآخ منهم تمجّ عروقه علقاً عبيطاً
دعست بنانه بالرمح حتى سمعت لنته فيه أطيظاً
لقد أرديت قومك يا بن صخر وقد جشمتهم أمراً شطيظاً
وكم أسألت منكم من كمي جريحاً قد سمعت له غطيظاً^(٢)

(١) اللوب : جمع لابة وهي الحرّة .

(٢) البعير البذآخ : الهدّار المخرج لشيشته . والبذخ في الاصل الكبير

والعلوّ . العلق العبيط : الدم المتجمد . دعس : طعن . الاطيظ : صوت

الغطيظ للبعير : هديره ، ولذئامه : صوته .

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلتقي الرجل ، والرجلان يلتقيان
الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً . فلقى ابن محمية بن عبد الله الديلمي زهير بن
ربيعة أبا خراش فقال زهير : « إني حرام جئت معتمراً . » فقال له :
« ما تلقى طوال الدهر إلا قلت : أنا معتمر » ثم قتله .

انقضت هذه الأيام الخمسة في أربع سنين . ثم تداعى الفريقان
إلى السلم على أن يذروا الفضل في الدماء والأموال ويتعاهدوا
على الصلح .

عقدوا على ذلك المواثيق وبقيت هذه الأحداث للذكرى والفخر ،
يتمجد كل شاعر قوم بما فعل قومه ، ويتغنى بما كان لهم من محامد .
وانظر إن شئت أن ترى آثار ذكرها في مثل قول عبد الله بن الزبير السهمي :
وإن قصياً أهل عز ونجدة وأهل فعال لا يرام قديمها
هم منعوا يومي عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها^(١)
أو قول بعضهم :

نحن كنا الملوک من آل نجد وحماة الذمار عند الذمار

(١) الشول : النوق التي آتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف
لبنها ، الواحدة مائة . والهجان : الإبل الكرام . والقروم : الفحول - بلوغ
الأرب ٣ / ٨٤

ومنعنا (الحجون) من كل حي
وقول خدّاش بن زهير :
فلا توعديني بالفجار فإنه
أحل يبطحاء (الحجون) المخازيا^(١)
أو قول عاتكة بنت عبد المطلب تخلد نصر قومها في هذه
المقطوعة الرائعة :

سائل بنا في قومنا وليكف من شرّ سماعه
قيساً وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه
فيه السنور والقنا والكبش ملتمع قناعه
بعكاظ يعشي الناظري ن - إذ ا هم لمحو - شعاعه
فيه قتلنا مالكا قسراً وأسامه رعاعه
ومجدلاً غادره بالقاع تنسه ضباعه

هكذا كانت تجارة العراق في عكاظ وما يفيد من يجيرها من
أرباح مادية ومعنوية. هو وقبيلته ، سبياً مغرباً في هذه الحروب . وأي
بدع في هذا فإننا ما نزال إلى اليوم نرى أكثر الحروب في حقيقةها
تطاحناً على النفوذ الاقتصادي وتكاد أحداث القرن العشرين كلها
تكون حول التنافس التجاري إن لم يكن بصورة جلية فمن وراء الستار.

د - حلف الفضول

ما نظر القرشيون إلى حلف ولا عهد ، نظرهم إلى حلف الفضول فهو يظفر منهم برعاية مقدسة وتبجيل وشرف قلما كان بعضه لحلف آخر .

هو حلف تجاري بمقدماته ونتائجها ، حفظ سمعة قريش وصان ازدهار أسواق مكة ، وأسدل عليها ستاراً من الإنصاف والأمن وحماية الضعيف بعد أن كاد الأمن فيها يتعرض للخطر ، وكادت حوادث الاعتداء على حقوق الضعفاء تزداد حتى أوشكت أن تززع ثقة الأعراب وتجار النواحي بأسواق مكة .

ولم تنحصر ثمرته فيما سبق الإسلام بل استمرت فيه وازدادت تأييداً وقوة ومنعة ، أثني عليه صاحب الرسالة ﷺ واعتز به ، ولما هتف الهااتف به بعد نحو ثمانين سنة من عقده⁽¹⁾ استجاب الناس له كأن عهدهم به أمس ، فكان جديداً لم تُخلق جدته تلك السنوات الثمانون التي تمخضت عن أعظم الحوادث الكبار : ظهور الشريعة

(1) سيأتي تفصيل هذا بعد قليل .

الإسلامية ، وفتوح العرب وانقراض فارس وانكاش الروم . أهاب
الداعي بأصحابه (وقد مات أكثرهم) فهب أبناؤهم متحفزين لنصرتة
حتى خافت القوة الحاكمة وأذعن والي المدينة ، ورد الحق إلى صاحبه .
ولقد بلغ من شرفه واقتعاده تلك المكانة في نفوس الناس أن استشرف
خليفة عظيم كعبد الملك بن مروان ليعده الناس ممن دخل فيه ، فلما لم
يظفر بذلك نددت منه حسرة غير خفية .

* * *

كان يهبط مكة من همل الأعراب وسُذَّاجهم ، وضعفاء المتكسبين
وأرباب السلع أخلاط كثيرة ، وهم لا ناصر لهم يحميهم ولا منعة
فيهم ، يؤمون أسواق مكة موقنين بأن أمن الحرم يسعهم جميعاً . فلم
يكونوا يتوقعون أن أحداً تحدته نفسه بتكدير صفائه . لكن
الواقع انكشف عن أنه لم تكن مكة لتخلو من أناس ، بطرين ، يستهينون
بالضعيف ولا يعفون عن هضمه وسلبه . وكان يحدث حينئذ ما يحدث
دائماً في كل زمان ، من استغلال السذاجة في هؤلاء الغرباء : تارة بغبنهم
في الثمن وتارة بمظلمهم بالديون وآونة بغشهم وأخرى بالاستهتار بهم .
وكانت تنشر هذه الحوادث حتى تصل إلى أسماع أشرف مكة
فينكرونها في أنفسهم . إلا أنها - في الظاهر - تعددت حتى لم يعد
يصح السكوت عليها ، وحتى خشي على البلد أن يفشوله ذكر سيء

فسعى الأشراف بعضهم إلى بعض وعقدوا الحلف وأكدوه ونصبوا أنفسهم لحمايته .

أما السبب المباشر لعقد هذه الحلف فما ذكروا^(١) من أن رجلاً من زيد من أهل اليمن باع سلعة من العاص بن وائل السهمي (وهو قرشي) فظلمه بالثمن فأوفى على جبل أبي قبيس رافعاً عقيرته وقريش في أنديتها ، فذكر ظلامته في شعر له وهو :

يا آل فهر المظلوم بضاعته بطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجز والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ولا حرام لثوب الفاجر الغدر^(٢)

فتداعت لذلك قريش واجتمعت إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى فدخلوا دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه وتعاهدوا بالله : ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه . فلا يجدون بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظالمه . اهـ

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٥

(٢) رواية الجاحظ لهذا البيت في رسائله (جمع السندري ص ٧٢)

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبي لابس الغدر

وزاد الجاحظ : « وفي الناسي في المعاش والتسائم بالمال »^(١) وكان من أسرعهم تلبية له الزبير بن العوام^(٢).

شهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وهو فتى فلما أكرمه الله بالرسالة حمد أثره وكان به جذلان مغتبطاً حتى روى عنه قوله :

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به خمير النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » ، « لا يزيد الإسلام إلا شدة » .

وكان هذا الحلف منصرف قريش من حروب الفجار لعشرين سنة من عام الفيل فتكون سن رسول الله حينئذ عشرين سنة^(٣).

وذكروا في سبب تسميته حلف الفضول ، أنه أشبه حلفاً وقع لثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل . وأقرب من هذا

(١) المصدر السابق وانظر تفصيلاً عنه في الأغاني ٦٣/١٦ - ٦٨

(٢) ذكر الجاحظ أنه لما سمع أبيات الزبيدي حمي وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش ينعون القوي من ظلم الضعيف ، والقاطن من عنف الغريب ثم قال :

وإن كنا جميعاً أهل دار	حلفت لنعقدن حلفاً عليهم
يُعزّبه الغريب لدى الجوار	نسميه الفضول إذا عقدنا
أباة الضيم نهجر كل عار	ويعلم من حوالي البيت أنا

الصفحة السابقة وانظر : مروج الذهب ١٦٨/٢ هذا وفي الشعر صناعة .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٨٢

المذهب إلى الواقع ما ذكره صاحب القاموس من أن سبب تسميته بذلك لأنهم تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحداً إلا أخذوه له منه .

وهذا هو الصحيح لوضوحه وقربه ولأن ثمرة الحلف كله هي رد الفضول لأهلها .

ومن يتدبر الأسباب التي تكلفها الرواة فجعلوها كمقدمات لعقده ويمحصها يجد أن الداعي الأول له حرص قريش على سمعة بلدهم التجارية أن تشلم بين العرب فتزعزع ثقتهم بقريش وبلدهم . وليس يظفر من كل تلك الأسباب المذكورة بالقبول إلا ما تقدم فإن الحوادث وحالة مكة وأمور قريش يومذاك تؤيده كل التأيد . ومن البعيد أن يعقد مثل هذا الحلف من أجل ظلامة الزبيدي هذا . من غير أن تتكرر الحوادث المشابهة لها حتى تفاقم الأمر وألف رجال كثيرون إتيان المظالم .

عظمت قريش أمر حلف الفضول واهتمت به كل الاهتمام ولم ينقطع أمره بالإسلام بل ظل مستمراً أقوى ما كان قط وحسبك قول النبي ﷺ : « ولو أدعى به في الإسلام لأجبت . »

ثم كان يدعو بهذا الحلف كل مظلوم : دافع أبي بن خلف الجمحي بارقياً عن ثمن سلعته فتظلم هذا قائلاً :

أياخذني في بطن مكة ظالماً
وتناديت قومي صارخاً لتجيبني
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامي
بني جمح والحق يؤخذ بالغصب^(١)
فأخذ له بنو هاشم ثمن سلعته .

ورأى نبيه بن الحجاج (قتول) بنت التاجر الحثمي وكانت
حسنة باهرة ، فكابر التاجر على ابنته حين رأى جمالها فتظلم الى ذوي
الحلف فاتزعوا ابنته من نبيه الذي قال في ذلك :

إني والذي يحجج له شمت إياد وهلوا تهليلاً
وخشيت الفضول حين أتوني قد أراي ولا أخاف الفضولا
لبراء مني قتيلة يا للناس هل يبتغون إلا القتولا^(٢)
وذكر الجاحظ أن بني هاشم وحلفاءهم اتزعوا الظلمات من
رجال كثيرين وأنه « لم يكن يظلم بمكة إلا رجال أقوياء ولهم العدد

(١) الأغاني ٦٧/١٦ ورسائل الجاحظ ص ٧٣

(٢) رسائل الجاحظ (جمع السندوي) ص ٧٣ وذكر فيها قوله أيضاً :

حي البخيلة إذ نأت	منا على عدوانها
لا بالفراق تنيلنا	شيثاً ولا بلقائنا
حلت بمكة حلة	في مشيا ووطائنا
لولا الفضول وأنه	لأمن من عدوانها
لدنوت من أياتها	ولطفت حول خباياها

والعارضة»^(١)

ويجئ لي هنا أن أبين للقارىء امتداد هذا الحلف التجاري في حياة المسلمين وتمسكهم به ، فابن هشام يروي : أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كان والياً على المدينة ، ولأه عليها عمه معاوية . وكان بين الوليد والحسين بن علي منازعة في مال كان بينهما بذي المروة . وكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه يومئذ ، فقال الحسين : « أحلف بالله أنتصفني من حقي أولاً خذن سبني ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لأدعون بحاف الفضول .. » وكان عبد الله بن الزبير حاضراً مجلسها هذا فغضب للحسين وقال يتهدد الوليد : وأنا أحلف بالله ، لئن دعا به لآخذن سبني ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . »

وبلغ هذا الخبر المسور بن مخزومة بن نوفل فقال مثل ما قال ابن الزبير ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ كل هذا الوليد بن عتبة خاف مغبتها وأنصف الحسين من حقه^(٢) .

فأنت ترى كيف كان القوم سراعاً إلى تنفيذ هذا الحلف وكيف

(١) المصدر نفسه . (٢) انظر سيرة ابن هشام : ١ : ١٢٦

تهيؤوا لنصرته وللإستجابة لمن دعا به وهو أثر غير قليل . وأي معاهدة تمضي فتبقى لها مثل هذه القوة بعد أكثر من سبعين سنة من عقدها ! بل لقد تحمس لها الصحابة أشد التحمس وكان اندفاعهم لصيانتها أقوى مما تقدم ، لقد تحفزوا للقيام بوجه خليفة ذي سلطان قاهرز وكادت تكون فتنة لولا أن أذعن معاوية كما أذعن واليه ابن عتبة ، ومن الخير أن أقل لك صورة هذا الاندفاع لتعرف مدى بلوغها من قلوب القوم : جاء في شرح نهج البلاغة (٣ : ٤٦٤) ما يأتي :

« كان بين الحسين ومعاوية كلام في أرض للحسين ، فقال له الحسين : اختر مني واحدة من ثلاث خصال : إما أن تشتري مني حقي ، وإما أن ترده عليّ ، أو تجعل بيني وبينك ابن عمرو وابن الزبير حكماً ، وإلا فالرابعة وهي الصيِّلم^(١) . قال معاوية : وما هي ؟ قال : « أهتف بحلف الفضول ... » ثم قام فخرج وهو مغضب ، فر بعبدالله بن الزبير فأخبره فقال عبد الله : والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدنّ ، أو قاعد لأقومنّ ، أو قائم لأمشينّ ، أو ماش لأسعينّ ، ثم لتنفذنّ روحي مع روحك أو لينصفنك ... »

فبلغت معاوية فقال : « لا حاجة لنا بالصيِّلم . » ثم أرسل إليه :

(١) الداهية والأمر العظيم

« أن ابعت فاتتقد مالك فقد ابتعنا منك . »

ومما لا شك فيه أن موقف غير ابن الزبير لو استفحل الأمر سيكون مثل موقفه ، ومعاوية أدهى من أن يؤلّب عليه من لم ينفذ يده بعد من تألفهم ، ومن لا تزال السيوف التي حاربوه بها على عواتقهم ، لما ينتقض على إغمادها كبير زمن وما هي بحاجة لتشهر إلى كبير أمر ...

وقد عرض ابن الزبير بحلف الفضول مرة أخرى يهدد معاوية ، فقد تحدثا عن الحسين بن علي فقال ابن الزبير : « أما والله إني وإياه ليدّ عليك بحلف الفضول » فقال معاوية : « من أنت ! لا أعرض لك وحلف الفضول .. والله ما كنت فيها إلا كالرهينة تشخن معنا وتردى هزيباً »^(١)

وانظر هذه الحسرة الخفية من يعسوب الأمويين عبد الملك بن مروان ، على أن أمية لم تدخل الحلف ، وتأمل كيف أراد بصورة غير مباشرة أحد سراة بني نوفل ، على أن يتملقه فيشهد له بدخول أمية ونوفل فيها ، وكيف لم يستطع هذا إلا أن يجهر له بالحق لقرب العهد بأصحاب الفضول ، ولأن الذين يعرفونها ويعرفون عاقدتها لم يموتوا بعد ، قال ابن هشام :

(١) الأغاني ١٧٣/٩ (طبعة دار الكتب)

« كان محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف من أعلم قريش ، فدخل على عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : « يا أبا سعيد : ألم نكن نحن وأنتم (يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف) في حلف الفضول ؟ » قال محمد : « أنت أعلم ! .. » قال عبد الملك : « لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك . » فقال : « لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه . » قال : « صدقت . »

* * *

كانت قريش اذا ذات مشاكل تجارية فقامت لها هذه الحلف مقام المحاكم التجارية والقوة التنفيذية معاً ، فكان سلطانها مهيباً في النفوس ، وكانت خير وازع لمن تحدته نفسه بظلم وإن تمتع بالسلطان ، وكانت أحسن ضامن لحقوق الضعفاء ممن عدموا المنعة والنصير .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث

أسواق العرب

أ - في الجاهلية

ب - في الإسلام

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

أسواق العرب

أنشأ العرب - ومركزهم التجاري ما قدمنا - أسواقاً لهم يتبايعون فيها .

ولعل هذه الكلمة - كما ذكر ابن سيده - اشتقت من سوق الناس بضائعهم إليها ، ولا يستدعي وجودها في اللغات السامية أن تكون كلمة السوق العربية مأخوذة منها ، فعمل الواقع هو العكس . وليس من لزوم في هذا الاستقصاء المتكلف ما دامت هذه - خبرات من أم واحدة .

فمن هذه الأسواق ما كان يقتصر على ما يجاوره من القرى وما ينزل بساحه من القبائل كسوق هجر وحجر اليامة والشحر وغيرها ، ومنها ما كان عاماً تفد إليه الناس من أطراف الجزيرة كلها كعكاظ . ولكل مدينة بطبيعة الحال أسواق وإنما المقصود هنا الأسواق الموسمية منها ، التي لها أيام معينة تقوم فيها ويؤمها الناس . فإذا كان لإحدى هذه الأسواق موقع جغرافي ذو بال ، كأن تكون على ساحل البحر

مثل سوق عدن وصنعا و عمان .. كان شأنها ممتازاً من بقية الأسواق التي في قلب الجزيرة كحَجْر أو كحضرموت ، لشيوع الاتجار فيها مع الجيران من هند وحبشة وفرس في الأولى ، واقتصار الثانية على القبائل المتاخمة لها .

فتتميز الأسواق التي على فُرْض البحر بوجود النزال الأجانب وتأثر أصحابها باختلاطهم بهؤلاء وما يستتبع ذلك من تغيير في العادات والرقي والصبغة ، فليس من المعقول أن تكون أحوال سوق صنعا مثلًا مشابهة كل المشابهة الأحوال التي لسوق هجر ، أو التي لسوق الجند^(١) القديمة باليمن ، أو سوق الجُرَيْب وهي خاصة باليمن أيضاً ، يتسوقها في موعدها عشرة آلاف^(٢) أو سوق وادي القري أو سوق (قُرْح)^(٣) الذي هلك فيه قوم عاد فيما يزعمون .

(١) الجند أول مدن اليمن التي على سمت نجدها ، وهي أعظم أقسام اليمن الإدارية الثلاثة على عهد الراشدين اختارها معاذ بن جبل حين ولي اليمن لرسول الله ، واختط فيها مسجده . ونقل ياقوت أن الناس فيما بعد صاروا يحجرون الى هذا المسجد ، ولها ماضٍ قديم جداً اليه أشار الشاعر بقوله :
القدر أهلك عاداً في منازلها والبقي أفنى قرونا دارها الجند
ونص الهمداني في (كتابه صفة جزيرة العرب) على أنها من أسواق العرب القديمة . - انظر الإكليل ٥٧/١٠ وحواشيها .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ (٣) انظر « قرح » في معجم البلدان ولسان العرب

كان يلي أمر الناس والنظر في شؤونهم التجارية في بعض هذه الأسواق أمراء يعشرون الناس كأ كيدر في دومة الجندل والمندر بن ساوى في سوق حجر ، وهناك رؤساء يهبطون الأسواق لجمع الإتاوة وأشرف يتوافون بتلك السوق التي هي في الغالب تحت سيطرة أمير من الأمراء ، ليستوفوا نصيبهم من الربح الذي جعله لهم ذلك الأمير ... بل إن بعض الأسواق كانت تقع إلى سلطان دولة أجنبية كسوق المشقر الذي تحكم كسرى بأهله وتجارته ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الأسواق سوقاً فسوقاً .

أما عروض التجارة التي كانت تُحمل إلى الأسواق فأكثرها لا يتعدى التمر والزبيب والزيت والسمن والأدم والورس والغالية والبرود وبعض ضروب الحيوان كالمواشي والأنعام والخنيل حتى القروذ أحياناً .

وكانت هجر أشهر البلدان بتمرها ، وعمان يحمل إليها الورس ويعالج فيها . وكانت لطائم النعمان تسير إلى عكاظ ، ولطائم كسرى إلى المشقر ، تأتي كل سنة فتباع ويشترى بأثمانها الأدم والتمر . وكان يقوم بحمايتها عرب الحيرة ما دامت في مناطق نفوذهم ، فإذا فصلت نحو عكاظ كان لا بد لها من حام منيع الجانب عزيز القبيلة ليجيها على عامة

القبائل . وقد استفاد العرب من هذه الحماية فوائد مادية جلى .

تلك الأسواق في الجزيرة وما إليها كانت تلبية لضرورات محلية اقتضتها معيشة العرب وطبيعة توزيعهم في أراضيهم ، وليست شيئاً مجلوباً حاكوا به غيرهم كما يتكلف بعض المتعرضين لهذا البحث^(١) .

حملت هذه الحركة التجارية كثيراً من ألوان الترف إلى العرب وكان لا عهد لهم بمثلها ، فتغالى أشرافهم بالثياب والبرود والسلاح والطيب . بل إن الرواة ليذكرون أن خمرأ حملت من بصرى وغزوة من بلاد الشام إلى سوق مجنة قرب مكة ، ويظهر أن العرب اعتادت استجادة الخمر والافتنان بشربها واستطابتها من معادنها المشهورة كالبلدتين المذكورتين وأذرعات وأندرين وغيرها ، شاع ذلك في الرجال والنساء . وسيمر بك عند الكلام على عكاظ أن امرأة أرسلها زوجها إلى عكاظ بسمن ومعها راحلتان فشربت الخمر بثمان السمن فاستطابتها ثم باعت راحلتها فشربت بثمانها ثم رهننت ابن الرجل وشربت أيضاً^(٢) .

(١) قال أحمد دم : « ومن غريب ما ورثه العرب عن المحورانيين ونقلوه إلى شبه جزيرتهم أيضاً إقامة الأسواق والمجتمعات للعلم والتجارة والمنافرة فكانت أشبه بالمجامع العلمية والمعارض العمرانية » - مجلة المجمع العلمي العربي ١٠٠/١
قلت : والظاهر العكس ، فإن المحورانيين عرب نزحوا إلى العراق من شبه الجزيرة فعملوا معهم كثيراً من طرق معايشهم السابقة ومن نظمهم وأعرافهم .
(٢) وأبعد من هذا الخبر في القرابة والطرافة ما رواه القاضي في أماليه (١ : ١٥٠) -

ونحن نعلم أن كثيراً من الشعراء والفتيان كانوا يتمدحون بالإنفاق
على الخمر والتردد على أصحاب الحوانيت والجلوس إليهم ، واذكر إن
شئت أبيات عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

= قال : استوى أعرابي خمرأ بجزة صوف فغضبت عليه امرأته فأنشأ يقول :

غضبت عليّ لأن شربت بصوفٍ ولئن غضبت لأشربنّ بخروفٍ

ولئن غضبت لأشربنّ بنعجة دهاء مائة الإناه سعوف

ولئن غضبت لأشربنّ بناقة كوماه نامية العظام صفوف

ولئن غضبت لأشربنّ بواحدي ولأجعلنّ الصبر منه حليفي

الدهاء : سقراء خفيفة الشقرة إلى سواد . والسعوف : التي لها طبقتان

من الشمع . والكوماه : الناقة العظيمة السنام ، وناوية العظام : ميمينتها .

والصفوف : التي تصف رجلها عند الحلب . والسابع : الفرس .

فيذكر ابن الأنباري - في إحدى رواياته - أن امرأته أسفقت علي

وحيدها وخففت من غلوائها وأباحته أن يتلف في الخمر ماشاء الأولدها ، قالت له :

مالان عتبت لأن شربت بصوفة أو أن تلذ بلقحة وخروف

فاشرب بكل نفيسة أو نيتما وملكتها من تالد وطريف

وارفع بطرفك عن بنيّ فإنه من دونه شغب وجدع أنوف

انظر شرح شواهد المغني ص ٢٠٧ (المطبعة البيهية بصر) وفي حاشية

الدسوقي علي المغني أن من الايات الاولى :

ولقد شربت الخمر في حانوتها صفراء صافية بأرض الريف

ولقد شهدت الحيل تفرع بالقنا فأجبت صوت الصارخ الملهوف

بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدّم
فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم...^(١)
أو قول الأعشى : « وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني . الخ »

والظاهر أن حب الخمرة تغفل في نفوس عامة العرب وغمرت
بحوانيتها أسواقهم وعكفوا عليها حتى ما يستطيعون لها تركاً . وإن
الأعشى الشاعر هذا ، أراد أن يقصد النبي ﷺ بالمدينة فيسلم ،
وأشفق مشركو مكة من هذا السلاح أن ينضم للإسلام فصدوه عن
وجهه ذلك ، وكان أقوى عامل في رده ما أخبروه من أن الإسلام يحرم
الخمرة ، ولم يكن بالشاعر قدرة على تركها فصرفه ذلك عن قصده وقفل
راجعاً ، فأدر كته المنية ولم يكتب له الايمان^(٢) . وخير ما نستدل به على
استفاضتها في أسواقهم وإدمانهم لها أن الأخباريين يعدون في الجاهلية

(١) المواجر جمع هاجرة : وهي حر نصف النهار . والمشوف : الإناء المجلّو
والمعلم : ما عليه علامة . والأزهر : الأبيض ، ويعني به الأبريتي . المقدم : ما عليه
القدم وهي المصفاة .

(٢) فكان الظرفاء من الغتبان إذا أرادوا الشراب خرجوا إلى قبره وأدار
الساقى عليهم الكأس وجعل قبر الأعشى أحد الشراب ، فكان إذا بلغه أراق الكأس عليه
يصبون الخمر على قبره إذ قال لما أخبره أبو سفيان بأن محمداً يحرم عليه الخمر :
« أرجع إلى اليامة فأشبع من الخمر » - انظر الاغانى ١٢٧/٩

كلها أشخاصاً لا يبلغون العشرين حرماً على أنفسهم الخمر^(١) فتميزوا

(١) روى القالي في أماليه ، (١ : ٢٠٤) :

« حرّم رجال الخمر في الجاهلية تكرباً وصيانة لأنفسهم ، منهم عامر بن

الظرب بن ... بن قيس بن عيلان وقال في ذلك :

سألة للفقى ماليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال

أقسم بالله أسقيها وأشربها حتى يفرّق ترب القبر أو صالي

مورثة القوم أضفاناً بلا إحن مزرية بالفقى ذي النجدة الحالي

وحرّم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك :

لعمرك إن الخمر مادمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي

وقاركتي من الضعاف قواهم ومورثتي حرب الصديق بلا تبلي

وحرّم صفوان بن أمية الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رأيت الخمر حالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريماً

فلا والله أشربها حياتي ولا أصفي بها أبداً سقيماً

وحرّم عفيف بن معد يكرب عم الأصم بن قيس الخمر وقال :

وقائلة هلمّ إلى التصابي فقلت عفتت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوفاً رهيناً

وحرمت الخمر عليّ حتى أكون بقعر ملحود دفيناً

وقال أيضاً :

فلا والله لا ألفي وشرباً أنازعهم شراباً ما حيت

أبي لي ذاك آباء كرام وأخوال بعزمهم ربيت

وحرّم سويد بن عدي الطائي ثم المعني الخمر وادرك الاسلام فقال :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والتدامي

وحرمت الخمر وقد أراني بها سدكاً وإن كانت حراماً اه . -

بهذا الوصف من سائر العرب ، ولم يكن لتمييزهم هذا من قيمة لولا فشوها في قبائل العرب فشوا قويا جعلها في حكم الضرورة التي لا مندوحة عنها .

يفشى هذه الأسواق عامة العرب لما تقدم من أن شغل أكثرهم التجارة ومن لم يتاجر قصدتها للكسب والشراء حتى صار غشيان السوق والمشي فيها ، هما والاتجار ألقاظ مترادفة ، ففي البخاري :

« استأذن أبو موسى على عمر فلم يؤذن له فرجع ، ففرغ عمر فقال : « ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ائذنوا له . » قيل : « قد

= التبل : النار . وقوله أقسمت بالله أسقيا : يريد لأسقيا . وكذلك فلا والله أشربها : أي لأشربها . والملمود : القبر . والسدك : المولع بالشيء .

وزيد السيوطي على هؤلاء : عبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جدمان وشيبة بن ربيعة وورقة بن نوفل . والوليد بن المغيرة وعفيف بن معد يكرب ويقال هو أول من حرّمها وقيل : (أولهم عامر بن الظرب) ، وعباس بن مرداس وأبو بكر وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف - شرح شواهد معني اللبيب ص ٤٤

هذا وقد جاء في الاغانى [٨ : ٣٣٢ دار الكتب] ما يأتي :
« مامات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياء بما فيها من الدنس » .

وهذا نص في أن كبراء قريش في الجاهلية كانوا يشربونها جميعاً .

رجع . ، فدعاه فقال (أبو موسى) : « كنا نؤمر بذلك . » فقال عمر : « تأتيني على ذلك بالينة . » فانطلق (أبو موسى) إلى مجلس الأنصار فسألهم فشهد أبو سعيد الخدري ، فقال عمر : « أخني هذا علي من أمر رسول الله ﷺ ؟ أهاني الصفق في الأسواق . » يعني الخروج إلى التجارة^(١) .

وكان في جملة ما احتج به المشركون على رسول الله ﷺ قولهم : « ... فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك : سل ربك ... فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك عما نراك تبغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتمس المعاش كما تلتمس ... الخ^(٢) » وحكى الله عنهم قولهم هذا فقال :

« وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ »^(٣) وقال في المرسلين : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ .. »^(٤) فكفى بالمشي في الأسواق عن التجارة ، ووصف ﷺ بأنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق^(٥) . ولأن العرب لا تحشد لشيء

(١) صحيح البخاري - طبع ليدن : كتاب البيوع : ٨ (٢) سيرة ابن هشام : ١ : ٢٦٩

(٤) سورة الفرقان ٢٥ / ٢٥

(٣) سورة الفرقان ٢٥ / ٢٥

(٥) البخاري كتاب البيوع (٢٢) . والسخاب : كثير اللفظ والجلبة .

احتشادها في هذه الاسواق ، كان رسول الله ﷺ يقصدها أول دعوته ويعرض نفسه على القبائل في هذه المواسم .

كان أعظم ما يجذو العرب في الجاهلية على قصد تلك الاسواق ما قدمت لك من قيام كثير منها في الأشهر الحرم . ولشيوخ الامن حرمة للشهر ، ولأن مواسم بعض الاسواق كعكاظ ومجنة وذو المجاز تقع في أيام حجبهم وهي أعمر أسواق العرب بمختلف القبائل يأتونها من كل أوب ومعهم خيرات بلادهم وتلك ميزة لا تتمتع بها بلدة غير مكة ولا قوم غير قريش ، وقد امتن الله عليهم بذلك فقال :

« أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ

شَيْءٍ . » (١)

وقال : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . » (٢)

وافقت هذه المواسم زمن الحج (٣) واختلط أمرها بشعائره (فني

(١) سورة القصص ٥٧/٢٨ (٢) سورة العنكبوت ٦٧/٢٩

(٣) ما زال الحج الموسم الاكبر للتجارة في الاقطار العربية الكبرى ؛ في أيامه تنشط الحركة التجارية ويكثر البيع والشراء وتستنفد المخازن العربية بضائعها يستهلكها الحجاج الذين يقصدونها من القاصية أجناساً شتى ، فصينيون وأتراك وبخاريون وفرس وهنود وأفغان وقفقاسيون ومغاربة ... وتمظم =

وعرقة وعكاظ ومجنة وذو الحجاز مواعيدها مواسم الحج) فإذا انقضى
من ذي الحجاز ترووا من الماء ونادي بعضهم بعضاً : « ترووا من الماء »
لأنه لا ماء بعرقة يومئذ ولا بالمزدلفة ، ولهذا سمي اليوم الثامن من ذي

= منهم الأرباح وتفيض على البلاد عامة سعائب خير وسعة من تنام الى العام .
نستوي في ذلك جميع البلدان العربية ، فصر كالشام والعراق كالحجاز لوقوع
الاولى على طريق الحاج المغربي ولأن الشام والعراق طريق الحاج المشرقي .
ولا تسأل عن البعبوحة التي يرتع فيها أهل الحجاز في موسم الحج إذ تتقاطر عليه
كل تلك الامم ويروح أهله في هذه الايام القلائل معاش سنتهم كلها .

بقي الامر على هذا حتى عهد قريب ، إذ انقطع بحاول الحنة الكبرى ببلاد
العرب : فوزعت بين الفرنجة ، وانحجز الحجاج عن ورود هذه الاقطار لأن
الحاج المغربي أو المشرقي يمر على دول كثيرة قبل أن يصل الى الحجاز . فإن
كان معه فضل من مال استنزفته تلك الدول فلا يصل الى الحجاز إلا ببلغة
لا تكاد تكفيه وحده ؛ فيضطر المسكين الى أن يسلم أمره الى الشركات
الاجنبية التي نصبها دولها تمتص دم الحجاج وتسلبهم أموالهم وتذيقهم الموت
أواناً . فحزمت بذلك بلادنا من موارد وأرزاق عدا ما خسرت من المنافع
الاجتماعية . فمات العراق كما مات الحجاز وماتت الشام منذ نصب هذا المعين .
ثم عكف الاجنبي على ما بقي في البلاد من أثاره خير يتمششها ويتعرقها حتى
جردت الارض وصوَّح النبات فماتت من قائم ولا حصيد :

أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد

كتبنا هذا في الطبعة الاولى سنة ١٩٣٦ م أما الآن وقد انقضت خمس وعشرون سنة
وأجلى الله العدو عن بلاد الشام ومصر والأمل كبير في تحرر بقية الاقطار فعسى أن
يعود للبلاد العربية ازدهارها ورخاؤها ووحدتها ، فيضرب في أقطارها حجاج
جميع الامم والشعوب آمنين مطمئنين فيعود لها رونقها ونشاطها الاقتصادي .

الحجة يوم التروية . وكانوا في الجاهلية لا يتبايعون في منى ولا في
عرفة ، يخصون هذين المكانين بالحج الخالص ، لا يخلطونه ببيع ولا
شراء ؛ فلما جاء الاسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا في المواسم فأنزل
الله تعالى قوله :

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » (١)
وزاد ابن عباس في قراءته « في مواسم الحج » ، والفضل هو الرزق
والكسب والاتجار ، وكذلك كان يتلوها أبي تلاوة (٢) .

* * *

والغريب أن هذه الاسواق ، كما يقصدها طالب الربح والشراء ،

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٨

(٢) انظر البخاري كتاب البيوع ٥ وكتاب الحج . ومعجم الطبراني
الكبير المجلد الثالث وأخبار مكة للأزرقي ص ١٢٠ وتفسير الحازن . نقل في
هذا التفسير عن أبي أمامة التيمي قال :

« كنت أكرمي في هذا الوجه ، وكان الناس يقولون لي : « إنه ليس
لك حج » فقلت ابن عمر فقلت له : « إني رجل أكرمي في هذا الوجه وإن
أناسا يقولون لي ليس لك حج » فقال ابن عمر : « أليس تحرم وتلبي وتطوف
بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار .. ؟ »

فقلت : « بلى » قال : « فان لك حجاً : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فسأله
عن مثل الذي سألتني عنه فسكت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية : « لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ . الآية » فأرسل اليه رسول الله ﷺ
وقراها عليه وقال . « لك حج . » اه .

يقصدهما طالب الامن والقداء ، فكم أوى اليها من خائف يطلب من
يجيره فيجده ويلجأ إليه ويأمن ، وكم من رجل حمل معه فداء أسيره
فقكه من أسره . وكم من سادات تحملوا ديات ودماء فكانوا سبب الصلح
بين قبيلين كبيرين ، بل إننا لنسمع فيها منادين ينادون ذوي الحاجات
لتقضي حاجاتهم ، كما نرى فيها أمراء ورسل ملوك يقصدونها لأخذ مالهم
على بعض القبائل من إتاوات وغرامات كل سنة فهو عدوم بها أيام المواسم .
وإذ أن أكثر هذه الاسواق حولية تقوم أياماً معلومات في كل
عام ، كان من المعقول أن تكون ميداناً لغير البيع والشراء ، كان فيها
تناشداً شعار ، وكان فيها تفاخر وتكاثر ، وتنافر ومقارعة ومعاظمة ..
فيفوز في هذا أقوام ويخسر آخرون ، وتحتفل العرب لها الاحتفال
اللاتق بها . وكان لهم حكام معلومون يفضون المشاكل بين القبائل (١) ،
ولهم محكمون يحتمك إليهم الناس في مفاخراتهم وأشعارهم ، كما لهم في
هذه الاسواق خطباء .

(١) قال الفيروزبادي : « حكام العرب في الجاهلية : أكرم بن صيفي
وحاجب بن زرارة والاقرع بن حابس وربيعه بن مخاشن وضمرة بن ضمرة لثيم
وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلمة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والمعاصي
ابن وائل والملاء بن حارثة لقريش ، وربيعه بن حذار لأسد ، ويعمر الشداخ
وصفوان بن أمية وسلمى بن نوفل لكنانة . اه انظر في القاموس وشرحه مادة
(حكم) .

يعشى الناس الاسواق إذا لمأرب شتى ، وغايات متباينة ؛ فمن طالب قاتل أبيه يريد ليعرفه حتى يتربص به السوء فيما بعد ، ومن ملتبس حماية شريف من عدوآلد ، ومن باغر زوجاً ، أو مستطيل بعز ومنعة ، أو جالس ليأتيه أتباعه ياتاوة ، ومن عارض سلب قتيلىبيعه فيظفر به أهل القتيلى ، ومن فرسان يتقنعون ، بعضهم حذراً من غدر أهل التارات ، وآخرون يريدون مقنعين خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء الجمالهم^(١) ، ومن بغايا ضرب عليهن القباب ، وشبان يتعرضون للمتبرقات من النساء إلى آخر ما هناك مما سيمر بك مفصلاً وخاصة عند الكلام على عكاظ .

ولا يقل شأناً عن النشاط التجاري في أسواقنا تلك ، أثر هذا الاختلاط في اللغة والدين والعادات ، فإن قيام قريش عليها الاعوام الطويلة قبل البعثة ، مكنها من أن تتبوأ في اللغة المكان الاعلى ، لأن لغات القبائل عامة يمينها وعمانيها وشاميها وعراقيها ونجديها وتهاميها . تطرق مسامعها على الدوام فتختار منها ما يحسن ، وتتنفي ما يقبح . وقامت على هذا الاصطفاء زمناً كافياً حتى خلصت لها هذه اللغة الممتازة ،

(١) عد ابو الفرج الاصفهاني من هؤلاء : وضاح اليمن والمقنع الكندي وأباز بيد الطائي - الاغانى ٣١/٦ طبعة الساسي .

وتهيات لينزل بها القرآن الكريم على أفصح وجه وأبلغه وأتمه كلاً
وسلاسة وجمالاً .

وكان الشعراء الذين ينظمون لينشدوا بعكاظ ، يتوخون اللغة
المجمع على فصاحتها ، والتي صار لها من النفوذ والشيوع باللغات العامة
اليوم ، فكان لهجة قريش هي اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة كلها
حتى اليمن والحيرة وغان^(١) .

أما العادات فما أمرها بالذي يحتاج إلى شرح وتبيين ؛ فإن كل
اختلاط بين فريقين لا بد أن ينتهي بأثر في كل منهما ، فاليمني يقبس
شيئاً من أخلاق الحجازي ، والنجدي يحمل ألواناً من عادات العماني
أو الحيري ... وهلم جرا .

وكذلك قل في الدين ، بل إن أثر هذا الاختلاط في الدين أبلغ ،
لقيام الجميع بمناسك واحدة يؤمهم فيها قريش أهل الحرم^(٢) .

(١) لكن هناك أسواقاً على الحدود في شمال الجزيرة كانت مسارب لكثير
من الدخيل والمغرب ، ثم لفساد اللغة حول عهد الفتح كسوق الأبله وسوق
الانبار وسوق الحيرة .

(٢) ليست هذه الظاهرة (الجمع بين الأهداف الدينية والتجارية) قاصرة
على أهل الجزيرة ولا على زمن الجاهلية ، بل تكاد تكون سمة عامة في الحضرة
والبدو حتى هذه الأيام : فازدهار القدس في أعياد الميلاد بالزوار والتجار ، ومواسم =

فأعظم آثار الاسواق قبل البعثة هو هذا التوحيد الذي جرى بين القبائل العربية من عامة الاقطار . وأريد أن أنه بصورة خاصة إلى التوحيد اللغوي ، الذي كان للشعراء والحكام فيه على مدى سنين متطاولة أبلغ الأثر ، في انتقاء الالفاظ والأساليب وشيوعها بوساطة الرواة في القبائل ، وإذا شئت أن أختصر ذلك كله بكلمة واحدة قلت : إن نهضة الشعر مدينة للأسواق ، بل مدينة لعكاظ خاصة . عرف لها هذا الامر منذ الجاهلية حتى اليوم .

فلما كان الاسلام ضعف الشعر ، وانصرف العرب إلى الفتوح ، واشتغلوا بالقرآن والسنة وفهم أحكام الشريعة ، فضول أمر عكاظ وخمل ذكرها ، وانقضى عصر الفتوح وليس لعكاظ عشر شأنها

= العبادة والتجارة معاً في الحجاز أيام الحج أشهر من أن يخفى . بل قرأت عن أسواق (غواتيالا) الآن بما يشبه ما كان يجري في أسواق العرب في الجاهلية . فقد جعل يوم الاحد فيها هو يوم السوق ويؤمها المنود في ذلك اليوم من الجهات المجاورة حتى مسافة خمسين ميلاً من أجل التجارة والعبادة في وقت واحد ، ويقول المشاهد إن يوماً واحداً تقضيه في هذا المكان حيث تلتقي التجارة والعبادة في صعيد واحد سيكسبك إحساساً وفهماً للتاريخ البشري أكثر مما تجنيه من مطالعة مئة مجلد في علم حياة الانسان . - من مقال (تقرير عن الفردوس) فيه وصف مسهب لاسواق غواتيالا نشرته مجلة المختار (الترجمة العربية ، عدد ديسمبر ١٩٤٤)

الاول ... حتى إذا أنشئ المربد استمر أمر عكاظ على التناقص ،
وأخذ مربد البصرة يحل مكانها ويتم رسالتها في الادب والشعر ؛ بل
زاد عليها بما استجد الاسلام وحالة العرب الاجتماعية المتحضرة ، من
صنوف في الادب وألوان في المعاش والاجتماع .

وأصبح المربد مرتاداً لعلوم الأدب والنحو واللغة والأخبار
والنوادير و ... يأخذون عن أعرابه الذين لم تخالطهم لوثة العجمة ،
ما يجعلون منه مادة علمهم وينبوع ثقافتهم .

ولما رسخت قدم المسلمين في المدينة ، وتمت لهم المدن الكبرى
والعواصم العظيمة المتناهية في الحضارة ؛ أفل نجم هذه الاسواق إذ لم
يعد لها من داع . وكانت لم تزل قائمة في الاسلام وعاشت ما يزيد على
مئتي سنة . فعكاظ التي أنشئت قبل الهجرة بأكثر من سبعين عاماً .
أهملت سنة ١٢٩ للهجرة ، وآخر ما انقرض من الاسواق سوق حباشة .
تركت عام ١٩٧ للهجرة .

وقد آن لنا بعد هذه المقدمة أن نعرض لك معلومات عن أشهر
الاسواق في الجاهلية والاسلام ، متوسعين ما أمكننا التوسع ، في
الكلام على عكاظ في الجاهلية وعلى المربد في الاسلام ، إذ هما أعظم
سوقين قامتا للعرب . في الاولى ترى أحوال الجاهلية من عامة نواحيها

في بيعها وشرائها ودينها واجتماعها وسياستها وحرابها وسلمها ، وفخرها وأدبها ولغتها وشعرها وعاداتها . وقد حرصت على أن أحافظ على عبارة كبار المؤلفين الذين استقيمت هذه المعلومات من كتبهم كالأصفهاني والطبري وابن عبد ربه وابن سعد وابن هشام ... إلا ما رأيت أن الحاجة تضطرني فيه إلى شيء من التعديل يسير ، وفي الثانية ترى كذلك أحوال العرب في الاسلام بالتفصيل المتقدم . واعلم أن حوادث المربد التي سأعرضها عليك يختلف زمن وقوعها بين سنة ست وثلاثين للهجرة وأواخر القرن الثاني الهجري .

لسنا نجد اتفاقاً بين قدامى المؤلفين في عدد هذه الاسواق ولا في تحديد أزمنتها ، فيينا نرى القلقشندي (في صبح الأعشى) يعدها ثمانية (١ / ٤١٠) نرى اليعقوبي في تاريخه (١ / ٣١٣ ، ٣١٤) والبغدادى في خزائنه (٤ / ٣٦٠ السلفية) يعدانها عشراً ، ثم يختلفان عليها فيذكر كل منهما بعضاً ويترك بعضاً . وجعلها التوحيدى في (الإمتاع والمؤانسة (١ / ١٥) إحدى عشرة ، بينما نراها عند المرزوقى تبلغ سبع عشرة سوقاً (الازمنة والامكنة) . ثم يأتي الالوسى فيذكر منها في بلوغ الأرب أربع عشرة .

وأقدم المؤلفين وهو محمد بن حبيب المتوفى سنة ٥٢٦٨ صاحب

كتاب (المحبر) عدد منها اثنتي عشرة^(١).

أما الهمداني فنحن معه في حيرة لأنه يقول في كتابه صفة جزيرة العرب (ص ١٧٩) : « أسواق العرب القديمة وقد ذكرناها : عدن ، مكة ، الجند ، نجران ، ذو المجاز ، عكاظ ، بدر ، مجنة ، منى ، حجر اليامة ، هجر البحرين ، الروض ، روضة دعمي ، روضة الاجداد ... الخ ثم يسرد أعلاماً تبلغ الخمسين .

فطالعت الكتاب المطبوع كله فلم أجد للأسواق التي قال إنه ذكرها - ذكراً أبدأ .

ولما رجعت إلى ياقوت في كثير من هذه الاعلام لم أجد لها ذكراً البتة . فأيقنت في نفسي أن في هذه الطبعة تشويشاً فإن عدّه الاسواق ينتهي في السطر الثاني عند قوله (هجر البحرين) ثم يستأنف كلاماً

(١) نشر هذا الكتاب بعد صدور طبعتنا الاولى بسنوات وكان الفضل في اطلاعي على فصل أسواق العرب من كتابه المحبر حين صدور الطبعة الاولى من كتابنا هذا ، لصديقي المستشرق المرحوم (كرنكو) إذ ارسل الي الفصل مصوراً سنة ١٩٣٧ م ففقد مني ثم ارسله اليّ بخطه بعد أن نشره بمطبعة حيدر آباد سنة سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م . ولم يبعد صديقي حين كتب اليّ يقول : « إن أصل هذه الأخبار (يعني أخبار أسواق العرب) كلها باب في كتاب المحبر لحمد بن حبيب في النسخة الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني » و « لاشك بأن المرزوقي مرق عباراته منه فزاد أشياء غير مهمة . »

جديداً عن الرياض بادئاً بروضة دعمني ثم ينتقل خلاله إلى المياه ،
وجميع هذه في الكتاب المطبوع ذكرت تحت عنوان (أسواق العرب) ،
وكان على الناشر (المستشرق الاوروبي) أن يتنبه إلى تغير البحث
فيفرد كل بحث تحت عنوان خاص ولا يحشرها جميعاً في جريدة الاسواق .
وسنذكر لك في هذا الكتاب الاسواق المهمة التي ترحل إليها
العرب حاذفين منها ما لا خطر له وقد بلغنا بها العشرين سوقاً .

نستطيع أن نقسم هذه الاسواق أقساماً ثلاثة :

١ - أسواق خاضعة لنفوذ أجنبي تدار بنظم خاصة وتتضاءل فيها
الصبغة العربية كما نرى في الحيرة وهجر البحرين وعمان وغيرها من
المواطن التي ترين عليها السيطرة الفارسية ، وكما نرى في بصرى وأذرعات
وغزة وأيلة وغيرها مما يدار بالادارة الرومانية . والذي ينظر في هذه
الاسواق عمال عرب يعينهم ولاة الفرس وولاية الرومان وهؤلاء العمال
الذين يتولون السوق هم الذين إليهم أعشار أهلها .

٢ - أسواق أنشأها العرب أنفسهم بحكم الحاجة فصارت مع الزمن
تمثلهم أصدق تمثيل في عاداتهم في البيع والشراء والخصام والدين
والزواج والحقوق ... ولا يشرف عليها إلا سراة أهلها . وهي مرآة
العرب في الجاهلية وبها نستطيع أن نعرف ما كان عليه العرب تقريباً في

معاملتهم وعلاقتهم بعضهم ببعض : وهي في أماكن لا أثر للنفوذ الاجنبي عليها ، وتمثل لهذا القسم بعكاظ . ولا عاشر في هذا القسم فهو منطقة حرة ، والعرب يتبايعون فيه ببيع خاصة بهم .

٣ - أسواق ذات صبغة مختلطة نظراً لموقعها الجغرافي وهي التي تكون على البحر كعدن وصحار ودبي .. وفي هذه يجتمع تجار الحبشة والهند والصين وفارس ويضؤل فيها الطابع القومي بمقدار ما يقوى شأنها التجاري .

ومن الواجب أن ننبه هنا إلى أن أسواقاً كثيرة كانت ولم يذكرها المؤلفون لأنهم اقتصروا على الاسواق الموسمية التي تكون من العام إلى قابل والتي تقصد من بعيد ، إذ من البديهي أن كل بلدة لها سوق ولها متاع او محصول تختص به ، ومن القريب جداً أن يكون لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية^(١) تقوم في وقت معين ، فكثيراً ما نجد حول كل ماء سوقاً صغيرة يقيمها الضاريون حوله كما نجد مثل

(١) مثل (بدر) حيث وقعت غزوة بدر الكبرى ، فبدر هذه موسم من مواسم العرب المحلية تقوم السوق قرب ماء هناك . ونحن نجد في كتب السيرة أن أبا سفيان واعد المسلمين عقب غزوة أحد أن يوافيهم ببدر من العام المقبل ، فلما كان الموعد حضر المسلمون ونكل المشركون وبقي الرسول ينتظرهم ثمانية أيام ، فأقام المسلمون موسماً تجارياً ببدر ورجعوا ثم عادوا الى المدينة فرحين بانتصارهم إذ خافهم عدوهم فلم يحضر ، وبيع تجارتهم فأصبحوا غانمين مهيين .

ذلك في المحطات الصغرى التي تكون بين البلد والبلد وكما نجد أيضاً في كل مكان يسميه العرب روضة .

وإنما عني العلماء بالاسواق الكبرى العامة ولم يأبهوا لتلك الاسواق الضئيلة بل إنهم أهملوا أسواقاً كبرى تكون في المدن لأنها لا يرسل إليها إلا القليل منهم من صاحب حاجة أو غرض خاص . فنجدهم أغفلوا مثلاً ذكر (دارين) وهي فرضة بالبحرين بها سوق يحمل المسك من الهند إليها . واشتهرت هذه شهرة فائقة بتجارة العطر حتى صار معنى الداري (نسبة إلى دارين) هو العطار نفسه ، وحتى جاء في الحديث : « مثل المجلس الصالح مثل الداري ، إن لم يحذك (يُعطِك) من عطره علقك من ريحه . » قالوا : « الدراي العطار . » وقال الشاعر :

فلما اجتمعنا في العلامي بيننا
ذكي أتى من أهل دارين تاجرهِ
وهناك أمتعة اشتهرت بتجويدها قري مخصوصة كودينه وهي
قرية على شط البحر في المشرق تنسب إليها الرماح فيقال الردينيات
للرماح المصنوعة هناك كما يقال للرماح المصنوعة في الحُط بالبحرين :
(الخطية) .

فلا شك أن مثل هذه الاماكن المشهورة يقصدها تجار هذا الصنف أو الراغبون فيه ، وتقوم له شبه أسواق دائمة إلا أنها غير عامة

وهي قاصرة على ضرب واحد فقط ، فلهذا لم يعباؤها المؤلفون .
ثم نجدهم أغفلوا مواضع مهمة تقوم فيها أسواق ربما لا تقل شأنًا
عن التي أفردوها بالذكر ، كالطائف و كأسواق العراق وكالسوق التي
يقيمها النبط في المدينة أحياناً . فإننا نعلم أن الطائف مدينة قديمة جاهلية
وهي « بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروفة » ولأهلها زراعة
وتجارة وغنى ، وربما قاربوا قريشاً في شأنها التجاري . أما العراق
فالظاهر أن للعرب فيها أسواقاً^(١) يدخلون إليها كما يدخلون إلى التي في الشام
وخصوصاً الحيرة فإن شهرتها في تاريخ العرب وأدبهم تنم عن مكانتها
التجارية . ولقريش رحلات إلى سوق الحيرة وفيها تعلموا الكتابة
ومنها انتشرت في العرب . وصاحبها النعمان يجهز سنوياً لطائمه إلى
عكاظ وإلى اليمن . حتى إننا لنجد في بعض النصوص ما يدل على أن
ضرائب منظمة تستوفى في أسواق العراق مما يباع قال الشاعر :

(١) نرى في المصادر القديمة ذكراً لسوق بغداد أيام الفتح الإسلامي ، ولعل
المدينة أنشئت حيث تقام هذه السوق أو بالقرب منها ثم حملت اسم السوق
القديمة (بغداد) . فقد ذكر الطبري في حوادث سنة (٧٦) أن شيباناً الخارجي
أقبل « حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم ، وذلك اليوم
يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون
أن يشتروا من السوق هواب وثياباً وأشياء ليس لهم منها يد . » ثم أخذهم نحو الكوفة ...
النخ - تاريخ الطبري ٧/ ٢٣٠ ، ٢٣١ الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية .

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
قال صاحب المخصص^(١) : « المكس انتقاص الثمن في البياعة
ومنه أخذت الماكسة لأنه يستنقصه . » وقيل : « المكس دراهم كانت
تؤخذ من بائع السلع في أسواق الجاهلية . ويقال للعشار صاحب
المكس . » اهـ

أهملوا كل هذا كما أهملوا أسواقاً ثانوية تقام في نجران وبدرومني
وأمثالها كثير لما قدمنا من فقدان الصبغة العامة فيها .
وهذه جرائد بأسماء الأسواق وترتيبها عند كل من المؤلفين
الثانية الذين أشرت اليهم آنفاً^(٢) وكلها تبدأ بسوق دومة الجندل في
ربيع الاول، مع ذكر مواعيتها إن كان لها مواعيت وذكر عاشرها الذي
يجي الضرائب فيها إن كان لها عاشر .

(١) ١٢ : ١٥٣

(٢) لابن الكلبي : كتاب أسواق العرب - انظر ص ٧٧ من كتابه

« الاصنام » طبع دار الكتب المصرية .

١ - الحبر: لمحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٦٨ هـ

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
٢ دومة الجندل ١ - ١٥ ربيع الاول [وتمتد الى آخره]	أكيدر أو قنافة الكابي	
٢ المشقر جمادى الآخرة كله	بنو عبد الله بن زيد من تيم رهط المنذر بن ساوى	
٣ صحار	١ - ٥ رجب	الجلندي بن المستكبر
٤ دبي	آخر رجب	» » »
٥ الشحر	١٥ شعبان	
٦ عدن	١ - ١٠ رمضان	الأبناء من الفرس
٧ صنعاء	١٥ - ٣٠ رمضان	» » »
٨ رابية حضرموت	١٥ - ٣٠ ذي القعدة	
٩ عكاظ	١٥ - ٣٠ ذي القعدة	
١٠ ذو المجاز	١ - ٨ ذي الحجة	
١١ نطاة خيبر	١٠ - ٢٠ المحرم	
١٢ حجر اليمامة	١٠ - ٢٠ المحرم	

٢- البقولي التوفي سنة ٢٧٨ هـ -

<u>السوق</u>	<u>الزمن</u>	<u>الوالي او العاشر</u>
١ دومة الجندل	ربيع الاول	غسان أو كلب
٢ المشقر	جمادى الاولى	تيمم: رهط المنذر بن ساوى
٣ صحار	١ رجب	
٤ ديبى		الجلندى
٥ الشحر		مهرة
٦ عدن	١ رمضان	
٧ صنعاء	١٥ رمضان	الأبناء
٨ حضرموت		كندة
٩ عكاظ		
١٠ ذوالحجاز		

٣- صفحہ جزیرة العرب : للرحمدانی النوفی سنة ٣٣٤ هـ

السوق	الزمن	العاشر
١	عدن	
٢	مكة	
٣	الجند	
٤	نجران	
٥	ذو الحجاز	
٦	عكاظ	
٧	بدر	
٨	محنة	
٩	منى	
١٠	حجر الیامة	
١١	هجر البحرین	

٤ - ارمناغ والمؤانسة (١/٨٥) :

لأبي حيان التوحيد المتوفى نحو سنة ٥٤٠٠ هـ

السوق الزمن الوالي أو العاشر

١ - دومة الجندل ربيع الأول كله أكيدر دومة [أو أحدر و ساء

كلب حين يغلبون على السوق]

٢ - هجر (المشقر) ربيع الآخر المنذر بن ساوى

٣ - دبي (من قرى عمان)

٤ - صُحار (»)

٥ - آدم^(١) (قرب عدن)

والشحر (بين عدن وعمان)

٦ - عدن أبين

٧ - رابية حضرموت

٨ - صنعاء

٩ - عكاظ

١٠ - ذوالمجاز

(١) في الأصل : إرم ، وفسرها الناشران الفاضلان نقلاً عن صفة جزيرة

العرب بأنها فلاة قرب عدن ، ولعل ذلك تصحيف .

٥ - المؤرسة والوصلة: للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١	دومة الجندل	ربيع الأول أكيدر (وأحياناً) قنافة الكلابي
٢	المشقر	٣٠-١ جمادى الآخرة بنو عبد الله بن زيد: رهط المنذر بن ساوى
٣	صحار	١ رجب الجلبندى
٤	دبي	٣٠ رجب «
٥	الشحر	١٥ شعبان
٦	عدن	١-١٠ رمضان الأبناء
٧	صنعاء	١٥-٣٠ «
٨	حضر موت	١٥ ذي القعدة
٩	عكاظ	١٥ «
١٠	ذو المجاز	١-٨ ذي الحجة
١١	مجنّة	
١٢	نطاة خير	
١٣	حجر	
١٤	بصرى	بعد الحج
١٥	دير أيوب	بعد سوق بصرى بـ ٣٠-٤٠ ليلة
١٦	أذرعان	
١٧	الأسقي	

٦ - صبح الؤعشى : للفلقسنرى المرفى سة ٥٨٢١

<u>السوق</u>	<u>الزمن</u>	<u>الوالى أؤ العاشر</u>
١	١ ربيع الأول	أكيدر أؤ رؤساء كلب
٢	ربيع الآخر	المنذر بن ساوى
٣		عمان
٤		أدم وقرى الشجر
٥		عدن
٦		حضر موت
٧		صنعاء
٨		عكاظ

٧ - فرائد الارب : للبغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ
[نقلاً عن صاحب قبائل العرب]

السوق	الزمن	الوالي أو العاشر
١ دومة الجندل	١ - ١٥ ربيع الأول	
٢ المشقر	١ جمادى الآخرة	
٣ صحار	١٠ - ١٥ رجب	
٤ الشحر	١٥ شعبان	
٥ صنعاء	١٥ رمضان	
٦ حضرموت	١٥ من ذي القعدة	
٧ عكاظ	١٥ - ٣٠ »	
٨ ذوالحجاز	١ - ٨ من ذي الحجة	
٩ نطاة خيبر		
١٠ حجر	١٠ - ٣٠ المحرم	

٨ - بلوغ العرب : للأوسى المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ

<u>السوق</u>	<u>الزمن</u>	<u>الوالي أو العاشر</u>
١ دومة الجندل	ربيع الأول	
٢ هجر	ربيع الثاني	
٣ عمان	جمادى الأولى	
٤ المشقر	جمادى الثانية	
٥ حباشة	رجب	
٦ صحار	١٠ - ١٥ رجب	
٧ الشحر	شعبان	
٨ عدن	١ - ١٥ رمضان	
٩ صنعاء	١٥ - ٣٠ »	
١٠ عكاظ	١ - ٢٠ من ذي القعدة	
١١ حضرموت	ذو القعدة	
١٢ مجنة	٢٠ - ٣٠ من ذي القعدة	
١٣ ذو المجاز	الأول من ذي الحجة	

فهذه ست وعشرون سوقاً ، فإذا حذفنا منها خمساً انفردها الهمداني وهي : بدر والجند ومكة ومنى ونجران ، واثنتين انفردها بإحداهما المرزوقي وهي الأسقى والثانية شاركه فيها التوحيدي وهي سوق آدم ، وأضفنا لها سوقاً مهمة أغفلها كلهم وهي سوق الحيرة وأضفنا كذلك السوق التي أنشئت في الاسلام وهي المربد ، بقي لنا إحدى وعشرون سوقاً سنتعرض لها جميعاً بما تقتضيه مكاتبا . أما الاسواق الضئيلة الشأن فهي صورة مختصرة عما سنتحدث عنه ، وأما الخطيرة كمكة والمدينة فهي دائمية وليست بموسمية ، وفي ذكر الاسواق المتاخمة لها غني عن التعرض لها .

هذا ولعل السبب في اختلافهم في تاريخ قيام الاسواق أن العرب لم يكونوا يلتزمون كل سنة يوماً معيناً لإقامة السوق ويوماً لتقويتها ، بل يتقدم هذا اليوم في بعض السنين ويتأخر في بعض وقد يهرع أقوام الى السوق قبيل مياعدها وقد يتخلف آخرون بعد انقضائها اذالم تنته أعمالهم وقد تختلف العادة سنة عن سنة ، فمن هنا كان هذا التفاوت اليسير . ثم قد نص محمد بن حبيب صاحب المحبر وهو اقدم المؤلفين وأدقهم وأنا الى ارقامه اكثر اطمئناناً ، نص على ان سوقين تقومان في زمن واحد وهما سوق الراية بحضرموت وسوق عكاظ ، فيأخذ بعض العرب الى الأولى وبعض آخر الى الثانية ^(١) .

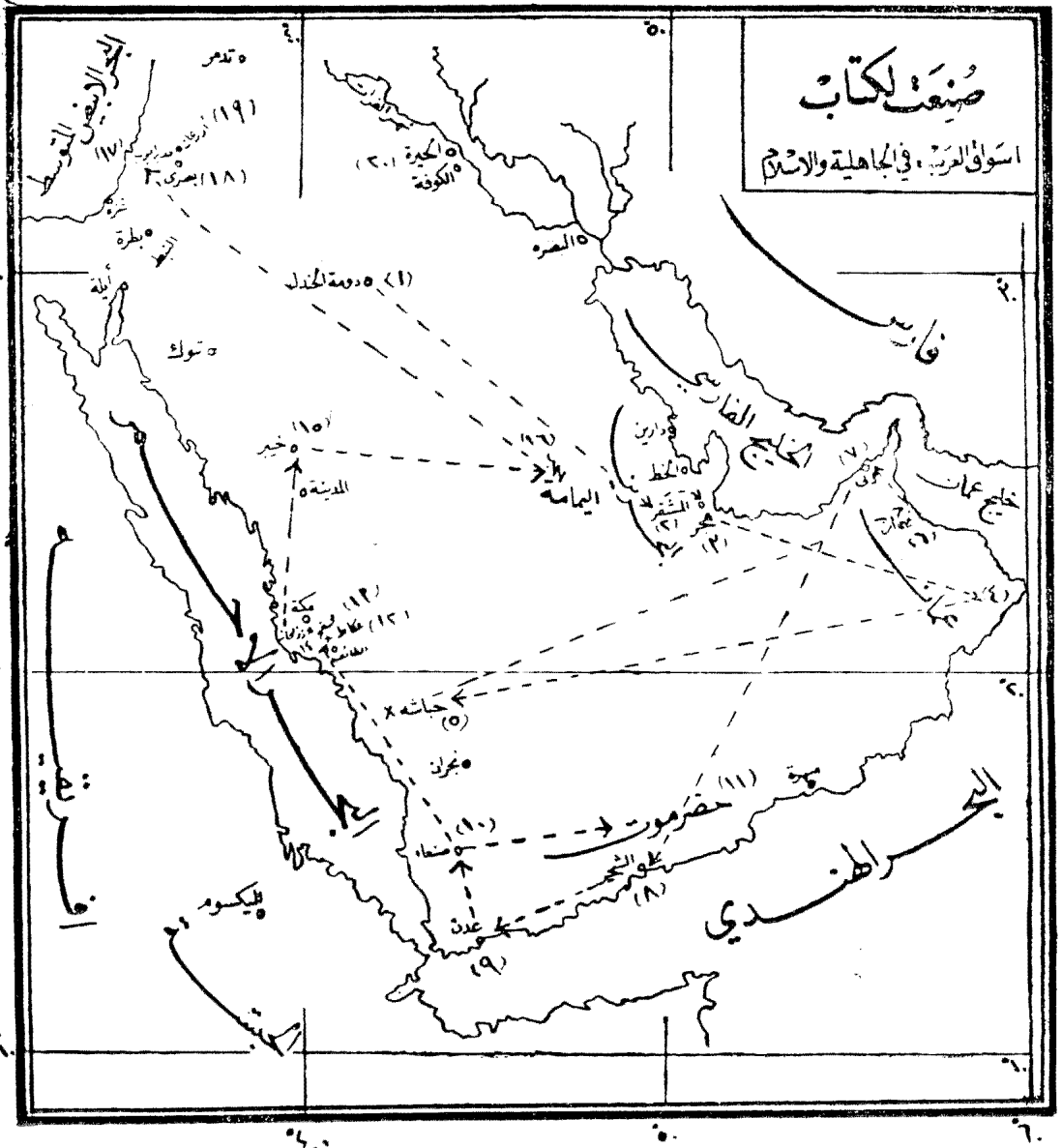
(١) انظر (المحبر) ص ٢٦٧ (مطبعة حيد آباد الدكن سنة ١٩٤٢ م)

جدول عام للأسواق العرب عند المؤلفين الثمانية

(٤) الامتاع والمؤانسة ٤٠٠ نحو ٨٥/١	(٣) سفة جزيرة العرب للهمداني - ٥٣٣٤هـ	(٢) تاريخ البقوني بعد ٢٩١هـ ٣١٤ - ٣١٣ : ١	(١) المغرب لمحمد بن حبيب - ٢٦٨ ٢٦٧ - ٢٦٣	الأسواق مرتبة على حروف الهجاء
الزمن	الزمن	الزمن	الزمن	
٥	٧			١ آدم
				٢ أذرع
				٣ الأسقى
				٤ بدر
				٥ بصرى
				٦ الجند
				٧ جاشة
				٨ حبر الياقة
				٩ حضرموت (الراية)
٧			١٢ ١٠ - ٣٠ المحرم	١٠ دبا
٢			٨ ١٥ - ٣٠ ذي القعدة	١١ دومة الجندل
١ ربيع الاول		٤ [ذكرت هنا: ربا]	٤ آخر رجب	١٢ دير أيوب
		١ ربيع الاول	١ ١٥ - ١٠ ربيع الأول	١٣ ذو الحجاز
١٠			١٠ ١٠ - ٨ من ذي الحجة	١٤ الشعر
٥			٥ ١٥ شعبان	١٥ صحار
٤		٣ رجب	٣ ١٥ - ٥ رجب	١٦ صنعاء
٨		٧ ١٥ رمضان	٧ ١٥ - ٣ رمضان	١٧ عدن
١		٦ ١ رمضان	٦ ١٠ - ١٠ رمضان	١٨ عكاظ
٩			٩ ١٥ - ٣٠ ذي القعدة	١٩ عمان
				٢٠ بجنة
٢ ربيع الآخر		٢ جادى الاول	٢ جادى الآخرة	٢١ المشفر
				٢٢ مكة
				٢٣ منى
				٢٤ نجران
				٢٥ نطاة خيبر
				٢٦ حجر

ملاحظة : الترتيب عند الهمداني اتفريقي لا بحسب الزمن

(٨) بلوغ الارب	(٧) خزانة الادب	(٦) صبح الاعشى	(٥) الازمنة والامكنة
للألوسي - ١٣٤٢ هـ	للبغدادي - ١٠٩٣ هـ	للقشندي - ٨٢١ هـ	للمرزوقي - ٤٢١ هـ
٢٧٠ - ٢٦٤ : ١	٣٦٢ - ٣٦ : ٤	٤١١ - ٤١ : ١	١٧٠ - ١٦١ : ٢
<u>الزمن</u>	<u>الزمن</u>	<u>الزمن</u>	<u>الزمن</u>
			١٦
			١٧
			١٥
٥ رجب			
١٥ - ١٠ - ٣٠ المحرم	١٠ - ١٠ - ٣٠ المحرم		١٣
١١ من ذي القعدة	٦ من ذي القعدة	٦	٨ ١٥ ذي القعدة
			٤ ٣٠ رجب
١ ربيع الاول	١ ١٥ ربيع الاول	١ ربيع الاول	١ ربيع الاول
			١٤
١٣ - ٨ - ١ من ذي الحجة	٨ - ١ - ٨ من ذي الحجة		١٠ - ٨ - ١ من ذي الحجة
٧ - ١٥ شعبان	٤ - ١٥ شعبان	٤	٥ - ١٥ شعبان
٦ - ١٥ - ١٠ رجب	٣ - ١٥ - ١٠ رجب		٣ - ١ رجب
٩ - ١٥ - ٣٠ رمضان	٥ - ١٥ شعبان		٧ - ١٥ - ٣٠ رمضان
٨ شعبان - رمضان			٦ - ١٠ - ١ رمضان
١٠ - ٢٠ - ١٠ من ذي القعدة	٧ - ١٥ - ٣٠ من ذي القعدة		٩ - ١٥ من ذي القعدة
١٠ - ١٥ - ٣٠ شوال			
٣ جمادى الاولى		٣	
١٢ - ٢٠ - ٣٠ من ذي القعدة			١١
٤ - ١ جمادى الآخرة	٢ - ١ جمادى الآخرة		١٢ - ١٠ - ٢ ج
١٤ بعد أيام الحج	٩	٢ ربيع الآخر	١٢
٢ ربيع الآخر			



الانتقال بين الأسواق بدلالة الأرقام والخطوط ابتداء من دومة الجندل

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أسواق العرب

أ - في الجاهلية

سوق دومة الجندل

دُومة الجندل ويقال (دوما الجندل) كلاهما بالضم^(١) ، بلديقع في نقطة متوسطة بين الشام والخليج الفارسي والمدينة ، على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريبا . بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة لعدم استقامة الطريق بينهما . وهي في غائط من الارض طوله خمسة فراسخ وفيها حصن « مارد » المشهور ، والى غربها عين تشج قسقي مابه من النخل والزرع ، وكانت خربة . وروى ابن سعد نقلاً عن بعض أهل الحيرة في سبب بنائها : « أن أكيدر صاحبها وإخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم ، فإنهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا بعض حيطانها وكانت مبنية بالجندل ، فأعادوا بناءها وعرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها

(١) ونقل الفتح فيها صاحب النهاية ، وفي الصحاح أن أصحاب اللغة بضون وأصحاب الحديث يفتحون . هذا ودومة الجندل هي التي تعرف اليوم - على ما نقل لنا - بـ (الجوف) .

دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الخيرة^(١) .

وقال ياقوت : « كان فيها قديماً حصن مارد ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل وقريب منها جبلاطي ، وكانت بهذا الحصن بنو كنانة من كلب . »

وكان أكيدر يبعث بمن يتعرض قوافل التجارة الزاهية بين المدينة والشام ويظلم من يمر بهم من الضافطة (الذين يجلبون الميرة والطعام) ثم قوي شرهم حتى شاع أن في عزمهم الدنو من المدينة وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، واستخلف على المدينة ، وخرج في ألف من المسلمين يسير الليل ويكنم النهار ومعه دليل من بني عذرة حتى بلغوا دومة الجندل ، ففترقوا وألقى الرعب في قلوبهم ، وأخذ من نعمهم وشأنهم ورجع ولم يلق كيداً . والظاهر أن شرهم لم ينقطع عن تجار المدينة حتى اضطر الرسول إلى أن يرسل إليهم سرية عليها عبد الرحمن بن عوف ، وأوصاه حين دفع إليه اللواء بقوله : « خذه^(٢) يابن عوف فاغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلبوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدأ ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم . » وقال له : « إن استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم . »

(١) الطبقات ص ٦١ (٢) سيرة ابن هشام (٣ : ٤٤٣)

سار عبد الرحمن حتى بلغ دومة الجندل فدعا أهلها إلى الاسلام
فأسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلي وأسلم معه ناس كثير من قومه
وتزوج عبد الرحمن ابنته (تماضر) وبقي على الجزية هو ومن معه .
إلا أن أكيدر صاحب دومة وعاملها لهرقل بقي على تعرضه
للسابلة من تجار المدينة ، ولعل لمكانة سوق دومة الجندل وكثرة التجار
بها وعدم تعريب أحد من المدينة عليها دخلاً في هذا التعرض الذي
لا يبعد أن يكون للمنافسة التجارية أثر فيه غير قليل . وأراد الرسول
إقرار الأمن في تلك الربوع فدعا خالد بن الوليد وبعثه على رأس
سرية إلى أكيدر هذا ، فلما بلغ الركب ضاحية دومة الجندل وجدوا
صاحبها في نفر من قومه يتصيدون فأسروا أكيدر وقتلوا أخاه
ورجعوا إلى المدينة بأسيرهم ، فحقن له رسول الله ﷺ دمه وصالحه
على الجزية ثم خلى سبيله ورجع إلى بلده وقد كتب له رسول الله
ولأهل دومة هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله
لأكيدر ولأهل دومة الجندل : إن لنا الضاحية من الضحّل والبور
والمعامي وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ،
ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ، ولا تعدل سارحتكم ولا

تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين ^(١) .

وهذا الصلح تجاري بنتيجته لما ضمن من منافع للمسلمين ، كما هو تجاري بسببه أيضاً إذ لولا تعرض أهل دومة لمن يجتاز بقربهم من التجار ما اضطر الرسول إلى إرسال سراياه لتأمين الطريق وتأديب أهل العيث والفساد .

وبقي القوم على صلحهم حتى كانت سنة اثنتي عشرة للهجرة ففتحتها

(١) انظر الواقدي وشرح المواهب للزرقاني ٣ : ٣٦٩

الضاحية : البارز من أطراف الارض . والضحل : الماء القليل . والبور : الارض التي لم يؤخذ خراجها . والمعامي وأغفال الأرض : ما لا أثر لهم فيها من عمارة أو نحوها . والحلقة : الدروع والسلاح . والحافر : الحيل والبراذين والجمير . والحصن : دومة الجندل . والضامنة : النخل الذي معهم في الحصن . والمعين : الظاهر من الماء الدائم . ولا تعدل سارحتكم : لا تنحسوا مواسيكم عن الرعي ولا تحسروا إلى المصدق (عامل الزكاة) والفاردة : ما لا تجب فيه الصدقة .

هذا وذهب الواقدي وغيره الى أنه أسلم وأن أول الكتاب : و من محمد رسول الله لا أكيد رحين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكتافها : إن لنا الضاحية .. الخ)

وإسلامه لم يصح وقد اغتر بهذه الرواية غير واحد وآخرهم صاحب (مجموعة

الوثائق السياسية) إذ أثبت رواية الواقدي الضعيفة ص ١٦٧

خالد عنوة في خلافة الصديق وظفر العرب بأكيدر خارج دومة
فأمر خالد بقتله^(١). وكان صاحب صلحهم أكيدر ذا شهرة في قبائل
العرب توازي شهرة حصنه دومة الجندل وشهرة حصن المشقر.
والعرب تنظر الى أصحاب الحصون نظرة إعظام وإعجاب بقوتهم،
ولما ذكر لييد فعل بنات الدهر لم يعظ قومه إلا بأصحاب الحصون
فكان أكيدر دومة هذا أحد من ضربهم مثلاً فقال :

وأعصفن بالدومي من رأس حصنه وأنزلن بالأسباب رب المشقر
يعني بالدومي أكيدراً ، وذكر دومة الجندل يشغل صفحات غير
قليلة من تاريخ المسلمين لأنه فيها التقى الحكمان عمرو بن العاص
وأبو موسى الأشعري وكان منها ما هو معروف .

* * *

تنزل قبائل العرب في الجاهلية هذه السوق في أول يوم من ربيع
الأول للبيع والشراء وكان يبيعهم فيها بيع الحصة (وقد تقدم في
الكلام على بيوع الجاهلية) .

ويجاور هذه السوق من قبائل العرب قبيلتنا كلب وجديلة طيء .
وكانت كلب أكثر العرب قناً فكانوا يفتحون في هذه السوق حوانيت

(١) تاريخ الطبري ١ : ٢٠٦٥

من شعر يجعلون فيها عبيدهم وإماءهم . وكانوا - على عادة بعض العرب - يكرهون فيها فتياتهم على البغاء ويأخذون لأنفسهم كسب أولئك البغايا من إماءهم . فلما كان الاسلام وحرّم الله هذه العادة القبيحة بقوله تعالى :

« وَلَا تَكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ^(١) »

تنزه العرب عن هذه التجارة التي كانوا عليها في الجاهلية وتجاوز الله عما كان منهم قبل الاسلام .

يشرف على هذا الموسم أمراء من العرب وكان رؤساء السوق غالباً إما من كلب وإما من غسان ، أي الحيين غلب خضع له الآخر ، وكان مكس هذه السوق لمن يشرف عليها قال الألويسي :

« كان أكيدر صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم

أول يوم فتقوم سوقهم الى نصف الشهر . وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم ويتولى امرهم يومئذ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر .

فكان إذن بين أكيدر وقبيلة كلب تنافس شديد على الاستيلاء

على هذه السوق ومكسها ، فأكيدر يتولى أمرها حيناً ويعشر من بها ،

والكلي حيناً يستأثر بالحكم فيها والاضطلاع بشؤونها . أما الغريب
حقاً فهو ما ذكره المرزوقي من حل لهذا الخلاف والتطاحن بين
الملكين وهو إن صح - وليس ببعيد - يطلعنا على صورة طريفة من
عقلية القوم وعاداتهم قال :

« وكان ملكها (يعني سوق دومة الجندل) بين أكيدر العبادي
من السكون ، وبين قنافة الكلي . وكان غلبة الملكين بأن يتحاجيا !!
فأيها غلب صاحبه بما يلقي عليه تركه والسوق يفعل بها ما يشاء . ولم
يبع فيها أحد من الشام ولا أهل العراق إلا بإذنه ، ولم يشتر فيها ولم يبع
حتى يبيع الملك كل شيء يريد يبعه مع ما كان إليه من مكسها^(١) . »

فأنت ترى أن الأمر ذو خطر وفوائد كثيرة يستحق هذا
التطاحن عليه .

يدور نشاط هذه السوق حتى منتصف ربيع الاول وتغص بمن
يؤمها من أطرف الشام ومن العراق وسائر الجزيرة . وهي من الأسواق
الكبرى للعرب حتى إنهم ليلقون في سيرهم إليها نصباً كبيراً لو عورة
الطريق والتعرض للأخطار وفقدان الأمن ، ولا يحملهم على ذلك كله

(١) نقل المرزوقي هذا عن كتاب المجرى لمحمد بن حبيب ص ٢٦٣ - ٢٦٤

إلا ما تغريهم به هذه السوق من ربح وفائدة قال المرزوقي :
كانت قريش تخرج إليها قاصداً من مكة ، فإن أخذت على الحزن
لم تتخفر بأحد من العرب حتى ترجع ... وكانوا اذا خرجوا من
الحزن أو على الحزن وردوا مياه كلب ، وكانت كلب حلفاء بني تميم ؛
فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا في بني أسد حتى يخرجوا على طيء فتعطيهم
وتدلمهم على ما أرادوا لأن طيئاً حلفاء بني أسد . فاذا أخذوا طريق
العراق تخفروا ببني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز لهم
ذلك ربيعة كلها ^(١) .

ثم تفتت حركتها وتأخذ بالاضمحلال حتى آخر الشهر ، إذ يفترق
أهلها وموعدهم إليها من قابل ، شهر ربيع الاول .

(١) الأزمنة والأمكنة ٣ : ١٦١ والمجهر ص ٢٦٤ وفيه بعد قوله (حلفاء
بني أسد) : وكانت مضر تقول : قضت عنا قريش مذمة ما أورثنا إسماعيل من
الدين فإذا أخذوا الخ .. والمرزوقي اقتبس عبارة المجبر كما هو ظاهر .

سوق المشقر

المشقر حصن بالبحرين لعبد القيس وهو قريب من هجر . وأهله
أزد يمانون كما سيأتي في الكلام علي سوق عمان ، جاء في مرصد الاطلاع:
« المشقر حصن بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم .
وهو على تل عال ، يقابل حصن بني سدوس ، ويقال إنه بناء سليمان ،
وقيل هو حصن بالبحرين لعبد القيس ، يلي حصناً آخر لهم يقال له
الصفا قبل مدينة هجر ، والمسجد الجامع بالمشقر ، وبينهما نهر يجري
الى جانب مدينة محمد بن العمر يقال له العين . » فالظاهر من هذا
الكلام أن هذا الحصن وثيق البنيان ، ذو خطر ، حتى رفعوا نسبة
بناؤه الى سليمان ، وحتى ضرب به المثل في المنعة والإحكام قال المخبل:

فلئن بنيت لي المشقر في صعب تقصردونه العصم^(١)
لتنقبن عني المنية إن ن الله ليس كعلمه علم
وشهرة الحصن مستفيضة على السنة العرب ذكره كثيرون منهم

(١) العضم جمع أعصم : وهو من الوعول ما في ذراعيه أو في أحدهما
بياض وسائره أسود أو أحمر .

فمن ذكره الأعمشى القائل :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء فإننا وجدنا الخط جمماً نخيلها

وذكره ابو ذؤيب الهذلي في مرثيته لبنيه فقال :

حتى كأني للحوادث مروءة بصفا المشقر كل يوم تُقرع

* * *

تقوم في المشقر سوق للعرب تبتدىء من أول جمادى الآخرة وتستمر الى سابعه فتنفض ويغادرها الناس الى جمادى من قابل ، وينزلها أخلاط من جميع أحياء العرب « وكانت أرضها معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها . » فلما صفات هجر وخصبها إذ هي جزء منها ، وقد عال المرزوقي اختلاف قبائل الناس في هذه النواحي بقوله :
« وكانت لا تقدمها لطيمة إلا تخلف منهم بها ناس ، فمن هناك صار بهجر من كل حي من العرب ومن غيرهم ^(١) . »

وكان يهجم في هذه السوق بالملامسة والإيحاء والهمهمة خوف الحلف والكذب !! وقد مر بك تفسير هذه البيوع في محله .

كثر ذكر المشقر في كتب الأدب ، فكان امرؤ القيس الشاعر ينزله ، وفيه كانت وقعة من الوقائع المشهورة في أيام العرب : إذ حاصر

(١) الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦٣ .

كسرى بنى تمسيم فيه ، وأغلق عليهم بابه ، ثم قتل المقاتلة ، وسبى
الذراري بعد أن امتنعوا فيه مدة وذكر صاحب الاغانى ما يستدل
منه على ان كسرى كان له النفوذ على هذه السوق (شأنه في سوق هجر
وعمان) يقيمها متى شاء ويعطلها متى شاء قال :

« أمر كسرى بالطعام فادخر في المشقر ، وقد أصابت بني سعد
سنة شديدة ، والطعام عنهم محبوس ، وكان المشير على كسرى بذلك
هوذة ، وكان له عليهم تارات فقال لكسرى : « أيها الملك ! احبس
الميرة عنهم ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك
فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها ، فتصديهم عند ذلك خيلك . » ففعل
كسرى وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ثم سرح الى هوذة
فأتاه . . . الخ ^(١) .

يقصد هذه السوق العرب وأهل فارس على السواء ويجاررها

(١) ج ١٦ ص ٧٨ والأساورة جمع أسوار وهو : قائد الفرس والجميد الرمي
بالسهم ، والثابت على ظهر الفرس ، والخبر كما في الأغانى ، ١٦ / ٤٥
عن ابن الكلبي :

بعث كسرى إلى عامله باليمن بغير ركاب باذان على الجيش الذي بعثه
كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً ، فكانت تبذرق (تخفر) من المدائن
حتى تدفع إلى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها =

من قبائل العرب تميم وعبد القيس . وليس لها ما لغيرها من الأمن

= إلى هوذة بن علي الحنفي فيبذرها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى بني سعد وتعمل لهم جمالة فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال باذان باليمن . فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للأساورة : « انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطوني به فانا أكفيكم أمرهم وأسير فيها معكم حتى تبلغوا ما منكم » ، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم من هجر ، حتى إذا كانوا بنطاق بلغ بني سعد ما صنع هوذة فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة وسلبوهم وأسروا هوذة بن علي فاسترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هجر فأخذوا منه فداؤه ففي ذلك يقول شاعر بني سعد :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوذة مقرون اليدين إلى النحر
وردنا به نخل الياومة عانياً عليه وثاق القد والحلق السمير

فعمد هوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سلبوا فكسام وحملهم ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً فدخل عليه فقص أمر بني تميم وما صنعوا ... فقال كسرى لهوذة : « رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبيتك وبينهم صلح ؟ » قال هوذة : « ايها الملك : بيني وبينهم حياء الموت وهم قتلوا ابي . » فقال كسرى : « قد أدركت نارك ، فكيف لي بهم ؟ » قال هوذة : « إن أرضهم لا تطيقها أساورتك وهم يتمتعون بها ، ولكن احبس عنهم الميرة فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك . » وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة الياومة وقد اصابت الناس سنة شديدة ثم قال : « من دخلها من العرب فأمروه ما شاء » فبلغ ذلك الناس . وكان اعظم من اتاها بنو سعد فنادى منادي الاساورة « لا يدخلها عربي بسلاح . » فأقيم بوابون على باب المشقر فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا : « ضع سلاحك وامر

والحرمة ، وجميع من يقصدها لا يستغني عن خفارة يسير في حمايتها .
(وكان من يؤمها من التجار يتخفرون يقريش لأنها لا تؤتى إلا من بلاد
مضر)^(١) . وملوك هذه السوق الذين يعشرون الناس فيها أناس ، من بني
عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى من بني تميم يسرون هنا سيرة
الملوك في دومة الجندل ، وهم خاضعون لملك فارس « يستعملهم عليها
كما يستعمل بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان^(٢) » ومن يوافي
هذه السوق من فارس خلق كثير :

ولا تعرض تجارة ولا يقوم بيع حتى تنفق تجارة الملك بتامها كما
هو الشأن في سوق دومة الجندل ، ولا ريب أن ملوك هذه السوق
ترضع إلى حكومة فارس مما يحصلون عليه بالنصيب الأوفى .

= واخرج من الباب الآخر « فيذهب إلى رأس الأساورة فيقتله .
فيزعمون أن خيبري بن عبادة قال : « يا بني تميم ما بعد السلب إلا القتل
وأرى قوما يدخلون ولا يخرجون . » فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم
وقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتسبين عندهم . اه

(١) المجرى ص ٢٦٥ (٢) الصفحة السابقة والازمنة والامكنة ج ٢ ص ١٦٣

سوق هجر

يتناول اسم هجر أرض البحرين عامة ، وهي واليمن وعمان من أخصب بلاد العرب وأكثرها رخاء ، وذكر ياقوت في معجمه أنها قاعدة البحرين . موقع هذه البلدة في جنوب الخليج الفارسي ، وتكون على اتصال دائم ببلاد الهند وفارس ، يجلب إليها مختلف الأصناف ، ولأهلها أسباب آخر للمعاش غير التجارة ، كالغوص على اللؤلؤ ، وهم لا يزالون على ذلك إلى اليوم كسائر سكان البحرين ، والنسبة إليها هجري على القياس وهاجري على غير قياس قال دزيد بن الصمة :
وربّت غارة أوضعت فيها كسح الهاجري جريم تمر^(١)
وهجر مشهورة بكثرة وبائها حتى قال عمر بن الخطاب : « عجبت لتاجر هجر وراكب البحر . » يريد أنهما سواء في التعرض للخطر

(١) جرم النخلة قطعها ، والجريم التمر اليابس ، والنوى ورواية اللسان « كسح الخزرجي » وقال : « معناه أي صبيت على أعدائي كصب الخزرجي جريم التمر وهو النوى » وهجر أيضاً قرية من قرى المدينة فندس إليها القلال الهجرية ، انظر اللسان والتاج وياقوت . وشرح شوامد المغني ص ٦٨ فقد نقل هذا أن هجر بلدتان : هجر البحرين ذات التمر وهجر الحجاز ذات القلال .

وصارت ديار القرامطة فيما بعد ، وقد احتف بها قبائل كثيرة من مضر .
وهي أكثر بلاد العرب تموراً وأطيبها ، وأروج تجارتها التمر ،
به عرفت وبها اشتهر حتى ضرب به المثل فقالوا « كبضع تمر إلى هجر »
كما قالوا : « كجالب الدر إلى البحر » قال أبو عبيد : « هذا من الأمثال
المبتذلة ، ومن قديها : وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه
مخطيء . » ونخلها كثير ملتف غاية في الجودة والطيب . قال الشاعر
يذكر إبلاً خرجت للميرة إلى هجر فرجعت بغير كف ولا طعام :

حُبْسُنْ بَيْنَ رَمَلَةٍ وَقُفٍّ وَبَيْنَ نَخْلِ هَجْرٍ الْمَلْتَفِ
ثُمَّتَ أَصْدَرْنَ بَغِيرَ كَفٍّ^(١)

وقد استفاض على السنة الناس ذكر تمرها والثناء على جودته
وطيبه ، وملئت كتب الأدب بالإشارة إليه ، فهذا رسول جميل إلى
بئينة يبلغها ما أرسل به ففتحفه بتمر من تمر هجر^(٢) .

وذاك أعرابي حضر وليمة لعبد الملك بن مروان عجز الفصحاء
عن وصف ما حوت من الأطيب والألوان فقليل له : « هل رأيت

(١) ياقوت ، والقُفُّ ما ارتفع من الارض وحجارة غاص بعضها ببعض
لاتخالطها سهولة وهو جبل إلا أنه غير طويل . والكف : بقلة الجماء والنعمة .

(٢) الاغانى ٢ : ١٣٨ .

يا أعرابي طعاماً أطيب وأكثر من هذا ؟ » فقال : « أما أكثر فلا وأما أطيب فنعم .. » وذكر طعاماً فيه تمر هجر^(١) .

(١) ذكر الخبر مفصلاً صاحب الاغانى ٧ / ٥٠ فقال :

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا اليه الناس فأكلوا فقال بعضهم : « ما أطيب هذا الطعام ، ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . » فقال أعرابي من ناحية القوم : « أما أكثر فلا وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه . » وطفقوا يضحكون من قوله .

فأسار اليه عبد الملك فأدني منه ، فقال : « ما أنت بحق فيما تقول إلا أن تجربني بما يبين به صدقك » فقال : « نعم يا أمير المؤمنين :

بيننا أنا بهجر في ترب أحمر في أقصى حجر ، إذ توفي أبي وترك كلاً وعميلاً وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها كأن ثمرها أخفاف الرباع ، لم يتر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منها وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها تأوي الليل تحتها فكانت تثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتعطوب فيها فلا تترك إلا البنذ والمتفرق فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني أرجع من ساعتى فكثت يوماً وليلة لأأراها حتى كان السحر فأقبلت فتهيات لها فرشقتها فأصبتها وأجهزت عليها ثم عمدت الى سرتها فافتويتها ، ثم عمدت الى حطب جزل فجمعتة الى رصف ثم عمدت الى زندي فقدحت وأضمرت النار في ذلك الحطب وألقيت سرتها فيه وأدر كني نوم السبات فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري فانطلقت اليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى أو سواد أو رماد ثم قلبت مثل الملاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمنصفة فسمعت لها أطيظاً كنداعي عامر وغطفان ثم أقبلت أتناول الشعبة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى في ، فبا أحلف لني ما أكلت طعاماً مثله قط . » فقال له عبد الملك لقد أكلت طعاماً طيباً الخ .

وليس هذا التمر معروفاً عند الأدباء وحدهم ، بل إن ذكره
لأبس مسألة نحوية مشهورة ، فما على الأرض نحوي إلا يعرف لهجر
تمرها ، فقد أتى خلف الأحمر ويحيى اليزيدي أبا المهدي : أعرابياً
فصيحاً حجة ، وكان به عارض فوجداه يصلي فلما التفت قال :
« ما خطبكما ؟ » قال : « كيف تقول : ليس الشرابُ إلا العسلُ . »
فقال : « فما يصنع سودان هجر ؛ ما لهم شراب غير هذا التمر ^(١) . »

(١) والقصة على التام ذكرها أبو علي القالي في أماليه ٣ / ٣٩ قال :
حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن
عند أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو ، « ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ » قال :
« وما هو ؟ » قال : « بلغني عنك أنك تجيز : ليس الطيبُ إلا المسكُ بالرفع
فقال أبو عمرو : « نعم يا أبا عمرو وأدليج الناس ؛ ليس في الأرض حجازي إلا وهو
ينصب ، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ، » ثم قال أبو عمرو : (قم
يا يحيى بعني - اليزيدي - ، وأنت يا خلف - يعني الأحمر - فاذهب إلى أبي المهدي
فإنه لا يرفع ، واذها إلى المنتجع ولقناه النصب فإنه لا ينصب . »
قال فذهبنا فأتينا أبا المهدي فإذا هو يصلي ، وكان به عارض وإذا هو يقول
« لقد أحساناه عني » ثم قضى صلاته والتفت إلينا وقال : ما خطبكما ؟ قلنا :
« جئناك نسألك عن شيء ، » قال : « ها تيا ، » فقلنا : « كيف تقول : ليس
الطيب إلا المسكُ ؟ » فقال : « أتأمراني بالكذب على كبرة سني ؟ فأين الجاديُّ
وأين كذا ؟ وأين بُنتة الإبل الصادرة ؟ » فقال له خلف : « ليس الشراب
إلا العسلُ . » فقال : « فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر ،
قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : « ليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله =

ولهجر شأن آخر في آداب اللغة العربية غير هذا المثل المضروب
وتلك القاعدة النحوية ، إذ في دهاستها^(١) هلك المهمل ، أول من هلhel
الشعر وأرق نسجه ، مات عطشاً في حمارة القيظ (الأغاني ٦/ ١٢٨)
ومن الغريب أن سبب موته هو خمر هجر هذه : وذلك أن عمرو بن مالك
ومهلاً التقيا في خيلين من غير مزاحفة في بعض الغارات بين بكر
وتغاب ، فانهزمت خيل مهمل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق
به إلى قومه وهم في نواحي هجر ، فأحسن إيساره ، ومر عليه تاجر
بيع الخمر ، قدم بها من هجر وكان صديقاً لمهمل يشتري منه الخمر ،
فأهدى إليه وهو أسير زق خمر ، فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده
بكرأ وشربوا عند مهمل في بيته - وقد أقرده عمرو بيتاً يكون
فيه - فلما أخذ منهم الشراب تغنى مهمل فيما كان يقوله من الشعر وينوح
به على كليب ، فسمع ذلك عمرو بن مالك وهاج تغنيه كامن الغيظ في

والعملُ بها » فقال : « هذا كلام لادخل فيه ، ليس ملاك الامر إلا طاعة الله
والعملُ بها » فقال اليزيدي : « ليس ملاك الامر إلا طاعة الله والعملُ بها . »
فقال : « ليس هذا لخي ولا لحن قومي » . فكتبنا ماسمعهنا منه ثم أتينا المنتجع
فأتينا رجلاً يعقل فقال له خلف : « ليس الطيب إلا المسك » فلقناه النصب
وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى إلا الرفع .

فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح ، فأخرج عيسى بن
عمر خاتمه من يده وقال : « ولك الخاتم ، بهذا والله فقت الناس » . ه .

(١) الدهاس المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

تفسه فقال: «إنه لريان ، والله لا يشرب ماء حتى يرد ريب» (وريب هذا جمل كان لعمر بن مالك ، وكان يتناول الدّها من أجواف هجر فيرعى فيها غباً بعد عشر في حمارة القيظ) ، فأشفق إخوان عمرو من هذا القسم وخافوا أن يزيد الشر بين الحيين إن هلك مهلهل ؛ فأسرعت ركبائهم وخرجت في طلب البعير ريب ، وهم حراس على ألا يقتل مهلهل ، فلم يقدرُوا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحو عمرو يومئذ ناقة مسنة فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه .

وهكذا ذهب مهلهل من جراء نشوة من خمر هجر^(١) ، ولم أفقدت الخمر الناس رؤوسهم وسادتهم ، ولم كانت نذير الشر والشؤم منذ الزمن الأقدم ، فلنذكرن هجر وخمرها ، وهذه الميته الروائية كلما ذكرنا المهلهل وما رقق من شعر .

* * *

تهبط العرب هذه السوق ولعلها كانت أكثر مكانة من دومة الجندل ، لأنها فرضة يجدون فيها من أصناف التجارات التي يأتهم بها تجار الهند وفارس ما لا يجدون في تلك ، ولأن بها من التمر ما طبقت شهرته الآفاق ، وضرب في الجودة مثلاً في البلاد ؛ وليس ذلك بقليل .

(١) في الجزء الاول من مسالك الابصار فصل عن حانات هجر المشهورة

فارجع اليه ثمة .

وكان بها عدا ذلك ضروب من البضائع ، فعلى مقربة منها « الخط » المشهورة برماحها . وفي (رياض الصالحين ص ٤٤٩) أن سويد بن قيس قال : « جابت أنا ومخزومة العبدى بزآ من هجر . فجاء النبي ﷺ فساومنا سراويل . « فانت ترى أنه يجب منها بزآ يباع في المدينة . وكان كسرى يرسل إلى سوق هجر من تجاراته : يرسل إليها لطائم فيها الطيب فيباع فيها ثم ترجع موقرة عروضاً وتمرأ . وحدث مرة أن أغارت بنو تميم على الطيمة لكسرى فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فأرسل جيشاً أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذراري بمدينة هجر وسميت تلك الواقعة « يوم الصفقة^(١) » . ولعل نفوذ كسرى في هذه السوق كان غير ضئيل .

تقصد العرب هذه السوق بعد انفضاضهم من سوق دومة الجندل ، فإذا أهل ربيع الآخر انتقلوا إليها فقامت سوقها . وينظر في أمرها المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم ، يتولى أمرها ويعشر الناس فيها ، وهو ملك البحرين عامة .

(١) انظر الخبر مفصلاً في العقد الفريد ٣ : ٣٥٤ .

سوق عمان

كوزة عربية في جنوب الخليج الفارسي تمتد على سواحل بحر اليمن ،
وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع ، وهي شديدة الحرارة
حتى إن حرها يضرب به المثل .

وبها فواكه جرومية^(١) (كالموز والمان والتين ونحو ذلك)

ولعل نخيلها متميز من غيره ، فقد ذكروا ان بالبصرة نخلة يقال لها
(العمانية) لا يزال عليها السنة كلها طلع جديدو كبائس مشمرة وأخرى
مرطبة . قيل إنها سميت بعمان بن نفشان بن سبأ أخي عدن^(٢) وقيل من
(عمن يعمن) إذا أقام ، وقد اشتقوا منها فعلا فقالوا : أعمن وعمن إذا
أتى عمان ، قال العبدى :

فإن تتهموا أنجد خلافاً عليكم
وإن تبعمنوا مستحقي الحرأعرق
عدها الحمداني في (صفة جزيرة العرب ص ٤٨) من مخاليف اليمن

(١) مسالك الممالك للاصطخري .

(٢) تاج العروس . و عمان كغيرها من أعلام الامكنة تصرف ولا تصرف
وبكايها ورد الشعر ، فمن أمثلتها غير مصروفة قول الشاعر :

أحب عمان من حبي سليمان
وما عهدي بحب قرى عمان .

نزلها الأزدي على قبائل يحمود و حدان و مالك و الحارث و عتيك و جديد
(ص ٢١١) ، و استشهد على قوله بشواهد من الشعر منها :
و أزد لها البحران و السيف^(١) كله و أرض عمان بعد أرض المشقر^(٢)
و منها :

و غسان الذين هم استتبوا و قبائلهم بأطراف البلاد^(٣)
و حياً منهم نزلوا عماناً أراهم لم يهموا بارتداد
و غسان من الأزد كما هو معلوم ، و استشهد أيضاً بهذا الشاهد
و هو يريد الأزد طبعاً :

فأقرت قرارها بعمان فعمان محل تلك الحماة^(٤)
و تضرب بها العرب المثل في بعدها لأنها في أقصى الجزيرة إلى
الشرق و الجنوب تفصلها عن اليمن صحراء الاحقاف و هي بعيدة
عن الحجاز و العراق و الشام .

ذكر ياقوت أن الحسن بن عادية قال : لقيت عبد الله بن عمر
فقال : « من أي بلد أنت ؟ » قلت : « من عمان » قال : « أفلا أحدثك
حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ؟ » قلت : « بلى » قال : « سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « اني لأعلم أرضاً من أرض العرب يقال لها

(١) سيف البحر : ساحله . (٢) ٢٠٦ (٣) ٢٠٧ (٤) ٢١٠

عنان على شاطئ البحر : الحجة منها أفضل من حجتين من غيرها ،
ومن المفسرين من ذهب إلى أن المقصود بقوله تعالى : « وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . » (١) عنان .

ولو عرف الشاعر أبعاد منها لذكره محلها في قوله يهجو قوماً :

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعنان أصبح جمعهم بعنان
والظاهر أنها على بعدها لم تكن تخلو من أخلاط القبائل ومختلف
الأمم ، شأن كل فرصة تجارية ، فلم تقتصر على الأزدي الذين روينا لك
فيهم ما ذكره الهمداني ، لأنها أقرب بلاد العرب من الهند وليس بينها
وبين فارس إلا المضيق فكان فيها النزلاء الغرباء من هؤلاء ، عدا من
يقصدها من العرب للتجارة فيقيم فيها ، وقد ظلت تحت نفوذ الفرس
الفعلي ، وكان ملوك فارس هم الذين يولون عليها الأمراء فاستعملوا
بني المستكبر - على رواية المرزوقي - وقد تقدم أن لهم نفوذاً على
هجر ، وعلى المشقر كما سبق ، فتكون فارس قد بسطت سلطانها على
سواحل الخليج الفارسي كله وعلى سواحل بحر اليمن حين أرسلوا
الأحرار فطردوا الحبشة منها ، وبذلك يكون لهم نصف سواحل
جزيرة العرب ، وما زالت الفرض والشواطئ عرضة للأطباع ينزلها

كل قوي ، فكيف إذا كانت خصبة فيها الغني كعمان ، وقد جاء في الحديث : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان . » فتجاراتهم كثيرة ومعاشهم وافرة ، وفيها ذخائر متنوعة ومعادن جيدة وخصب ورخاء ، فجمعوا بذلك أسباب الثروة والغنى فلم يكن من الغريب طمع فارس فيهم .

وقد استتبع مركز عمان هذا كثرة الأعاجم فيها واختلاط أهلها بهم ، حتى أدخل ذلك الضميم على لغتهم فلم يعرفوا في العرب بالفصاحة . ولما رأى أبو عمرو بن العلاء أعرابياً من عمان فصيحاً لم يكتف استغرابه من حسن وصفه لبلده وفصاحة منطقته ، حتى عرف أن الأعرابي بعيد عن مراكز الاختلاط تلك ، ذكر القالي (١٦/٣) عنه أنه قال :

لقيت أعرابياً بمكة ، فقلت له : « ممن أنت ؟ » قال : « أسدي . »
قلت : « ومن أيهم ؟ » قال : « نهدي . » قلت من أي البلاد ؟ قال :
« من عمان . » قلت : « فأني لك هذه الفصاحة ؟ » قال : « إنا سَكْنَا
قطراً لا نسمع فيه ناجخة التيار . » قلت : « صف لي أرضك . » قال :
« سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صرّوح ، ورمل أصبح . »
قلت : « فما مالك ؟ » قال : « النخل . » قلت : « فأين أنت عن الإبل ؟ »

قال : « ان النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخصوصها وعاء وقرؤها إناء (١) . » وذكر صاحب مرصد الاطلاع ان أهلها خوارج أباضية .

* * *

تقصد العرب هذه السوق إذا انتهت من سوق هجر ، فترحل الى عمان وتقيم سوقها حتى آخر جمادى الأولى . وهي لتوسطها بين فارس والهند والحبشة ، تجتمع فيها بضائع هذه الممالك الثلاث وكانت جمالها تحمل (الوردس) من اليمن الى عمان حيث تعالج الاشياء التي يراد صبغها بالصفرة .

وذكر الألوسي أن بأرضها معادن جيدة وذخائر متنوعة . وقد كان يستخرج بها عنبر مشهور ، احتفظت عمان بشهرتها به حتى أيام الرشيد فقد ذكر في الأغاني أنه « جاء العباس بن محمد الى الرشيد يوماً ببرنية غالية فوضعها بين يديه ثم قال : « هذه يأمر المؤمنين غالية صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من بحر عمان ، ومسكها من

(١) ناجفة التيار : صوت الموج ، والسيف الافيح : الشاطئ الواسع ، والصصح : الصحراء ، والصروح : الصلب ، الاصبح : الذي يعلو بياضه حمرة والرساء : الحبل . والقررو : وعاء من جذع النخل ينبذ فيه .

مفاوز التُّبَّت ، وبانها ^(١) من ثغرتامة ، فالفضائل كلها مجموعة فيها . . . الخ ^(٢) ،

في هذه السوق يجري التبادل بين بضائع فارس والهند والحبشة واليمن والحجاز والشام ، يصب فيها كل تاجر قطر ، ما حمل من قطره ويرجع الى بلده بما يأخذه من عروض ليست فيه ؛ ولهذا كانت فيها جاليات من كل أمة وكل قبيلة .

(١) البان شجر معروف ، ولحبه ثمره دهن طيب - القاموس .

(٢) ٣٩ / ١٥

سوق حباشة

تقوم هذه السوق بتهامة في ديار بارق نحو (قنونا) على ست ليال من مكة إلى جهة اليمن . فهي المتجر المتوسط المشترك بين الحجاز واليمن . وأصل الحبش الجمع ، والحباشة الجماعة من الناس ليسوا من جنس واحد ، ولعلها سميت بذلك لكثرة ما يجتمع بها من مختلف القبائل والأجناس للتجارة ، وليست من مواسم الحج . وكما سميت سوق تهامة القديمة بهذا الاسم سميت به سوق أخرى لبني قينقاع تقام في رجب أيضاً ، كما هي اسم للأزد أيضاً . والمشهورة منها هي الأولى التي بتهامة وقد تاجر فيها رسول الله ﷺ ، جاء في الحديث :

« لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة إلى سوق حباشة وهي سوق بتهامة واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش وكان من قول الرسول وهو يحدث عن هذه التاجرة الكبيرة : « مارأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا . » اهـ

كان لهذه السوق ماغيرها من المزايا : يكون فيها فداء الاسرى
ونشدان الثأر ... عدا أمور التجارة . ولما قتل الشنفرى الشاعر
حرام بن جابر قاتل أبيه ، أتى رجل أسد بن جابر أخاالمقتول فقال :
« تركت الشنفرى بسوق حباشة » فرصد له قوم القتل حتى أسروه
وقتلوه .

وليس لحباشة شأن الأسواق العربية الكبرى ، فانها تأتي في
الدرجة الثانية في الخطر ، وتكاد تكون لما حولها في الغالب ، على
خلاف الأمر في بقية الاسواق التي هي من مواسم الحج .

بقيت هذه السوق قائمة كل عام حتى سنة سبع وتسعين ومئة ، إذ
تركت في زمن داوود بن عيسى بن موسى العباسي . والسبب في خرابها
أن من عادة ولاية مكة أن يستعملوا عليها رجلاً يخرج معهم بجند
فيقيمون بها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب واستمر الأمر على هذا
حتى قتلت الأزدي واليا كان عليها من قبيلة غني ، بعثه داوود بن عيسى بن
موسى ، فأشار فقهاء مكة على داوود بتخريبها فخربها وتركت منذ
ذلك الوقت ^(١) .

(١) أخبار مكة للأزرقي ص ١٣١ .

ذيل - لهذه السوق يد كبرى على العلم ينعم بفضلها كل باحث شرقي أو غربي ، =

ولأنها كانت السبب المباشر في تزويدنا بأوسع معجم جغرافي تاريخي وهو (معجم البلدان) لياقوت رحمه الله ، فقد جاء في مقدمة هذا المعجم مانصه :

« وكان أول البواعث لجمع هذا الكتاب أني سئلت عمرو الشاهجان في سنة

٦١٥ هـ) عن حباشة : اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، فقلت : أرى أنه حباشة بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللفظة لأن الحباشة الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة أي همت له شيئاً . فانبرى لي رجل من المحدثين وقال : إنما هو حباشة بالفتح ، وضم على ذلك وكأبر ، وجاهم بالعناد من غير حجة وناظر . فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل ، فاستقصيت كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت برويومتها وكثرة وجودها في الوقوف وسهولة تناولها فلم أظفر به إلا بعد نقض ذلك الشغب والمراء ، وبأس مع وجود بحث وامتراء ، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته ، ومكياً بالصاع الذي كتبه . فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم لكتاب في هذا الشأن مضبوط ، وبالإتقان وتصحيح الالفاظ محوط . ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً ، وإلى ضوء الصواب داعياً ، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون ولم يمتد الغابرون .. الخ ما قال ،

سوق صحار

بلد من أعمار بلاد العرب وأغناها وأطفحها بالمناجر، جاء في (مسالك الممالك) الإصطخري عند الكلام على عمان: « وقصبتها صحار، وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب. وهي أعمار مدينة بهمان وأكثرها مالاً ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أن حدود أعمالها (٣٠٠) فرسخ وكان الغالب عليها الشراة. »

وياقوت وصفها لنا كما شاهدها وصفاً أسهب وأدل على مكاتها التجارية الكبرى فقال:

« صحار قصبة عمان مما يلي الجبل (وتوأم: قصبتها مما يلي الساحل): مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالأجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها. وليس على بحر الصين (يريد فرض الجزيرة التي على بحر الهند) بلد أجل منه، عامر أهل، حسن طيب نزه، ذويسار وتجار وفواكه، أجل من زيد وصنعاء؛ وأسواق

عجبية وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الأجر والساج ، شاهقة نفيسة ، ولهم آبار عذبة وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء . وهو دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومعونة اليمن . والمصلى وسط النخيل ومسجد صحار على نصف فرسخ . فتحها المسلمون أيام أبي بكر سنة (١٢) صلحاً . «

ونستطيع أن نفهم من هذا الوصف - وإن كان لعهد ياقوت - مدى الشأن التجاري الذي كانت تتمتع به صحار^(١) في الجاهلية أيضاً . فقد كان بها تجارات واسعة تجلب الى مختلف أقطار الجزيرة العربية وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كُفِنَ بثوبين صحاريين .

* * *

تقيم العرب السوق العامة في صحار من عاشر رجب الى الخامس عشر منه بعد انفضاض سوق حباشة . والظاهر أنها تمتد الى ما بعد الخامس عشر من رجب ، فإن من لم يشهد الأسواق التي كانت قبلها لشغله عنها أو لأنه لا أرب له فيما يباع بما قبلها من الأسواق ، يوافيها فيجد فيها من البز المنثور وغيره من البياعات . وذكر المرزوقي^(٢) :

(١) في فهرس الاماكن لكتاب (صفة جزيرة العرب) : «صحار في اليمن» و «صحار في البحرين» فيها صحاران إذن . إلا أن المشهورة هي صحار اليمن وهي التي نتكلم عليها هنا . (٢) الأزمنة والامكنة ٢ : ١٦٣

« أنهم يقيمونها لعشرين يوماً من رجب . » ولا يناقض هذا ما قدمناه ، لأن افتتاح السوق وانفضاضها لم يكن بساعة محتمة لا تقدم عنها ولا تأخر ، بل إن من العرب من لا يكون حضر ما قبلها فيأتيها من أول رجب ^(١) . ومنهم من يكون في جاشة أو غيرها فيوافقها متأخراً . وتبقى البيوع قائمة حتى ينتهي اصحابها منها .

وليست صحار من الأسواق العامة ولا من المواسم مثل عكاظ حتى يحرصوا عليها ذلك الحرص ، وإنما هي سوق تجارية محضة لما حولها ولمن يقصدها ، على أنها كثيراً ما يأتيها التاجر البعيد .

وقيام هذه السوق في رجب يغني قاصدها عن الحماية فيقدمها الناس غالباً بلا خفارة ولا حذر إلا من المحليين ، لأن رجب شهر حرام . فهي من هذه الجهة تمتاز من الأسواق التي تقوم في غير الشهر الحرام مثل سوق المشقر وغيرها .

يعشر الناس في هذه السوق الجندى بن المستكبر ^(٢) ، وذكر الأزرقى أن بيعهم فيها يالقاء الحجارة على ما تقدم في فصل البيوع كما هو الأمر في سوق دومة الجندل .

(١) نص صاحب الخبر (ص ٢٦٥) على أن زمنها في الليالي الخمس من

أول رجب . (٢) الخبر ص ٢٦٥

سوق دبي

دبي^(١)، سوق ذكرها المرزوقي في جملة أسواق العرب . والظاهر أنها كانت قديماً ذات شأن إذ كانت قصبة عمان ثم اضمحل مركزها وزاحتها صحار وصارت هي قصبة هذا القطر فنّم لم يكن لها من الشأن مثل ما غيرها . وصفها صاحب مرصد الاطلاع بأنها سوق من أسواق العرب بعمان وأنها مدينة عظيمة مشهورة . قال ياقوت : « دبي سوق من أسواق العرب بعمان وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وكانت قديماً قصبة عمان . ولعل هذه السوق المذكورة كانت عندها . فتحها المسلمون أيام أبي بكر عنوة سنة ١١ للهجرة . »

* * *

جعل المرزوقي تاريخ قيام هذه السوق بين سوقي صحار والشحر . ونستطيع ان نفهم شيئاً من خطرها التجاري إذا علمنا أنها من فرض العرب المشهورة ، وأنه يكون فيها من لا يكون في غيرها من تجار

السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب^(١)، وتمتاز من غيرها
بالبضائع الأجنبية التي يحملها التجار من بلادهم في البحر وتنفذ منها
تجارات العرب الى الخارج .

تقوم سوقها آخر يوم من رجب ويشتري بها بضائع جزيرة
العرب وبضائع الاقاليم . ومن البديهي أن البيع فيها لا يكون بإلقاء
الحجارة ولا بالإيماء ولا بغيرهما من البيوع الخاصة، لمكان الأجانب
منها ، بل هو بالمساومة^(٢) لأن السوق سوق مختلطة غير خالصة الصبغة .
ولا يباع فيها شيء حتى يبيع ملكها الجلندي بن المستكبر كل
ما عنده ، وهو الذي يعثر الناس فيها كما يفعل غيره من الملوك في
غيرها من الأسواق .

سوق الشحر

يطلق اسم الشحر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان ، والشحر مأخوذ من مشحر الأرض وهو مسبخ الأرض ومنابت الحموض ، وتشتمل على بلاد وأودية وقرى ، والمراد بها هنا شحر مهرة وهي قصبته ، وليس فيها زرع ونخيل وإنما أمواهم الإبل « وبها نُجِب من الإبل تفضل في السير سائر النجب »^(١) .

ونظراً لوقوعها في أقصى جنوب الجزيرة على بحر الهند ضربوا بها المثل في البعد فيقولون :

« لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر »^(٢) واختلاط أهلها بالنازلة من الحبشة والهند وفارس وغيرهم من التجار، مع ما في لسانهم من الفروق بينه وبين لغة الحجاز جعل أهلها غير فصحاء حتى قال الإصطخري « ألسنتهم مستعجمة جداً لا يكاد يوقف عليها . » وأرضهم في الجملة مقفرة ، وعيش أهلها من الأنعام والتجارة والصيد .

اشتهرت منذ القديم بعنبرها الذي لا نظير له ، فكل عنبر جيد

(١) مسالك الممالك للإصطخري (٢) صفة جزيرة العرب للهداني ص ٢١٣

إليها ينسب ، قال الثعالبي في (ثمار القلوب) : « عنبر الشجر يضرب به
المثل قال الشاعر :

ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشجر «
واللبان الذي يحمل الى الآفاق منها يجلب .

* * *

تقوم هذه السوق في النصف من شعبان بعد انقضاء سوق «دبي»
ويقصدها من كان ثمة من تجار البر والبحر ، والبضاعة الراجحة فيها البز
والأدم والكندر والمر والصبير والدخن^(١) .

ولا يسير إليها قاصدها إلا بخفارة لبعدها وانقطاعها فلا غنى
لتجار العرب عن خفارة يتخفرون بها ، وكان يقوم أحياناً بهذه
الخفارة أهل مهرة أنفسهم .

« ولم يكن بها عشور لأنها ليست بأرض مملكة وكانت التجار
تتخفر بيني محارب من مهرة^(٢) ، وفي هذه السوق يبيع كاتي تقدمت
في سوق دومة الجندل من رمي الحصاة وإلقاء الحجارة^(٣) . وموضع
هذه السوق - على ما ذكر محمد بن حبيب - تحت ظل الجبل الذي عليه
قبر هود عليه السلام^(٤) .

(١) الكندر : ضرب من الملك نافع لقطع البلغم ، والمر دواء معروف
نافع للسعال ولسع العقارب وديدان الأمعاء ، والدخن : حب أصفر من حب
الجاروس ، أملس جداً بارد يابس حابس للطبع . (٢) المحبر ص ٢٦٦

سوق عدن أنين

قيل إن هذه التسمية نسبة الى أبين ، وعدن بالمكان: أقام، فمن هنا قول من قال إنها اشتقت من العدن لأن أبين، رجل من حمير أقام فيها . إلا أن صاحب تاج العروس قال : « نقل شيخنا عن حواشي الكشاف للفاضل اليمني وهو أعرف ببلاده : أبين اسم قصبة بينها وبين عدن ثمانية فراسخ ، أضيفت إليها لأدنى ملاسة .

وعدن مدينة ذات موقع جغرافي ممتاز ، على بحر الهند الى جنوبي مضيق باب المنذب نحو الشرق . فيها مرسى للسفن الواردة الى آسية من البحر الاحمر ، وبها كانت تمر مراكب الهند ومصر والحجاز والحبشة منذ القديم للحط والإقلاع ، وهي في ذيل جبل ينتهي بسور الى البحر « رديئة الهواء لامااء بها ولا مرعى ، وشرب أهلها من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم^(١) » والماء ينقل اليها على ظهور الدواب . وأهم تجارات هذه السوق الطيب بأنواعه ، ويجلب اليها الأدم

والبرود من (معافر) وتكثر فيها اللطائم ، وبها مغاوص اللؤلؤ ، بقيت على شأنها هذا حتى الاسلام فازدهت في عهده تجارتها حتى « أصبحت فرضة اليمن ومقر كل فضل مستحسن » وإن الطيب الذي يستعمله سائر الناس كان يتخذ بها وصار لأهلها بصنعه مهارة فائقة ، قال المرزوقي : « وكان طيب الخلق جميعاً بها يعبأ ، ولم يكن يحسن صنعه أحد من غير العرب ، حتى إن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول (بعدن) تفخر به في السند والهند ، وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم . وإن الناس على ذلك (الى اليوم) ما يحسن اليوم حملة إلا أهل الاسلام بعدن (١) »

كان العرب إذا ارتحلوا من الشحر بعد انقضاء سوقها نزلوا عدن فأقاموا بها السوق مدة العشر الاول من رمضان ، أما تجار البحر فإنهم يستغنون عن شهودها بما شهدوا من الاسواق قبلها ، إلا من بقي من بيعه شيء لم ينفد بعد ، أو فاته حضور ما قبلها ، فإنه يشهدا مع الناس فيستدرك بها ما فاته من اتجار . ثم ينفذ الناس منها إلى رمضان من قابل .

وقاصد هذه السوق في غنى عن خفارة الناس لقيام حكومة

متظمة فيها فإنها من مخالف اليمن ، لذلك لا يتخفر أحد فيها وتؤدي
عشور هذه السوق إلى ملكها من حمير أو من خلف حمير على ملكها .
ولما صارت في حوزة الابناء من فارس حين غلبوا على اليمن كما امتد
نفوذ مملكتهم على سواحل العرب الشرقية والجنوبية كلها ؛ جعل الناس
يؤدون العشور فيها الى هؤلاء .

وذكر محمد بن حبيب أن « الابناء تعشرهم بها ولا تشتري في
أسواقهم ولا تبيع »^(١)

ولعل حال الاخذ والعطاء في هذه السوق أنشط وأوسع ،
والتجارة فيها حرة أكثر ، لأن من قام على أمور عدن من حمير أو من
الفرس لم يكونوا يتاجرون لأنفسهم فيها كما يفعل أكيدر في دومة أو
الجلندي في صحار فينحجز الناس عن عرض بضائعهم حتى يبيع الملك
كل ما عنده من متاع ، فكانت التجارة تحظى في هذه السوق بشيء من
الانطلاق لكف ملوكها عن مزاحمة الرعية على هذا المورد من
الكسب .

سوق صنعاء

صنعاء أطيب بلاد اليمن ، بل جنة جزيرة العرب كلها ، هي
مضرب الأمثال في طيب الهواء واعتداله وحسن العيش ، قال ياقوت :
« صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها
وتدفق مياهها ، وليس بجميع اليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً
من صنعاء . وهي من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الانسان
من مكان طول عمره صيفاً ولا شتاء ، وتتقارب بها ساعات الشتاء
والصيف ، وغاية ساعات النهار بها اثنتا عشرة ساعة وإحدى وخمسون
دقيقة ^(١) . طيبة الهواء كثيرة الماء . قدم يزيد بن الصعق صنعاء ورأى
أهلها وما فيها من العجائب ، فلما انصرف قيل له : كيف رأيت
صنعاء ؟ فقال :

ومن ير صنعاء الجنودِ وأهلها
يعلم بأن العيش قسم بينهم
ويرى مقامات عليها بهجة
يا رجن هندياً ومسكاً أذفرا .
وجنود حَمير قاطنين ، وحميرا
جلبوا الصفاء فأنهلوا ، ما كدرا
وليس من الغريب أن نسمع يميناً كألهمداني يشيد بذكرها فيقول :

« هي إحدى جنان الارض عند كافة الناس ^(١) ، فقد حيرت بحسنها وكثرة اشجارها ومياها ومروجها وأنهارها وطيب أوديتها غيره فدهش أول مارآها وملكه الاعجاب ^(٢) : » قال احمد بن موسى وهو من الشعراء المتأخرين حين رفع الى صنعاء وصار الى ثقيل السود (على مقربة منها) :

إذا طلعتنا (ثقيل السود) لاح لنا من أفق صنعاء مصطاف ومرتبِع
يا حبذا أنت يا صنعاء من بلد وحبذا واديك الظهر والضلع ^(٣) ،
بقيت صنعاء ^(٤) دار سلطنة وإمارة حتى يومنا هذا . وقد كان بها
مقر ملوك اليمن قديماً وفيها قصر غمدان وهو بناء شاهق على تل عظيم
اتخذة أقبال اليمن وليس في اليمن جميعه بناء أرفع منه .

(١) الإكليل ٨ : ١٢

(٢) ومن الطريف أن يذكر ياقوت أيضاً أن صنعاء اسم لقربة على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون ، خربت وهي اليوم مزرعة وبساتين . وفي هذا دلالة على أن العرب مولعون بذكر ديارهم وأوطانهم أينما حلوا ، هم على الوفاء لعدها تحت كل سماه ، وإطلاقهم صنعاء على هذه القرية الخربة لعهد ياقوت ، كإطلاقهم في بلاد الأندلس وجناتها أسماء حمص ودمشق ...

(٣) تاج العروس

(٤) نعتها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) نعتاً جليلاً حوى معارف قيمة جداً عن هذه البلدة العظيمة ، وانظر على صيبل المثال ما ذكره عن ضروب =

« ويكون سوق صنعاء في واديهما ، قيل هو وادي عليب ،
وقيل هو أصل جبل نَقْم مما يلي قبليته ، وقيل غدير الحقل (١) .
كان العرب اذا ارتحلوا من الشحر وعدن أقاموا سوق صنعاء
فاستمرت من نصف شهر رمضان حتى آخره . يأتونها « بالقطن

= فراكهبا فإنها في هذا فاقت دمشق نفسها قال ص ١٩٦ :

« جميع الثمار بها من العنب الملاحى والدوالي والاشهب والدُرْبِج والنوامي
والزبادي والاطراف والعيون والقوارير والجُرْشي والنشاني والتابكي والرازي
والضروع . ويؤتى اليها من خيوان بالرومي ، ومن الجوف بالوادي . وبها
الرمان الحلو والحامض والمزوج والمليس والسفرجل ، وليس يلحق به سفرجل
البلاد لأن فيه شيئاً من الحموضة والقبض ، والإجاص والمشمش والتفاح الحلو
والتفاح الحامض والمزوج . والحوخ الحميري والحوخ الفارسي والحوخ الهندي
والجوز الفرك واللوز الفرك ، والحلو منه والمر والكمثرى وقد وُفِدَ إلى صنعاء
قِدْمة . وبها الورد والباقلاء الأخضر ولا يتركونه يبلغ ؛ وجميع أصناف البقول
وجميع الجبوب ... » وكثير أن يكون ببلدة واحدة أربعة عشر صنفاً من
العنب وحده . وقد أفاض الهمداني بعد هذا بتفصيل مستفيض عن طعامها وألوانه
وعن خبزها بما هو غاية في الطرافة والحظر فليرجع اليه ثمة . ولو أن كل قطر
عربي حظي بباحث كالمهداني لما كنا اليوم في معارفنا عن بلادنا في ظمأ وغلة
لا نجد لها أدنى ري .

(١) تاج العروس . وكان بدل (جبل نغم) في الطبعة الاولى من كتابنا
(جبل نعيم) فكتب اليها الاستاذ (كرنكو) أن الصواب : جبل نغم بضم
النون والقاف وهو الجبل المطل على صنعاء واسمه كذلك الى يومنا هذا . اهـ

الزعفران والأصباغ وأشباهاها فما ينفق بها ويشترون فيها ما يريدون من البز والحرير^(١) ، وكان أروج تجارتها الغالية والأدم والبرود وكان هذان الصنفان الأخيران يجلبان إليها أيضاً من معافر إحدى قرى اليمن فتباع فيها وتصدر الى الاقطار . وكذلك يجلب منها من الخرز شيء كثير .

كان يبيعهم فيها الجس جس اليد^(٢) ، وكان يعشر الناس فيها الأبناء^(٣) بعد أن كان يعشرهم أمراؤهم من حمير .

* * *

(١) ، (٢) الأزمنة والامكنة ٢ : ١٦٤ والمجبر ص ٢٦٦

(٣) اليعقوبي ، والمجبر ص ٢٦٦

سوق حضرموت

حضرموت إقليم واسع يشتمل على بلاد وقرى ومياه وجبال وأودية باليمن ، يكون الى جنوبه الشحر ، والى شرقه عمان والى غربه صنعاء . قريب من البحر وفيه رمال واسعة كثيرة تعرف بالأحقاف ، وهذا الصقع كثير الجبال والأودية وهو في جملة قاحل ، والبلد نفسها صغيرة ضئيلة الشأن ، راسل أهلها رسول الله ﷺ فدخلوا في طاعته صلحاً ، وقدم عليه الأشعث بن قيس في بضعة عشر راكباً مسلماً في وفد فأكرمه الرسول ^(١)

وأغلب قوت أهلها التمر ، لأن بها نخلاً كثيراً ، وقد كشفت الحفريات الآن في هذا القطر عن مدن خربة عليها كتابات بالخط المسند ، مما يدل ان لسكانه في القديم شأناً يذكر .

(١) ياقوت ، وقد اهتم بعض القدامى من المؤلفين بما حظيت به من كثرة الاولياء ، ورأوا في تسجيل ذلك عوضاً مما فاتها من خصب وسعة فقال القزويني في عجائب المخلوقات : « نقل شيخنا عن تفسير أبي الحسن البكري في قوله تعالى : (وإن منكم إلا وارِدُها) : يستثنى من ذلك أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك رشدة ، وهي تنبت الاولياء كما تنبت البقل وأهلها أهل رياضة .

يتخذ بها نعال جيدة ذات شهرة وتنسب إليها فيقال : نعل
حضرية وهي الملسنة من النعال .

* * *

تقوم السوق في رابية بحضرموت فتعرف أيضاً بسوق الرابية ،
من منتصف ذي القعدة حتى آخره ، وربما قامت هي وعكاظ في يوم
واحد ، فكان بعض الناس يأخذ الى عكاظ وبعضهم يتوجه الى رابية
حضرموت ، وهذه السوق خاصة بمن حولها ، ولكن كثيراً ما يأتيها
الناس من بعيد ، ولقريش قوافل الى هذه السوق ترسلها في تجاراتها ،
و كثير من العرب يجوزها الى غيرها ولا يحضرها ، ونظراً لانتقطاعها
عما حولها لم يستغن قاصدها عن دليل وخفير قال المرزوقي :

أما الرابية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة ، لأنها لم تكن
أرض مملكة ، وكان من عز فيها بز صاحبها ، فكانت قریش تتخفر
ببني آكل المرار من كندة ، وسائر الناس (يتخفرون) بآل مسروق
ابن وإئل الحضرمي ، فكانت مكربة لأهل البيتين ، وفضل أحدهما
على الآخر كفضل قریش على سائر الناس ^(١) .

فيستفيد هذان الحيان من الخفارة والدلالة معاً ربحاً مادياً إذ كان
كسبهم من أولئك التجار الذين يمشون بين أيديهم بسلاحهم يحرسون
بضائعهم ويحمون حياتهم ويدلونهم على الطريق .

(١) الأزمنة والأمكنة ١٦٥/٢ . والمجرب ص ٢٦٧

سوق عكاظ

عكاظ^(١) هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية ، معرض بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا نحن أبناء هذا العصر : فهي مجمع أدبي لغوي رسمي ، له محكمون تضرب عليهم القباب ، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأديبهم ، فما استجادوه فهو الجيد ، وما بهرجوه فهو الزائف . وحول هذه القباب الرواة والشعراء من عامة الأقطار العربية ، فما ينطق الحكم بحكمه حتى يتساقل أولئك الرواة القصيدة الفائزة فتسير في أغوار الجزيرة وأنجادها ، وتلهج بها الألسن في البوادي والحواضر . يحمل الى هذه السوق التهامي والحجازي والنجددي والعراقي واليامي واليمني والعماني ، كل ألفاظ حية ولغة قطره ، فما تزال عكاظ بهذه اللهجات نخلًا واصطفاءً حتى يتبقى الأنسب الأرشق وي طرح الجفوة الثقيل .

وهي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة ، يحمل إليها

(١) ورد في (عكاظ) الصرف وعدمه . وقد جربنا على منعه لانا رأينا

المنع هو الاكثر فيها والاشهر :

من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل إليها أدبه ، فإليها يجلب الخمر من هجر والعراق وغزة وبصرى ، والسمن من البوادي ، ويرد إليها من اليمن البرود الموشاة والأدم ، وفيها الغالية وأنواع الطيب وأدوات السلاح .

ويباع فيها الحرير والوكاء والحذاء والمسير والعدني ، يحملها إليها التجار من معادنها ، وفيها من زيوت الشام وزبيبا وسلاحها ما اعتادت قريش ان تحمله في قفولها الى مكة . ويعرض فيها كثير من الرقيق الذي ينشأ عن الغزو وسي الذراري فيباع فيها بيع المتاع التجاري^(١) .

ويبيع فيها كل غاز سلبه وكثيراً ما يكون هذا البيع سبباً في قتل صاحبه إذا أبصر السلاح أحد من ذوي المقتول فعرفه ، فإنه يضمها في نفسه و ينتظر ان يظفر بالرجل ليثأر منه .

(١) من ذلك أم عمرو بن العاص ، فقد كانت سبية بيعت في عكاظ ، عرفنا أمرها في خبر طريف يقصه ابن عبد ربه ؛ « خاطر رجل الى أن يقوم الى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول : (أيها الأمير ، من أمك ؟) ، ففعل ؛ فقال له : « النابغة بنت عبد الله : أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جدوا لك شيئاً فخذها ! » - العقد الفريد ٦٣/١ (سنة ١٩٤٠) .

وقد كانت تجارة فارس يصل منها أشياء الى عكاظ : فإن النعمان ابن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيمة (وهي في الأصل العير المحملة مسكاً) في جوار رجل شريف من أشرف العرب يجيرها له ويحميها من كل معتدٍ حتى تصل سالمة الى عكاظ فتباع هناك ويشري بثمانها ما يحتاج إليه من آدم (جلود) الطائف وسائر المتاع في عكاظ : من حرير وعصب مسير ، ويبتع فيها حلة ذي يزن فاشتراها حكيم بن حزام ليهديا رسول الله ^(١) ، بل إن عكاظ نفسها مشهورة بما يعرض فيها من جلود حتى قالوا : « أديم عكاظي » نسبة إليها .

حتى البضائع المجهولة الأصل المعروضة في عكاظ تجد من شرائع القوم وأعرافهم التي التزموها ما يجعلها كاسدة لا يرغب فيها أحد ، فهذا بعض لصوص العرب « قرب إبلا للبيع في سوق عكاظ وكان أغار عليها من كل وجه ، فلما عرضها قيل له : « مانارك ؟ » (أي ماسمة إبلك ؟) وكانوا يعرفون علامة كل قوم التي يسمون إبلهم بها ويعرفون كرمها من لؤمها) ، فلما كثر ذلك عليه أنشأ يقول :

(١) انظر تفصيل هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر ص ٤١٤ ، ٤١٥

يسألني الباعجة أين نارها إذ زعزعتها فسمت أبصارها
كل نجار ابن نجارها وكل نار العالمين نارها ^(١)
وهي معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية :
فها هنا (قس بن ساعدة) يخطب الناس ، يذكر الخناق ويعظم بمن
كان قبلهم ويأمرهم بفعل الخير ^(٢) . وهناك خالد بن أرطاة الكلبي تتبعه
قبيلته وقد جاء لينافر جرير بن عبد الله البجلي ومع هذا حيه أيضاً
وقد ساق كل منهما مالاً عظيماً ينافر عليه ، وعرضاً الحكومة على
رجال قريش فأبوا أن يحكموا خوف الفتنة بين الحيين ، فالرجلان
في عكاظ ينتظران الأقرع بن حابس ليقوم بهذه الحكومة وقد ساقا
الرهن فوضعوها عند عتبه بن ربيعة ^(٣) دون جميع من شهد على ذلك
المشهد ، وها هنا عمر بن الخطاب في الجاهلية يصارع ^(٤) ، وثمة كاهن

(١) ويروى البيهتان هكذا :

يسألني الباعجة ما نجارها إن زعزعوها فسمت أبصارها
فكل دار لأناس دارها وكل نار العالمين نارها - بلوغ الأرب ١٦٣/٢

(٢) زعم أحد الكتاب أنه كان بعكاظ (أسقفية) للنصارى - انظر مجلة

المشرق (السنة ٣٥) ص ٨٤

(٣) انظر تفصيل ذلك في رسائل الجاحظ ص ١٠٢ (جمع السندوي) ،

وبلوغ الأرب ٣٠١/١ - ٣٠٥ وغيرهما .

(٤) طبقات ابن سعد ٢٣٥/١

وعراف وعائف وقائف ، وقرود ، وغنم ، وصحيفة وكاتب .
وهناك أناس من غواة الشهرة : هذا يمد رجله وينشد شعراً
ويقول : « من كان أعز العرب فليقطع رجلي » وآخر يأتي عكاظ
بيناته ترويحاً لزوجهن ، وأناس قد،وها ليختاروا من يتزوجون اليه ..
قال المرزوقي :

كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب : كان
الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد ، والحلة الحسنة ، والمركوب
الفاره ، فيقف بها وينادي عليه : « ليأخذه أعز العرب » يريد بذلك
معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته .
وكان كسرى يبعث في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس
الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في تلك السوق وينادي مناديه : « إن
هذا بعثه الملك الى سيد العرب » فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب
جميعاً بالسودد فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية ، وكان
كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم في أهوار العرب
فيكونوا عوناً له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب .. »^(١)

(١) مثير العزم الساكن في فضائل البقاع والاماكن لابن الجوزي ،
مخطوطة بدار الكتب الظاهرية (أدب ٤٦) الكراس الخامس عشر .

وهي أيضاً ندوة سياسية عامة ، تقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل : فمن كانت له إتاوة على قبيلة نزل عكاظ فجاؤوه بها ، ومن اراد تخليد نصر لحيه فعل فعل عمرو بن كلثوم فرحل الى عكاظ وخلده فيها شعراً ، ومن اراد إجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الناس ، ومن اراد اعلان حرب على قوم أعلنه في عكاظ ، حتى (جمعية الأمم) او (هيئة الامم المتحدة) وماقامتا به من مجهود (رسمي) في سبيل السلم الخاص ، كان لها صورة مصغرة تشبهها بحسب الظاهر (لافي الحقيقة ، لأن عكاظ لم تكن ترائي فتستغل الدعاية الشريفة لتسيغ للقوي أكل الضعيف) ، فقد روى الأصفهاني أنه : « اجتمع ناس من العرب بعكاظ منهم قررة بن هبيرة القشيري والمخبل وهو في جوار قررة ، في سنين تتابعت على الناس فتواعدوا وتوافقوا ألا يتغاوروا حتى يخضب الناس ! »^(١) ولا يخفى علينا أنه كانت تكون في عكاظ « وقائع مرة بعد مرة »^(٢) .

وكانت هذه السوق تقوم من العرب يومئذ مقام الجريدة الرسمية في أيامنا هذه وقد تقدم آنفاً شيء من ذلك في أمر الجوار وأخبار

(١) الاغاني ١٤ / ٣٧

(٢) بلوغ الارب. ١ / ٣٦٨

الحروب . فن أتى عملاً شائناً تأباه مروءة العربي شهروا أمره بعكاظ
ونصبوا له راية غدر^(١) فعرفوه فلعنوه واجتنبوه ، ومن أراد أن
يستلحق امرأ بنسبه استلحقه وأعلن ذلك للناس في عكاظ ، ومن اراد
التبرؤ من قريب لسبب ما ، تبرأ منه علناً ، فإذا أتى بعد ذلك جريمة
أو خيانة كان المتبرئ - في عرف العرب يومئذ - في حل مما أتى
قريبه : ذكروا « أن قيس ابن الحدادية من شعراء الجاهلية ، كان
شجاعاً فاتكأ صعلوكاً خليعاً ، وقد جر على قومه خزاعة عتاً وإرهاقاً
كبيراً ، فخلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بجلعها إياه
فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه^(٢) . »

وإذا أطلق لقب على أحد في عكاظ عرف صاحبه به ، وجرى
له مجرى اسمه واسم أبيه : قاتل أبو ربيعة بن المغيرة من قريش يوم

(١) لم يقتصر هذا على عكاظ ، بل نجد نحواً منه في عامة المراسم ولا سيما
مواسم الحج ، فاذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بنى أيام الحج على أحد
الأخشيين ثم صاحوا : هذه غدره فلان ليحذره الناس ، - بلوغ الأرب ١٦٢/٢
وهدد زهير بن أبي سلمى بنى عبد الله بن غطفان ان لم ينصفوا بقوله :

وتوقد ناركم شرراً ويرفع لكم في كل جمعة لواء

العقد الثمين ص ٣١

(٢) الاغانى ١٢/٢٠ .

شرب (وهو من أيام عكاظ) برعنين فسمي ذا الرعنين وبه يعرف ،
وثبت في هذه الحروب من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الستة وهم
حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو فسموا
(العنابس) والعنيس الأسد ^(١) . وأمثال ذلك .

وغني عن البيان أيضاً ما يدخره الصغار الذين يصطدهم أهلهم
الى عكاظ من ذكريات عن تلك السوق لا تنسى ، هذه خولة بنت ثعلبة ^(٢)
تستوقف عمر بن الخطاب في خلافته فيقف لها فتقول : « إيهأ يا عمر ،
عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تزرع الصبيان بعصاك ، فلم
تذهب الايام حتى سميت عمر ، ولم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين ! » ^(٣)
وخير ما يعطينا صورة واضحة عن عكاظ أن نعرض لأهم
الأحداث التي جرت فيها ، فتمثل بوساطتها أحوال العرب في هذه
السوق الكبرى ، في بيعهم وشرايتهم وتخاصمهم وتفاجرهم وحربهم

(١) القاموس مادة (عنيس)

(٢) التي سمع الله كلامها من فوق سبع سموات وأنزل فيها « قد سمع الله
قول النبي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله .. » انظر خبرها في كتابي (الاسلام
والمرأة) ص ٣٩

(٣) اجتماع الجيوش الاسلامية لابن قيم الجوزية ص ٦٨

وسلمهم ، فإن في ذلك تفصيل ما أجملت ^(١) .

وأشد ما يثير الاستغراب ؛ هذا الشبه الكبير بين عكاظ ومعارض هذا العصر ، بل إن عكاظ لأوسع مدى فيما يعرض فإنه لا يقتصر على مواد التجارة والصناعة بل يتعداهما إلى الأدب والشعر والحرب والسلم والعادات . . . فإذا أنا أفضت في وصف عكاظ وما فيها ، فإن ذلك إفاضة في وصف سائر أسواق العرب أيضاً ، فليس فيهن سوق تساميهما . وما جرى في عكاظ جرى قريب منه في بقية الأسواق مع مراعاة صغر هذه واقتصارها أحياناً على أهل ناحية واحدة ، فليكن تاريخ عكاظ إذناً تاريخاً لكل أسواق العرب ، وتاريخاً لكثير من عاداتهم الاجتماعية أيضاً .

* * *

(١) هذه الاخبار مبثوثة في بطون الاسفار وقد لقيت في جمعها وتبويبها من المصابرة والعناء نصيباً غير يسير ، فانه ليس لدينا تفصيل جلي عن عكاظ مجموع في موطن واحد ، وأوسع فصل عنها هو ما ذكره الألويسي رحمه الله في بلوغ الأرب ، ويكاد يقتصر هذا الفصل على ذكر حروب عكاظ وتنتف بتعلق بالفاخرة وهو شيء لا ينفع غلة ولا يكاد يرسم الخطوط الاولى للصورة . ونحن نعلم أن الكلمة والكلمتين والثلاث ، والسطر والسطرين . . مما يكون عرضاً في خبر من الاخبار ، قد يكون له من البلاء الحسن في الكشف عن الحقائق والدلالة على العادات ، مالا يكون للفصل المطول تفرؤه في موضوع واحد .

عكاظ نخل في واد بين مكة والطائف على مرحلتين من مكة
ومرحلة من الطائف ، وموقعها جنوب مكة إلى الشرق . هذا زبدة
ما يستخلص من تعاريفهم المتضاربة في عكاظ^(١) تقوم السوق في
مكان منه يعرف بالأثداء فيه مياه ونخل ، وهو مستوٍ لا علم فيه ولا
جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت لأهل الجاهلية ، وبها من دماء

(١) من حسن الحظ أن ذهب فتحري موضعها بنفسه باحث عربي فوصفه
لنا . وهو السيد خير الدين الزركلي الشاعر في كتابه (مارايت وما سمعت)
ص ٧٩ قال : « على مرحلتين من مكة للذاهب الى الطائف في طريق السيل ،
يميل قاصد عكاظ نحو اليمن ، فيسير نحو نصف الساعة فاذا هو امام نهر في باحة
واسعة الجوانب يسمونها (القانس - بالكاف المعقودة) وهي موضع سوق
عكاظ ... وهذه الباحة هي مجتمع الطرق الى اليمن والعراق ومكة ، وهي
مرتفعة تشرف على جبال اليمن ... والواقف فيها يرى على مقربة منه موضعين
مرتفعين احدهما يسمى الدمة (بكسر ففتح) والآخر البهية (بصيغة التصغير)
وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمر بها سالكو
درب السيل .. وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون : ان عكاظاً كان في
مكان يعرف اليوم باسم (القم-اوي) في وادي لية من الطائف . غير أن
الشيوع يؤيد ماقلناه آنفاً من أنه هو (القانس) نفسه وعليه أكثر العارفين من
أهل هذه الديار . »

هذا وقد نشر الدكتور محمد حسين هيكل كتابه « في منزل الوحي » بعد
صدور الطبعة الاولى من كتابنا هذا بنحو سنة ، فإذا فيه بحث عن عكاظ
وقد رجح المؤلف أن موضعها جنوب الطائف مستنداً الى قول (ابن رسته) =

البدن كالأرحاء العظام^(١). كانوا يطوفون حول صنخور فيها ، وربما

= في الاعلاق النفيسة والى أن (مولر) رسم خريطة الادريسي الغامضة وحل ألغازها فكانت عكاظ جنوب شرقي الطائف أما قول ابن رسته فليس فيه تصريح بذلك وأما حل مولر للغاز خريطة الادريسي فلن يقف مجال لما تضافر عليه باحثو العرب قدمائهم ومحدثوهم ، وخريطة الادريسي نفسها حافلة بالاغلاط ، ثم ينقل عن المستر فلي رأيه في أن عكاظ في مكان السيل الصغير ص (٣٨٠) وقد هضى المؤلف بالسيارة الى حيث قيل له ورجح أن السوق كانت في موضع السيل الكبير ص ٣٨١ .

وخار مصادر الدكتور هيكل من (أسواق العرب) دليل على أن هديتنا اليه لم تصله وقد ارسلناها اليه بعنوان (مجلة السياسة الاسبوعية) قبل صدور كتابه (في منزل الوحي) بعشرة اشهر . وكان الظن بمثله أن يطلع على الكتاب وقد كتب عنه في المجلات العلمية قبل طبع بحثه المذكور .

وفي شهر رمضان ١٣٧٠ هـ (تموز ١٩٥١ م) اي بعد صدور الطبعة الاولى من (اسواق العرب) بـ ١٤ سنة نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٧٧ / ٢٦) محاولة للسيد حمد الجاسر في تحديد السوق فإذا به يجعلها شرقي الطائف اي لاعلى طريق القاصد من مكة الى الطائف (في نحو ثلثي الطريق) على ما في تعاريف القدماء . ومع ما بذل من جهد فان النفس لا تطمن الى مذهبه مع اعترافه بأن اغلب الاعلام التي كانت حول عكاظ لاتعرف اليوم . ومع هذا فقد يوفق باحث في المستقبل الى الصواب المتع .

ولما زرت الطائف بعد أيام الحج سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) حرصت أن أرجع بما يشفي النفس وتفرجت على المسيل الذي وصفوه ، وسألت العارفين وخرجت بصحبة وجه الطائف السيد محمد صالح نصيف وعرفت منه ان الذي = (١) معجم ما استعجم للبكري ٦٦٠ ومرصد الاطلاع وياقوت .

كان ذلك شعيرة من شعائرهم فقد ذكروا أنهم كانوا يحجون إليها .
وبالأثداء كانت أيام الفجار .

والظاهر أن ما يطلق عليه (عكاظ) من الأرض متسع فسيح
فيه حرار وفيه أرضون مسقية ذات نخيل . وقد مر في حروب الفجار أن
(شرباً) من عكاظ ، وأن (العباء) إلى جنب عكاظ ، وأن (شمطة) موضع
في عكاظ وأن (الحريرة) حرة إلى جانب عكاظ . مما يلي مهب جنوبها ،
وعرفت أن بني نصر صبروا مع ثقيف لأن عكاظ بلدهم وذلك الذي أحماهم .
ولا شك أن أرضاً اتسعت بعض أجزائها لمعارك عدة أرض
فسيحة واسعة ، وبذلك نفهم كيف كانت السوق تنتقل في عكاظ
فلا تلازم بقعة واحدة لالتحيد عنها يمينا ولا شمالاً على مدى
السنين المتطاولة .

وهي وما جاورها ديار قيس عيلان وهو ازن منهم خاصة .

وقد عرفت من حرب الفجار ص ١٧٠ أن قريشاً بادرت من

= استقر عليه رأي الباحث المرحوم السيد رشدي ملهس وابن بليهد وهو الامير فيصل
في عكاظ : انها منتقلة على ارض تمتد من جنوبي العشيرة الى المسيل الصغير و (الحاوية) .
وأظن جهداً يبذله الافاضل العارفون من اهل تلك الناحية موصل الى
الكشف عن موضع عكاظ بما يزيل كل ريب ان شاء الله .

عكاظ مسرعة إلى الحرم خوفاً من هذه القبائل بعد قتل البراض ،
إذ كانت عكاظ في ديارهم ، وهم بها أكثر ما يكونون منعة وعددا .
أما اشتقاق عكاظ ولم سميت بهذا الاسم ، فقد ذهب اللغويون
فيه مذاهب ، وقلبوا الكلمة على معانيها المختلفة : فالقهر والحبس ورد
الفخر والتجادل والتجاج . . . كل هذه معان للعكظ وكلها صالحة
لأن يعلل بها التسمية فيقول قوم : سميت عكاظ لأن العرب كانت
تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً في المفاخرة أي يقهره ويعرکه ،
وقال آخرون إنها من تعكظ القوم إذا تحبسوا لينظروا في أمورهم ،
وذهب غيرهم إلى أنها من التعاكظ بمعنى التفاخر .

تقوم هذه السوق في ذي القعدة ، وللعلماء بعد خلاف في تعيين
أيامها من هذا الشهر ، فالمرزوقي يجعلها تبدأ من نصفه حتى آخره ،
وآخرون يجعلون وقتها في شوال (١) إلا أن الأكثرين على أنها تبدأ
من أول ذي القعدة وتستمر حتى العشرين منه ، إذ تبدأ سوق مجنة
فيرتحل إليها الناس وهي أقرب من مكة ، فإذا أهل ذو الحجة انقشع
الناس من مجنة إلى ذي المجاز قرب عرفة وبقوا فيها حتى يوم التروية
فيبدأ الحج .

(١) ذكره صاحب مراصد الاطلاع وياقوت في إحدى روايته .

ويمكن جمع الأقوال المتقدمة بأن عكاظ قد تحفل بالناس في شوال ويتم تقاطرهم إليها في ذي القعدة : الزمن الرسمي للسوق . وحين تذهب جماعاتهم الى مجنة في العشرين من ذي القعدة يتخلف كثير ممن لم يكن أنهى بيعه وشراؤه فلا يتم خلوت السوق تماماً إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج ^(١) .

والسوق لقيس بن عيلان وثقيف وهي بمعكد هوازن ، وأرضها لنصر ، حتى لقد منعت هوازن قريشاً مرة من حضور عكاظ ، فقد روى الهمداني أنه لما طرد عبد الله بن جدعان القرشي مئة ناقة لكلاب ابن ربيعة من هوازن ، أرسل هذا الى قريش : « إن سفيهم أغار علي فطردنا ^(٢) مئة ناقة ، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ، ولي عليكم ترة ، وكان عكاظ في وسط أرض قيس عيلان ^(٣) » ونوت قريش قتل ابن جدعان لعدم استغنائها عن حضور السوق .

(١) هناك من نقل : أن لعكاظ غير تلك السوق السنوية التي تجتمع بها القبائل ، لها ايضاً سوق اسبوعية تقوم كل يوم أحد لليبيع والشراء . انظر (مدينة العرب في الجاهلية والاسلام) لرشدي ص ٥٩
(٢) كذا ولعلها (طرد لي)
(٣) الاكليل ج ٨ ص ١٨٤

ينزل السوق « قريش وهو ازن و غطفان و خزاعة و الأحابيش
و عضل و المصطلق و طوائف من أفناء العرب (١) » يؤمونها من العراق
و البحرين و اليمامة و عمان و الشحر و اليمن و سائر أطراف الجزيرة .
فهي عامة حتى إنه ليس فيها مكّاس و لا عشّار لأنه لم تكن في ملك
أحد من الأمراء . و قربها من مكة و مشاعر الحج ألبسها حرمة
تتقصف دونها مطامع الكبراء ، و لعل من أهم ميزاتها صفتها العامة
هذه ، أما الفصل بين الناس فيها فزعم المرزوقي « أنّ أمر الموسم
و قضاء عكاظ كان في بني تميم يكون ذلك في أفخاذهم : الموسم على
حدة ، و عكاظ على حدة ، و كان من اجتمع له ذلك منهم عامر بن الظرب
العدواني و سعد بن زيد مناة من تميم ، و قد فخر الخبيل بذلك في شعره فقال :
ليالي سعدني عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ و مغرب
ثم وليه (فلان و فلان ..) حتى جاء الإسلام فكان يقضي
بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، و كان أبوه قاضيها في
الجاهلية ، فبات فصار ذلك ميراثاً لهم ، و كان آخر من قضى منهم و وصل
إلى الإسلام الأقرع بن حابس . »

و كان الناس ينزلونها منحازين على مداعيتهم و رواياتهم في المنازل ،

تضبط أمور كل قبيلة أشرافها وقادتها . ويختلط بعض الناس في بعض
إذا هبطوا بطن السوق للبيع والشراء .

تقيم العرب هؤلاء الأيام في عكاظ يتهيؤون للحج ويتبايعون
ويتناشدون ويتفاخرون ويتقارعون ويتنافرون ويتعاضمون ^(١) .
ولم يكن مجمع للعرب أحفل من عكاظ ، فكانوا يضربون بكثرة
أهلها المثل ، وبقيت لها هذه الشهرة بعد الإسلام ، فقد جاء في الأمالي :
أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب لما سئل عن قتله علياً
قال : « ضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ لقتلتهم ^(٢) » .

وكما كان يقوم بأمر الحكومة عامة فيها بنو تميم ^(٣) . كانت
الحكومة في الشعر للنابعة الذيباني .

لا عاشر لهذه السوق ، وأما بيعهم فيها فهو السرار وجس اليد ^(٤) .

(١) المفاخرة ان يتحاكم اثنان في : أيها آباؤه أكثر مفاخر . والمنافرة
ان يتحاكما في : أيها أعز نفرأ من صاحبه . والمعازمة ان يتحاكما في : أيها أعظم
مصيبة . والمقارعة شبيهة بالمنافرة . هذا وقد يكتفي المتنافران بالحكم مجرداً
وقد يجعلان بينهما جعلاً الذي يحكم له بالغلبة ؛ لبلاً أو جارية أو مالا . . .

(٢) ج ٢ ص ٢٥٦

(٣) انظر كتاب (المخبر) ص ١٨٢

(٤) انظر فصل (بيوع الجاهلية) من هذا الكتاب ص ٤٦

وإليك الآن مثلاً مما كان يجري في عكاظ سياسة ومنافرة وفداء.
أسرى، وأدباً وحرماً ومتاجرة :

١ - منافرة

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ،
وقدم أمية بن الأسكر الكناني وتبعته ابنة له من أجل أهل زمانها
فخطبها يزيد وعامر . فقالت أم كلاب امرأة أمية :

« من هذان الرجلان ؟ » فقال : « هذا يزيد بن عبد المدان، وهذا
عامر بن الطفيل . » فقالت : « أعرف بني الديان ، ولا أعرف عامراً . »
فقال : « هل سمعت بملاعب الأسنة ؟ » فقالت : « نعم » قال : « فهذا
ابن أخيه » وأقبل يزيد يفاخر خصمه فقال :

- « يا أمية إن ابن الديان صاحب الكتيبة ورئيس مذحج ومكلم
العُقَاب ، ومن كان يصوب أصابعه فتنتظف دماً ويدلك راحتيه
فتخرجان ذهباً . »

فقال أمية : - « بخ بخ ! مرعى ولا كالسعدان ^(١) »

(١) في جمع الأمثال للميداني « السعدان أخثر العشب لبناً ، وإذا خثر لبن
الراعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدسم . ومنابت السعدان : السهول . وهو
من أنجع المراعي في المال ، ولا يحسن على نبت كما يحسن عليه . » ثم ذكر رويبتين في أول من
أرسل هذا المثل : الأولى أنه الحنساء الشاعرة ، والثانية - رواه عن المفضل - : أن قائله
امرأة من طيء . كان تزوجها امرؤ القيس . وارجع الى القصة هناك .

(فأرسلها مثلاً) :

فقال يزيد : - يا عامر ! هل تعلم شاعراً من قومي سار بمدحة

إلى رجل من قومك ؟

قال : اللهم لا .

قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟

قال : اللهم نعم .

قال : فهل لكم نجم يمانٍ أو برد يمانٍ أو سيف يمانٍ أو

ركن يمان .

قال : لا

قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟

قال : نعم

فنهض يزيد وأنشأ يقول مخاطباً أبا البنت

أبي يابن الأسكر بن مدلج لا تجعلن هوازناً كمدحج

إنك إن تلجج بأمر تلجج ما النبع في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالممزج

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . ثم لجج التهاجي بين الرجلين .

٢ - في سبيل بغي

وافى معاوية بن عمرو بن الشريد ، عكاظ في موسم من مواسم العرب ، فينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ اتى أسماء المُرّية ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغيّاً فدعاها إلى نفسه فامتعت عليه وقالت : « أما عامت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة ؟ » فأخفظته فقال : « أما والله لأقارعه عنك . » قالت : « شأنك وشأنه . »

فرجعت الى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له فقال هاشم :

« لعمرى لانريم أياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده . »

ثم مضى عام وأصاب قوم هاشم غرة من معاوية فقتل في خبر طويل ، وكان بين الحيين يوم حوزة الأول ويوم حوزة الثاني ويوم ذات الأثل ويوم ملحان وهي من أيام العرب المشهورة الطافحة أدباً وشعراً ورجزاً . ولها الفضل في إتخاف اللغة العربية بأكثر قصائد الخنساء لأنها أخت معاوية هذا وأخيه صخر ، فلهذه الأيام قالت الخنساء أبلغ الرثاء في الشعر العربي .

٣ - خطبة غددر

لقي زُرعة بن عمرو بن خويلد النابغة بعكاظ ، فأشار عليه أن
يشير على قومه بقتال بني أسد وترك حلفهم ، فأبى النابغة الغدر ، فبلغه
أن زرعة يتوعدده فقال من قصيدة :

نبث زرعة والسفاهة كاسمها	يهدني إلي غرائب الأشعار
فحلفت يا زرع بن عمرو إنني	رجل يشق على العدو ضارري
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني	تحت العجاج فما شقت غباري
أنا اقتسمنا خطبتنا بيننا	فحملت برّة واحتملت فجّار ^(١)
فلتأتينك قصائد وليدفعن	جيشاً إليك قوادم الأكوار ^(٢)
رھط ابن كوز محقي أدراعهم	فيهم ورھط ربيعة بن حذار. و..
وبنو جذيمة حي صدق سادة	غلبوا على خبت إلى تعشار
متكنتني جنني عكاظ كليها	يدعوبها ولدانهم عرعار ^(٣) . الخ

وهكذا لم يخضع للتهديد قاضي الشعراء في عكاظ ، بل التزم

(١) برة اسم مرتف للبر . وفجار : اسم للفجور .

(٢) الكور : رحل الناقة . والقادمة مقدمته .

(٣) عرعار : لعبة لصبيان الاعراب ، كانوا يتداعون بها ليجتمعوا للعب .

يعني انهم آمنوا وصبيانهم يلعبون في عكاظ .

الوفاء وشهر هذا الذي يريد أن يحمله على الغدر تشهيراً يدرك عاره كل من في عكاظ .

٤ - معاظمة في المصائب

أيام حوزة والأثل وملحان ، ذهبت بوالد الخنساء عمرو بن الشريد وبأخويها صخر ومعاوية ، فطفقت الخنساء تبكي قتلها ولا تزداد على الأيام إلا إعظاماً لمصبتها فقرحت أجفان الناس بما بكت على هؤلاء وخاصة أخاها صخرا .

انحدرت هذه الشاعرة العظيمة إلى عكاظ تسجل فيها رسماً أنها أعظم العرب مصيبة ، فليس أحد أصيب بما أصيبت ، فكانت تنزل كل عام على هودج سوّمته لتلفت إليها الأنظار ، وجرت على هذه العادة أعواماً .

ثم كانت وقعة بدر، التي انتصف فيها الاسلام من مناوئيه وقتل فيها من أعدائه صناديد قريش : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة . « فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم . وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد

سومت هودجها براية وأنها تقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك ، فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت : « أنا أعظم من الخنساء مصيبة . » وأمرت بهودج فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وجعلت تندب قتلاها بقولها :

من حسن لي الأخوين كما غصنين أو من راهما
قرمان^(١) لا يتظالما ن ولا يرام حاهما
ويلي على أبوي وال قبر الذي وارهما
لامثل كيلي في الكهو ل ولافتي كفتاهما . . . الخ

وقالت : « اقرنوا جملي بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : « من أنت يا أختي ؟ » قالت : « أنا هند بنت عتبة ، أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاضمين العرب بمصيدتك فبم تعاضمينهم ؟ »

فقالت الخنساء : « بعمر بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاضمينهم أنت ؟ »

قالت : « بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبه بن ربيعة وأخي الوليد ابن عتبة . »

(١) القرْم : الفحل ، السيد .

قالت الخنساء « أو سواء هم عندك ؟ ! » ثم أنشدت تقول :

أبكى أبي عمراً بعين غزيرة قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي ، لأنسى معاوية الذي له من سراة الحرثين وفودها
وصخراً ، ومنذا مثل صخر إذا غدا بساهمة الآطال قُباً يقودها (١)
فذلك ياهند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها
فقلت هند تجيبها :

أبكى عميد الأبطحين كليها وحاميهما من كل باغ يريدنا
أبي عبته الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزمها حين يُنمى عديدها
وأمر هند والخنساء هذا في عكاظ ، من أغرب ما يؤثر في باب
التنافس واعتناء الناس بمصائبهم واهتمامهم بالتنويه بها وتخليدها في
آدابهم ومحافلهم العامة . ولعل هذا المنظر ، منظر تينك السيدتين
بلباسهما الأسود وجليهما المسومين ، أطرف منظر شهدته عكاظ .

(١) الساهمة : الضامرة . والآطال جمع إطل : وهو الحاضرة . والتشبُّ
جمع أقب وهو الدقيق الحصر الضامر البطن .

٥ - الفجار الاول

جلس بدر بن معشر الغفاري في مجلس له بعكاظ - وكان بدر
رجلاً حدثاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ - فجعل يقول
ورجل على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يعطرف كأنهم لجة بجر مسدف^(١)
وهو باسط رجله يقول : « أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز
مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني » فوثب رجل من بني نصر
ابن معاوية فضربه على ركبته فأندرها ثم قال له : « خذها إليك أيها
المخندف » وأنشد وهو شاهر سيفه :

نحن بنو دهمان ذي التعطرف بجر لبحر زاخر لم ينزف

نبني على الأحياء بالمعرف

فتجاوز الحيان عند ذلك وثارا حتى كادت تكون فتنة ودماء .

ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

وهذا الذي هاج أول أيام الفجار بين كنانة وهوازن .

(١) التعطرفة : الخيلاء والعبث . والمسدف : المظلم .

٦ - اناوة

كان لزهير بن جذيمة العبسي اناوة على هوازن ، و كان إذا كانت أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإنابة التي كانت له في أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأقط والغنم ... ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفقات .

أمت زهيراً يوماً عجوزاً من هوازن ، بسمن في نحي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين التي تتابعن على الناس ، فذاقه زهير فلم يرض طعمه ، فدعسها (طعنها) بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت على قفاها فانكشفت وبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن واضطغنتها عليه ، مع ما كان في صدرها من الغيظ والحسد . فتدامرت عامر بن صعصعة يومئذ ، وتآلى خالد بن جعفر (من سراة هوازن) وقال : « والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل . » وجعلوه من شأنهم في حروب وأيام حتى ظفروا به فقتلوه .

٧ - ظفر بنار

« أقبل شأس بن زهير العبسي من عند النعمان بن المنذر ، وكان قد جباه بجباء جزيل ، وكان فيما جباه قطيفة حمراء ذات هدب ، وطيلسان وطيب ، فورد منعجاً (وهو ماء الغني) فأناخ راحلته إلى جانب الردهة ، وعليها جباء لرياح بن الأسل الغنوي ، وجعل يغتسل ، فناداه الغنوي : « استتر » فلم يحفل بما قال ، فقال : استتر ويحك ، البيوت بين يديك ، فلم يحفل ، وامرأة رياح تنظر إليه وهو مثل الثور الأبيض ، فابتزعه رياح بسهم ققتله ونحر ناقته فأكلها وضم متاعه وغيب أثره .

فقد شأس بن زهير ، وممكت قومه كذلك ماشاء الله حتى رأوا امرأة رياح هذه باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من جباء الملك ، فعرفوها وعلوموا أن رياحاً صاحب ثأرهم . فغزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية . وهرب رياح منهم ، وكان لعكاظ الفضل في معرفة القاتل إذ عملت في ذلك عمل رجال التحري اليوم .

بقي قوم شأس ووالده زهير خاصة يكثرون القتل في غني

ولا يشتفون ، وضرب الزمان ضرباته فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب ، هو ووالد شأس القتيل العبسي في عكاظ في الشهر الحرام ، فقال خالد لزهير : « لقد طال شرنا منك يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف ؟ » قال زهير : « أما والله مادامت لي قوة أدرك بها ثأراً فلا انصرام له . » وأغلظ له زهير وحقره . وكان ذلك الكلام بينهما أمام رجال من قريش كانوا في عكاظ ، فلما حقره زهير وسبه قال خالد :

« اللهم أمكن يدي هذه ، الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه . »

فقال زهير : « اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا . »

فقالت قريش : « هلكت والله يا زهير » . فقال : « إنكم - والله - الذين لا علم لكم . »

وكانت موازن توثي زهير بن جذيمة الإثارة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الحسف وفي أنفسها منه غيظ وحقد .

ومضى الرجلان وتفرق الجمع عن عكاظ وبقي خالد وقومه يتربصون بزهير حتى وجدوا منه غرة فقتلوه .

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

بل كيف تكفرني هو ازن بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحراراً
وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم عقل الملوك هجائناً وبكارا

٨ - سيف بتار لصاحبه

قتل الحارث بن ظالم - وكان أحد الجبارين الفتاكين الذين
أضرموا الجزيرة فتناً ودماء - ، قتله ابن الخُصّ التغلي ، ثاراً بأبيه
الذي كان كاهن يزيد بن عمرو الغساني أمره بقتله الملك في
خبر طويل ..

فأخذ ابن الخُصّ سيف الحارث بن ظالم ، فأتى به عمكاظ في
الأشهر الحرم ، فجعل يعرضه على البيع ويقول : « هذا سيف الحارث
ابن ظالم . » فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة ، فأراه إياه فعلاه به
حتى قتله ثم أنشد قيس يرثي الحارث :

وما قصرت من حاضٍ دون سترها أبر وأوفى منك حارٍ بن ظالم
أعز وأحمى عند جارٍ وذمة وأضرب في كابٍ من النقع قائم^(١)

(١) حار في البيت الاول . مرخم حارث . وكبا الغبار : علا

٩ - شريف غير متقع

كانت الفرسان إذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا كيلاً يعرفوا ، وكذلك كان حال الشرفاء ، فإنه لا يوافي عكاظ شريف إلا على وجهه برقع ، مخافة أن يؤسر يوماً فيكبر فداؤه ، وكان طريف بن تميم العنبري من مشهوري شجعان العرب وفرسانهم ، لا يتقنع كما كانوا يتقنعون .

فوافي عكاظ يوماً وقد قتل رجلاً من بني شيبان . وتطوع منهم رجل للأخذ بثأره من طريف فقال لقومه : « أروني طريفاً » . فأروه إياه ، فجعل كلما مر به تأمله ونظر إليه فأمعن النظر . ففطن طريف فقال : « مالك تنظر إلي ؟ » فقال : « أتوسمك لأعرفك ، فله علي إن لقيتك يوماً أن أقتلك » .

فقال طريف في ذلك :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم
فتوسمونني إنني أنا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث معلم
تحتي الأغر ، وفوق جلدي نثرة زغف ترد السيف وهو مثلم^(١)

(١) النثرة : الدرع الواسعة . والزغف : الدرع اللينة أو الرقيقة . الحسنة

حولي أسيّد والهجم ومازن وإذا حلت فحول بيتي خضم^(١)
ولكل بكري لديّ عداوة وأبوربيعة شانيء ومحلّم
فمضى لذلك ما شاء الله ثم ظفر الرجل بطريف في يوم من أيام العرب
فقتله ثأراً لقتيله .

١٠ - تأريب سيف

كان عبد الله بن جعدة سيّداً مطاعاً ، وكانت له إتاوة بعكاظ
يؤتى بها : يأتيه بها هذا الحي من الأزد وغيرهم ، فجاء سُمير بن
سامة القشيري وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته .
فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رياح بن عمر وبن ربيعة بن عقيل - وهو
الخليع ، سمي بذلك لتخلعه عن طاعة الملوك لا يعطيهم الطاعة - فقال
للقشيري : « مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حوله ؟ »
فقال القشيري : « كذبت ، ماهي له . » ثم مد القشيري رجله
فقال : « هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزاً . » قال : « لا لعمرى ،
لا أضرب رجلك . » فقال له القشيري : « فامددي رجلك حتى

(١) قبيلة العنبر بن عمرو بن تميم ، والجمع الكثير من الناس . وانظر تفصيل
هذا الخبر ومقتل طريف في يوم مبايض في العقد الفريد ٢٠٨/٥ (طبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٥ هـ) وبلوغ الأرب ١/٣٦٨

تعلم أضر بها أم لا؟» فقال: «ولا أمد لك رجلي، ولكن أفعل ما لا تنكره العشيرة، وما هو أعزّ بي، وأذلّ لك» ثم أهوى إلى رجل القشيري فسحبه على قفاه ونحاه وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه .

١١ - اغارة

أغار قيس بن عاصم المنقري على بني مرة بن عوف بن ذبيان، فأسر أحد رجلين من هوازن، جماوراني بني مرة. فقدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم، وتركوا الهوازي فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة فلم يغيثوه .

ركب الهوازي إلى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى يذكر أسيره ومن استغاث بهم فردّوه :

دعوت سناناً وابن عوف وحاتماً
وعاليت دعوى الحصين وهاشم
أعيذهم في كل يوم وليلة
بترك أسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأذنى وجار بيوتهم
ومن كان عما سرهم غير نائم
فصمّوا وأحداث الزمان كثيرة
وكم في بني العلات من متصامم
فيا ليت شعري من لإطلاق عُغمّة
ومنذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات :

ألا أيهذا الذي لم يُجَبْ عليك بجي يجلي الكرب

عليك بذا الحيّ من مذحج فإنهم للرضى والغضب
فناد يزيد بن عبد المدان وقيساً وعمرو بن معد يكرب
يفكوا أخاك بأموالهم وأقليلٌ بمثلهم في العرب
أولاك الرؤوس فلا تعدّهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب؟

فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً . فعدا على المكشوح قيس بن عبد
يعوث المرادي فقصّ عليه قصته وأمر الأبيات التي سمعها ثم قال له :
« بدأت بك لتفك أخى . » فقال المكشوح : « والله إن قيس بن
عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قط ولا هو لي بجار ، ولكن اشترى
أخاك منه وعليّ الثمن ، ولا يمنعك غلاؤه . » ثم أتى عمرو بن
معد يكرب فقال له مثل ذلك وسأله : « هل بدأت بأحد قبلي ؟ » قال :
« نعم ، بقيس المكشوح . » قال : « عليك بمن بدأت به . » فتركه
وأتى يزيد بن عبد المدان فقال : « يا أبا النضر إن من قصتي كذا
وكذا ... » فقال له : « مرحباً بك وأهلاً ، أبعث الى قيس بن عاصم ؛
فإن هو وهب لي أخاك شكرته ، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك ،
فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت به
أخاك . » فقال أخو الأسير : « هذا الرضى » فأرسل يزيد الى قيس
ابن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم إني بكل الذي تأتي به جازي
 لا تأمن الدهر أن تشجى بغيصته فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي
 فافكك أخا منقر عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه يانجـاز
 فبلغه الرسول ذلك وقال : « إن يزيد بن عبد المـدان يقرأ عليك
 السلام ويقول لك : « إن المعروف قروض ومع اليوم غد ، فأطلق
 لي هذا الجشـمي فقد استعان بأشراف بني جشم ، فلم يصب حاجته
 فاستجار بي . ولو أرسلت الي في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت
 حـقك . » فقال قيس بن عاصم لمن حضره من تميم :

« هذا رسول يزيد بن عبد المـدان سيد مذحج وابن سيدها ومن
 لا يزال له فيكم يد ، وهذه فرصة لكم فماترون ؟ » قالوا : « نرى أن
 نغليه عليه ونحكم فيه شططاً فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله
 كله . » فقال قيس :

« بشمار أيتم ، ألا تخافون سجال الحروب ، ودول الأيام ، ومجازاة
 القروض ؟ » فأبوا عليه فقال : « يـعونه . » فاشتطوا بالثمن فتركه
 بأيديهم واعتذر الي يزيد قائلاً : « إن الأسير بيد رجل من سعد وقد
 اشتطوا في ثمنه . » فأرسل يزيد إلى السعدي وقال له : « احتمكم . »

فقال : « مئة ناقة ورعاؤها معها . » فقال يزيد : « إنك لقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بني الحارث ، أما والله لقد غبنتك يا أبا بني سعد ، ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جلّ أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم . » وأعطاه ما احتكم . وفك الأسير الذي بقي هو وأخوه مجاورين لمن فكّه حتى ماتا بنجران .

١٢ - صروب الفجار

اختلاط أحياء العرب بعضها ببعض ، وجمع عكاظ للأعداء المتنافرين في صعيد واحد ، وتحريمها قتال بعضهم بعضاً في أيامها التي هي في الأشهر الحرم ، لم يمنع الشغب بين الناس ولا الخصومة والنضال بالكلام أو الشعر . وكثيراً ما كان يهان أحد أفراد قبيلة بكلمة يثلبه بها خصمه من القبيلة المعادية فينادي : يال فلان ، وينادي الآخر : يال فلان ، ويهيج الشر بين القبيلتين . وكم جرّ من حروب على الحيّ سفهاؤه ، وما أكثر ما ألقى أراذل قوم كلمات غير مبالين ، فجرت من أجلها الدماء حتى أشرف الحيّان على الفناء والهلكة . وهذا ما وقع في أكثر أيام الفجار وهي حروب كانت في عكاظ بين قريش وكنانة من

جهة ، وهو ازن من الجهة الثانية . وقد تعددت الوقائع فيها مرة بعد مرة ولذلك يقول دريد بن الصمة :

تغيبت عن يومي عكاظ كليها وإن يك يوم ثالث أتغيب

وإن يك يوم رابع لا أكن به وإن يك يوم خامس أتجنب^(١)

تعرف كتب الأدب والتاريخ من أحداث الفجار أربعة ، فأما الرابع الذي هو أهمها وأكبرها فقد تقدم الكلام عليه في فصل مخصوص أول الكتاب ص ١٦٢ .

وتتكم هنا عن أيام الفجار الثلاثة الأولى وهي جميعاً لم تنته بحروب وإن كادت تشرف عليها ، لأن أسبابها تافهة ولأن عقلاء الفريقين حالوا دون الشر ، وبذلك نلم بأحوال سوق عكاظ إماماً شافياً .

الفجار الأول : - تقدم آنفاً وهو حادث بدر بن معشر الغفاري (ص ٣٠٠)

الفجار الثاني : - كان بين قريش وهو ازن^(٢) . وكان الذي هاجه

(١) بلوغ الأرب ٣٦٨/١

(٢) العقد الفريد

أن فتية من قريش جلسوا في سوق عكاظ إلى امرأة وضئثة من بني عامر بن صعصعة ، وقيل بل أطاف بها شباب من بني كنانة لا من قريش ، وعليها برقع وهي في درع فضل ، فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة إلى ظهرها وهي لا تدري . فلما قامت تقلص الدرع من خلفها فضحكوا وقالوا : « منعتنا النظر إلى وجهها فقد رأينا خلفها . » ، فنادت المرأة : « يا آل عامر ! » فتحاور النار وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

الفجار الثالث : - « وهو بين كنانة وهوازن ، وكنانة هم حلفاء قريش . وكان الذي هاجه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية . وكان الكناني فقيراً ، فرآه دائنه النصرى بسوق عكاظ ، ومع النصرى قرد وانى به السوق . فوقف في السوق ونادى : « من يدعني مثل هذا القرد بمالي على فلان الكناني ؟ » وجعل يعيد النداء حتى أكثر ، تعبيراً للكناني ولقومه . فر به رجل من بني كنانة فسمعه فحمي وضرب القرد بسيفه فقتله . فهتف النصرى : يا آل هوازن ! وهتف الكناني : يا آل كنانة ! فهايج الناس حتى كاد

يكون بينهم قتال . ثم رأوا أن الخطب أيسر مما تكلفوا له فتراجعوا
ولم يفقم الشر بينهم .

١٣ - واعظ

احتشد الناس في ناحية من عكاظ يتوسطهم شيخ وقور ، على
وجهه سمات اليقين والخير ، وهو على جمل أورق ، قد
أرهف الناس إليه آذانهم مصغين ، وأعينهم الى وجهه ، وقد شد شدتهم
الخيرة من ألفاظ تجري على لسانه من خبر السماء وما بعد المات ،
وعظات لا عهد لهم بمثلها في أحيائهم النائية وأوطانهم الشاحبة ، وإذا
هو يخطبهم ويقول :

« أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ،
وكل ما هو آت آت ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ،
ونجوم تزهـر ، وبجار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ،
وأنهار مجرأة ، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا ، ما بال الناس
يذهبون ولا يرجعون ؟ ا أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

يقسم (قيل) بالله قسماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى لكم
وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً :

في الذاهبين الأولين - من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر.

سمع الناس هذا ثم أخذت أبصارهم أولئك الذين يطوفون حول
الصخور في السوق ، فانصرفوا حيرى ، في أنفسهم شيء . وكان بين
المنصرفين غلام حدث ، هو صاحب الشريعة الاسلامية صلى الله عليه وسلم . بقي
يذكر هذا المشهد حتى بعد أربعين سنة وقد طبقت الجزيرة دعوة
الإسلام فأغارت وأنجحت ، وقدمت على صاحبها وفود الأقطار
بالطاعة والإجابة ، وكان منهم وفد من إياد قوم قس ، وفدوا على رسول الله
فسمع منهم وقال لهم : « ما فعل قس بن ساعدة ؟ » قالوا : « مات
يارسول الله . » قال :

« كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جبل له أورق وهو يتكلم
بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه . »

فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يارسول الله . « فتلاه عليه

فلما انتهى قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يرحم الله قساً ، إنني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده .^(١) »

١٤ - تنافس شعراء

كان نابعة بني ذبيان تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ : يجتمع إليه فيها الشعراء . فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى قد أنشده شعره وحكم له ، ثم أنشدته الخنساء قولها :

قذى بعينك أم بالعين عوار

حتى انتهت الى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرأ لكافينا وسيدنا وإن صخرأ اذا نشتو لنحار

فقال النابعة : لولا أن أبا بصير (كنية الأعشى) أنشدني قبلك

لقلت : إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من كل ذات مشاة . »

قالت : « والله ومن كل ذي خصيتين . »

فقال حسان : « أنا والله أشعر منك ومنها . » قال : « حيث

تقول ماذا ؟ » قال : حيث أقول :

(١) قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : « لقس ولقومه فضيلة ليست

لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه

الاماني وتنقطع دونه الآمال . »

لنا الجففات الغري يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً
فقال النابغة : « إنك لشاعر لولا أن قلت عدد جفانك وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك ! »^(١)

١٥ - تزويج بنات

كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة . وكان المحلق الكلابي
مثنائاً مملقاً ، فقالت له امرأته « يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض
لهذا الشاعر ؟ فما رأيت أحداً اقتطعه الى نفسه إلا وأكسبه خيراً . »
قال : « ويحك ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل . »
قالت : « الله يخلفها عليك . » قال « فهل له بد من
الشراب والمسوح ؟ »

(١) وفي رواية ثانية : « إنك قلت (الجففات) ولو قلت الجفان لكان
أكثر ، وقلت (يلمعن في الضحي) ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في
المدح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت (يقطرن من نجدة دماً)
فدلت على قوة القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فقام حسان منكسراً . وأي الروايتين كانت فإن
حكم عكاظ خليق بنفوذ البصر وصحة النظر وقوة البدنية ، فما عن قليل رضيته
العرب يحكم في شعراء عكاظ .

قالت : « إن عندي ذخيرة لي ولعلي أن أجمعها . »
مرّ الشاعر فلتقاه المحلق قبل أن يسبق إليه أحد ، وابنه يقوده ،
فأخذ الخطام فقال الأعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ »
قال : « المحلق » قال : « شريف كريم . »
ثم سلمه إليه فأناخه فحمر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها
ثم سقاه ، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحته ، فقال : « ماهذه الجواري
حولي ؟ » قال المحلق : « بنات أخيك وهن ثمان شريدتهن ^(١) قليلة . »

ثم خرج الأعشى من عنده ولم يقل فيه شيئاً .
فلما وافى المحلق عكاظ ، إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها
وإذا الأعشى ينشدهم قصيدته التي مطلعها :
أرقت وما هذا السهاد المؤرقُ ومائي من سقم ومائي تعشّق
ولكن أراني لا أزال بجادث أغادى بما لم يمس عندي ويطلق

* * *

ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تُشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى و«المحلق»

(١) أي بقية أموالهن .

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما بأسحج داج: عَوْضُ لَا تَتَفَرَّقُ^(١)
تري الجوديجري ظاهر أفرق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
يداه يدا صدق : فكف مييدة وكف إذا ماضنّ بالمال تنفق
ومنها :

أبا مسمع سار الذي قد فعلتمُ فأنجد أقوام به ثم أعرقوا^(٢) .. الخ
فما أتم الأعمشى قصيدته إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنؤونه .
ثم أتى المحلق الأعمشى فسلم عليه فقال الأعمشى :

« مرحباً بسيد قومه » ثم نادى : « يامعشر العرب هل منكم
مذكار يزوج ابنه إلى الشريف الكريم . »

فتسابق الأشراف إليه جرياً ، يخطبون بناته لمكان شعر
الأعمشى ، فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها . ولم تمس
واحدة منهن إلا في عصمة رجل خير من أبيها وأفضل .

(١) اليفاع : الأرض المرتفعة . تشب النار : تضم . والمقروور : من
أصابه البرد ، وتقاسما : حلفا الأيمان . والأسحج : الأسود . والداجي : المظلم
(يعني بالاسحج الداجي : الليل) عوض : ظرف لاستغراق الزمن المستقبل .
(٢) الكف المييدة : المهلكة التي لا تبقي على مال . أنجد : أتى نجداً
أعرق : سار إلى العراق .

فما قولك بفطنة امرأة المحلق ، وحسن دعاية الأعشى ؛ وهذا النوع من البضاعة التي روجتها عكاظ .

١٦ - منحة محررة

حضر عكاظ من سراة الناس في أحد المواسم عمرو بن الشريد السلمي ، وابناه معاوية وصخر أخوا الخنساء الشاعرة . وحضرها معمر بن الحارث جد جميل الشاعر الغزل . فلما نظر معمر إلى عمرو صافنه (قام حذاءه) وأمر ولده أن يخدموه ففعلوا .

فلما تقوّضت السوق دعا عمرو بن الشريد ابنه معاوية وصخرأ فقال لهما :

« إن معمرأ قد طوقني مالم يطوقني أحد من العرب ، وقد أحببت أن أكافيه . » فقالا : « افعل ما بدا لك . » فدعا بكتاب وصحيفة فكتب :

(هذا ما منح عمرو بن الشريد السلمي ، معمر بن الحارث العذري) :

منحه ماله بالوحيدة من أخلاف يثرب ، أطلال ذلك ومغانينه ورسومه وأعراصه ودواويه وزحاليفه وقريانه وبراذعه وقسوره

وعُجْرُومَه وبَشَامَه وَيُنْعَه وتَالِيَه وحَمَاطَه وشَبْحَه وأرَاكِه وأحزته
وحذاريه وآكامه وبرُقه وعلجانه، وكل ما صاء وصمت فيه، وبكت
السماء عليه وضحكت الأرض عنه فهو لمعمر دون عمرو. ومنوح به
من نيات الصدر، لا يشوبه كدر الامتتان ولا أمارات الامتهان،
مستنزل من هضاب الجندل وجرثومة ودُ بعيد المحل لا تخلق الأيام
جدته ولا يرى كد ملتئم بارحه مادام الزمان؛ وتوقد الحرات
وسمر ابنا سمر وأقام حراء وثبير^(١).

(١) الوحيدة: من أعراض المدينة بينها وبين مكة. الخائف: ما أنبت
الصيف من العشب والجمع أخلاف. الأطلال جمع طلل: وهو ما شخص من
آثار الدار. والمعنى: المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا. والرسم: ركيّة
تدفنها الأرض، وما لا شخص له من الآثار. والاعراض جمع عرصة: وهي
كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. الدويّة: الأرض غير الموافقة، والدو
والدويّة والدويّة: الفلاة. والزحاليف جمع زحلوقة: وهي (هنا) المكان
المنحدر الملتس. والقريّ: مسيل الماء من التلاع، ومدفعه من الربو إلى
الروضة، والقرو، حوض طويل ترده الإبل والأرض لا تكاد تقطع، ومسيل
المعصرة، وأسفل النخلة ينقر فينتبذ فيه والجمع قريّ. والبراذع جمع برذعة:
وهي الأرض لا غليظة صلبة ولا سهلة. والقسورة: نبات سهلي، والجمع قسور،
وقسور النبات: كثر. والعُجْرَم، جمع عجرمة: وهي شجر. والبشام:
شجر عطر الرائحة بسوّة الشعر ويستاك بقضيبه. والينع: جل الشجر. والحماط جمع
حماطة: شجر شبه بالتين أحب شجر إلى الحيات أو التين الجبلي أو الأسود الصغير

وكتب لخمس وثلاثين عاماً خلت من عام الفيل .
ثم بعث بالكتاب مع طرف من طرائف اليمن وعدد الى معمر .
قال الاصمعي : فهي باقية الى الآن يفيض على ولده دخلها وذلك
في أيام الرشيد رحمه الله ^(١)
وهذا سند تملك محرر ، صدر عن عكاظ ليعرفنا كم تهز الأريحية
من نفوس الكرام .

= أو الجيز . الشبوح : الباب العالي البناء وأشباح المال : ما يعرف من الإبل والغنم
وسائر المواشي . والأراك : القطعة من الأرض ، وشجر من الحمض يستاك
به . والأحزمة جمع حزيز : وهو الموضع الغليظ المنقاد ، كثرت حجارته
وغلظت كأنها سكاكين . والحذاري جمع حذوية : وهي الأكمة الغليظة ،
والقطعة الغليظة من الأرض ، وحررة لبني سليم وهم قوم عمرو صاحب هذا
القول . والبرق جمع برقة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وطنين مختلطة ،
وبرق ديار العرب تنيف على مئة ذكر صاحب القاموس كثيراً منها فارجع إليه .
والعيجان : كل شجر ذي شوك ، وكل عظيم طويل من الشجر . وماصمت
من المال : الذهب والفضة . وماصاء منه : الإبل وما إليها . وود : الوتد ،
واسم جبل ، واسم صنم معروف . والبارح : الريح الحارة في الصيف . وإبنا
سمير : الليل والنهار تقول : لأفعله ماسمير السمير وابن سمير وابنا سمير : أي
ما اختلف الليل والنهار .

(١) الأزمئة والامكنة ٢ : ١٦٨

١٧ - صفقة خاسرة

« أخسر صفقة من شيخ مهو »

كانت إياد تسبّ بالفسو وتعيّر به ، فقام رجل من إياد بسوق
عكاظ ومعه بردا حبرة فقال :

« من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين ؟ »

فقام عبد الله بن ييدرة أخو مهو (ومهو حي من عبد القيس)

فقال :

« هاتهما ، واشهدوا أني اشتريت عار الفسو من إياد لعبد

القيس بهذين البردين . »

فلما أتى رحله وسئل عن البردين قال : « اشتريت لكم بهما عار

الدهر . » فوثبت عبد القيس وقالت :

إن الفساة قبلنا إيادُ ونحن لانفسو ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياح عبد القيس عار الفسو حتي

قال الشاعر :

يامن رأى كصفقة ابن ييدرة من صفقة خاسرة مخسرة

المشترى الفسوي بردي حبرة شلت بين صافق ما أخسره
وسارت هذه الصفقة الخاسرة مثلاً بين الناس .
قال ابن دارة :

وإني إن صرمت حبال قيس وحالفت المزون على تميم
لأخسر صفقة من شيخ مهو وأجور في الحكومة من سدوم^(١)
وتلك غريبة في بابها بين جميع ما أتى القوم في عكاظ .

١٨ - فتنة جمال

زعموا : « أن جارية بن سليط كان أحسن الناس وجها وأمدهم
جسماً ، وأنه أتى عكاظ فأبصرته امرأة من خثعم فأعجبها ، وتلطفت
له حتى وقع عليها ، فلما فرغ قالت : « إنك قد أتيتني على طهر ، وإني
لا أدري لعلي سأعلق لك ولداً ، فوعدك فصال ولدي إن حملت
لك . » فسمى لها اسمه .

ثم وافى عكاظ لرأس ثلاثة أحوال . وأقبلت المرأة مع أمها
وخاتها يلتمسنه بعكاظ حتى رآته المرأة فعرفته وقالت لأمها : « هذا
جارية . » قالت أمها : « بمثل جارية ، فلتزن الزانية ، سرّاً أو علانية . »

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص ٨٢ في الاصل (ضربت حبال قيس)

ووجد الرجل أن المرأة قد ولدت غلاماً وفطمته . ثم دفعن اليه الغلام
فسماه عوفاً فشرف وصادقومه وهو عوف الأصم^(١) .

١٩ -- راية غدر

والذي يثلج الصدر ويشفي النفس من مآثر عكاظ ، مشهد
نستطيع أن نفيد فيه درساً بليغاً . ومثالاً فعالاً وأسلوباً ناجحاً في
محاربة الخائنين ، ووددت - والله - لو أخذنا به في أيامنا العصيبة هذه ،
واحتذينا مثاله ؛ إذ ألقى كل ساع في فساد يذوق الموت ألواناً حتى
يلاتي ربه بالموت المريح . قال المرزوقي :

« كانوا إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة ، انطلق أحدهم
حتى يرفع له راية غدر بعكاظ ، فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر
فيقول : « ألا إن فلان بن فلان غدر . فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه
ولا تجالسوه ولا تسمعوا منه . »

فإن أعتب وإلا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن
ورجم !! وهو قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونصبت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين .

وهي خطوة حاسمة موفقة في السياسة السلبية لمحاربة الرذائل ،
ما أظن أن أحداً اهتدى إليها قبل العرب ولا بعدهم .
لم يغفل العرب في عكاظ أن يرفعوا مقابل ذلك راية وفاء
لمن أتى مكرمة كلفته المغارم ثم مضى فيها ولم ينكص ، فقد ذكروا:
أن عامر بن جوين رفعت له كندة راية غدر في صنيعه بامرئ القيس
ابن حجر في وجهه إلى قيصر ، ورفعت له فزارة راية وفاء في صنيعه
بمنظور بن سيار حيث أقحمته السنة فصار بماله وإبله وأهله إلى الجبلين
فأجاره عامر ووفى له . وصار الناس بين حامد له وذام^(١)

٢٠ - داعية الإسلام

وقف رسول الله ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين في عكاظ ،
يدعو الناس إلى الخير والهدى والسعادة . وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة
حزن عميق على قومه الذين كفروا بنعمة الله ، وآلمه الأبراهم
مسارعين إلى ما به صلاحهم ، فغرم ليقصدن المواسم وليأتين فيها
القبائل ، كل قبيلة بمنزلها ، وكل جماعة في حبيهم ، يعرض عليهم هذا

(١) انظر كتاب الازمنة والامكنة ٢ : ١٧٠

الدين الجديد . ولقد حرص الحرص كله على أن يهتدوا ، وكان أسفه يشتد كلما ألح قومه بالصد ؟ قام في عكاظ يقول :

« يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا » ويتبعه

رجل له غدیرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول :

« يا أيها الناس إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه »

فعرف الناس أن هذا (الصادق عن سبيل الله) هو عمه أبو لهب بن عبد المطلب ، يكذبه كلما قال كلمة الحق .

عاود الدعوة مراراً فلم يُجيب ولم ييأس ورجا أن يجد فيهم

الحامي والمجير على الأقل إذ لم يجد المجيب ، فكان يقول للحمي في موسم عكاظ :

« لا أكره منكم أحداً على شيء . من رضي الذي أدعوه

إليه قبله ، ومن كرهه لم أكرهه ، إنما أريد أن تحوزوني مما يراد بي

من القتل ، فتحوزوني حتى أبلغ رسالات ربي ويقضي الله لي ولمن

صحبني بما شاء ^(١) »

كان الناس يعجبون من أمره وأمرعه ، وهم بين راض وغاضب

ومتعجب يرى بعينه ثم يمضي كأن الأمر لا يهمه ، منهم من لا ينكر ما يسمع ومنهم من يرد أقبح الرد ، ومنهم من يقول : قومه أعلم به .
كان هذا دأبه أبداً يوافي به القبائل سنة بعد سنة ، حتى إن منهم من قال له : « أيها الرجل ، ما آن لك أن تيأس ؟ » من طول ما يعرض نفسه عليهم .

* * *

انتهى رسول الله في تطوافه على القبائل في عكاظ الى بني محارب ابن خفصة . فوجد فيهم شيخاً ابن عشرين ومئة سنة ، فكلمه ودعاه الى الإسلام وأن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه فقال الشيخ : « أيها الرجل قومك أعلم بنبئك ، والله لا يؤوب بك رجل الى اهله الا آب بشر ما يؤوب به أهل الموسم ، فأغن عنا نفسك . » وإن أبا هب لقائم بسمع كلام المحاربي . ثم وقف أبو هب على المحاربي فقال : « لو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذي هو عليه ، إنه صابئ كذاب . » قال المحاربي : « أنت والله أعرف به ، هو ابن أخيك ولحمتك . » ثم قال المحاربي : « لعل به يا أبا عتبة لمأ ، فإن دعنا رجلاً من الحي يهتدي لعلاجه . » فلم يرجع أبو هب بشيء ^(١) .

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا :

[أئانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ فقال : « من القوم؟ »

قلنا : « من بني عامر بن صعصعة . » قال : « من أي بني عامر ؟ »

قلنا : « بنو كعب بن ربيعة . » قال : « كيف المنعه فيكم ؟ » قلنا :

« لا يرام ما قبلنا ولا يصطلى بنا رانا . » فقال :

« إني رسول الله فإن أتيتمكم تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولم

أكره أحداً منكم على شيء ؟ » قالوا : « ومن أي قريش أنت ؟ »

قال : « من بني عبد المطلب » قالوا : « فأين أنت من بني عبد مناف ؟ »

قال : « هم أول من كذبني وطردي . » قالوا : « ولكننا لا نطردك

ولا نؤمن بك ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك . »

فنزل إليهم والقوم يتسوقون إذ أتاهم بجرة بن قيس القشيري فقال :

« من هذا الذي أراه عندكم أنكروه ؟ » قالوا : « هذا محمد بن عبد الله

القرشي . » قال : « وما لكم وله ؟ » قالوا : « زعم لنا أنه رسول الله ،

يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . » قال : « فماذا ردتم عليه ؟ »

قالوا : « قلنا : في الرحب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما تمنع

به أنفسنا . » قال بجرة : « ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع

بشيء أشرف من شيء ترجعون به ، بدأتم لتنا بذكمن الناس وترميكم العرب
عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آتسوا منه خيراً لكانوا أسعد
الناس به ، تعدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه و كذبوه فتؤوونه
وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم . » ثم أقبل على رسول الله ﷺ
فقال : « قم ، الحق بقومك فوالله لو لآأنك عند قومي لضربت عنقك . »

فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيث بجرة
شاكتها فقصت برسول الله ﷺ فألقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة
بنت عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله
بمكة ، جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت : « يال عامر ولا عامر لي !
أيضع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ »

فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى بجرة ، وثلاثة أعانوه ، فأخذ كل
رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ثم علقوا
وجوههم لطمأ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك على هؤلاء
والعن هؤلاء . »

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شبيخ لهم قد كان أذركته
السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فمكانوا إذا رجعوا إليه

حدثوه بما يكرن في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عن كان في
الموسم فقالوا :

جاءنا فتى من قريش ثم حدث أنه أحد بني عبد المطلب يزعم أنه
نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به معنا الى بلادنا .
فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال :

« يا بني عامر ! هل لها من تلاف ؟ هل لذُنابها من تطلب ؟
فوالذي نفس فلان بيده ، ماتقوتها إسماعيلي قط ، ألا إنها الحق ، فأين
كان رأيكم ؟ ! ! » [(١)] .

٢١ - ضم

بعث رجل من بني جشم امرأته - واسمها عبلة بنت عبيد بن
خالد ... بن حنظلة - الى عكاظ بأنحاء سمن تبيعها له فيها ، فباع
السمن وراحلتين وشربت بسمها الخمر ، فلما نفذ السمن وهنت ابن
أخيه وهربت ، فطلقها فقالت في شربها الخمر :

شربت براحتي محجن فياويلتي ، محجن قاتلي
وبابن أخيه على لذة ولم احتفل عذلة العاذل

وتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أمية الأصغر ،
وعبد أمية ونوفلاً ، وهم العبلات .

٢٢ - تلقيب

ساوم ربيعة بن عمرو بقدح في عكاظ فاستغفره فقال لصاحبه :
« لو وضعت فيه حوثرثي (حشفتي) لملاأته . » فسمي حوثرثه بذلك .

٢٣ - نصائب القر

وهذا غلام وقع في الأسر ويصع في عكاظ وكان له في هذا البيع
وذلك الأسر كل الخير ، إذ افتتح لنفسه صفحة في التاريخ مجيدة
فأصبح من أعلامه ، ولترك الطبري يقص كيف بدأ أمره في عكاظ
في مواسم الحج :

زارت أم زيد بن حارثة قومها من بني معن بن طي وزيد معها ،
فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية ، فمروا على آيات بني
معن رهط أم زيد ، فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام بفعمة قدأوصف ،
فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام
لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ

وهبته له ، فقبضه رسول الله ﷺ إليه وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده قال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعلُ أحى فيرجى أم أتى دونه الاجلُ
فوالله ما أدري وان كنت سائلاً أغالك سهل الارض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعةٌ فحسي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرني الشمس عند طلوعها وتعرض ذكرها إذا قارب الطفلُ
وان هبت الارواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيش في الارض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي وكل امرئ يان فان وان غره الأمل
وأوصي به عمراً وقيساً كليهما وأوصي يزيداً ثم من بعدهم جبلُ
قال : (يريد جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أكبر من زيد ، ويعني

يزيد أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .)

وحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال أبلغوا

أهلي هذه الايات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي وقال :

ألكني الى قومي وان كنت نائياً بأني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الارض نص الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدّ كبراً بعد كابر
فانطلق الكليون فأعلموا أباه ، فقال : ابني ورب الكعبة ،
ووصفوا له موضعه وعند من هو ، فخرج حارثة و كعب ابناشرا حيل
بفدائه وقدمامكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد ، فدخلا
عليه فقالا : يا بن عبد الله يا بن عبد المطلب يا بن هاشم يا بن سيد قومه ا .
أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطمعون
الأسير ، جئناك في ابنا عندك فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإننا
سنرفع لك في الفداء) قال : « من هو ؟ » قالوا : « زيد بن حارثة »
فقال رسول الله ﷺ فهلا غير ذلك ؟ قالوا وما هو ؟ قال أدعوه
فأخيره فإن اختاركم فهو لكمما بغير فداء وإن اختارني فوالله ماأنا بالذي
أختار على من اختارني أحداً ، فقالا قد زدتنا على النصف وأحسننت ..
فاختار زيد محمداً وقال « إني قدرأيت من هذا الرجل شيئاً ماأنا
بالذي أختار عليه أحداً أبداً » فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ
أخرجه الى الحجر فقال : « يا من حضر : اشهدوا أن زيدا ابني أرثه
ويرثني » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا^(١)

(١) المنتخب من (ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين)

٢٤ - نراه

وهذا منادي عامر بن الطفيل وهو واحد من منادين كثيرين ،
قائمين وطوافين ، نستمع إليه فإذا هو يقول :
« هل من راجل فنحمله ، أو جائع فطعمه ، أو خائف فتؤمنه .. »^(١)

٢٥ - ضرب المعزى

في ناحية من عكاظ ، وقف شيخ هم حطمته السنون فلا يكاد
يستقل واقفاً ، ومن ورائه معزى كثيرة تكاد تملأ السهل ، وأسارير
الشيخ ناطقة بالغضب وخرج الصدر ، وان الناس يتساءلون - وقد
عرفه بعض وجهه بعض - : ما باله ؟
فيجيب المجيب : « ذلك سعد بن زيد مناة بن تميم الملقب بـ (الفزr) »
أكثر قومه مالا وولداً ، ويجتمع عليه الناس وقد علموا أن له لشأناً ،
فإذا به يقول :

« أيها الناس ، ألا إن هذه معزاي ، فلا يحل لرجل ان يدع أن
يأخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين . »

(١) تاريخ دول العرب والاسلام لمحمد طلعة حرب ١/٩٩

فاندفع الناس على الغنم ينتهبونها ويذهب كل لطيته ، فما هو أن يسأل سائل عما حمل سعداً على إتهاب معزاه حتى يعلم انه طلب يوماً إلى ابنه هبيرة ان يسرح في معزاه فيرعهاها فأجاب هبيرة : « والله لا أرعهاها سن الحسل^(١) » فنادى سعد ولده الآخر صعصعة قائلاً : « يا صعصعة اسرح في غنمك . »

قال : « لا والله لا أسرح فيها ، ألوة^(٢) الفتى هبيرة »
فغضب سعد وسكت على ما في نفسه حتى اذا أصبح ساق المعزى كلها الى عكاظ ، فكان منه ما رأى الناس .

* * *

سار هذا الحدث في عكاظ بين العرب واشتهر حتى صار مثلاً يضرب ، إذا أراد أحدهم قطع أمل صاحبه من أمر قال : لا أفعله « حتى يجتمع معزى الفززر » وأصبحت هذه القولة من أمثال العرب .
قال شبيب بن البرصاء :

ومرّة ليسوا نافعيك ولن ترى لهم مجعاً حتى ترى غنم الفززر^(٣)

(١) انظر أمثال الضبي ص ٢٢ طبعة الجوائب - الحسل : ولد الضب ولم

توجد دابة قط أطول عمراً منه ، وسن كل دابة يسقط إلا سن الحسل والمعنى : لا أرعهاها أبداً . ألوة : بين ، قسم .

٢٦ - مزب الرزق

أما هذا ففتى المشرق نبيك بن مالك ، « قدم مكة بطعام ومتاع
للتجارة ، فرآهم مجهودين ، فأنهب العير بما عليها » وهام أولاء الناس
يتهافتون على أرزاقه في عكاظ يأخذ كل مايقشع به عن نفسه وأهله
الجوع والفقر . فلما انكشف الناس ولم يبقوا في أرض عكاظ من
مال نبيك شيئاً ، وكان الخبر قد طار في أقطار عكاظ ، أقبل خاله
عليه يعاتبه على انهاب ماله ، فقال نبيك :

ياخال ذرني ومالي : ما فعلت به وما يصيبك منه ، إنني مودي
إن نبيكأ أبي إلا خلأثقه حتى تبيد جبال الحرة السود
فلن أطيعك إلا أن تخلدني فانظر بكيدك : هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشتري إلا له ثمن ولن أعيش بمال غير محمود^(١)

٢٧ - فرسان العرب

« اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة :
ففراس تميم عتمية بن الحارث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع
ابن حنظلة : صياد الفوارس وسم الفرسان .

(١) الإصابة ٦/٨٤ آخر الترجمة ١٩١١

وفارس قيس : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب
وفارس ربيعة بسطام بن قيس ... بن بكر بن وائل «
ثم اختلفوا فيهم حتى نهوا عليهم سقطاتهم»^(١)

٢٨ - مارأيت شيخاً أ كذب

مر المستوغر بن ربيعة ، شاعرٌ معمرٌ ، بعكاظ يوماً وعلى ظهره
ابن ابنه شيخاً هرماً ، فأعيا من حملة فوضعه بالأرض وقال : « غنيتني
صغيراً وكبيراً » فسمعه رجل فسأه ذلك فالتفت إليه ناصحاً :
- يا عبد الله أتقول هذا لأبيك؟ أحسن إليه فطالما أحسن إليك.

قال : أو تدري من هو !

قال : نعم ، هو أبوك أوجدك .

قال : هو والله ابن ابني

قال الرجل : مارأيت شيخاً أ كذب ، لو كنت المستوغر بن

ربيعة ما زدت . قال : فأنا المستوغر بن ربيعة^(٢)

★ ★ ★

(١) هذا قول أبي عبيدة - الكامل للمبرد ص ٨٩ طبعة ليدن

(٢) عمّر طويلاً جداً وأدرك صدر الاسلام ، ولقد بالغوا في عمره حتى

بلغوا به (٣٢٠) سنة ورووا قوله : =

الآن وقد استعرضت هذه المشاهد ، وذكرك هذه الفقرات
جواً خاصاً تتصوره لعكاظ كلما مرت بك في نقلة من نقل الأدب أو
التاريخ ، الآن تستطيع أن تفهم : لم يعد دور خو الأدب عكاظ في
أول ما وحد لهجات القبائل العربية قبل نزول القرآن الكريم
بأكثر من قرن ، وهياً لقريش خاصة تلك الزعامة والتحكم في اللغة
والانتقاء فسلمت من عيوب اللهجات ، وعرفت أيضاً أن عكاظ دنيا
تعج بالقاصدين من كل فج عميق ، وأن فيها الخطباء المصاعف يخطبون ،
والشعراء الفحول ينشدون ، والأعزة والأشراف يتفاخرون

= مئة أتت من بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا

وقد سمّ حياته حين كان أحفاده صفاراً ووصف حاله بقوله :

إذا ما المرء صمّ فلم ينجى ولم يك سمعه إلا ندايا

ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يجترش العظايا

فذاك المم ليس له دواء سوى الموت المنطق بالمنايا

العظايا جمع عظاية وعظاءة : دابة على خلفه سام أبوص ، أعظم منه قليلاً -

المنطق المحاط في موضع النطاق .

انظر : معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٣ ، والشعر والشعراء

ص ٣٤٤ ومختلف تأويل الحديث لابن قتيبة ص ٣٦٠ .

ويتنافر ونويتسابقون^(١) ، والموتورين يؤمونها للبحث عن وارتيمهم ،
ومن له أسير سعى إلى عكاظ في فكاكه ، ومن أراد أن يأتي عملاً
تعرفه له العرب عامة أتاه في عكاظ ، ومن أتى مكرمة في قطر فأحب
أن تخلد جاء إلى عكاظ فشهروا فيها أمره .

قال أبو ذؤيب :

إذ بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألف

وقال آخر يضرب بها المثل :

فإنك ضحاك إلى كل صاحب وأنطق من قس غداة عكاظها

وهجا أمية بن خلف الخزاعي حسان وأراد إيلامه فعنونها إلى

عكاظ فقال :

ألا من مبلغ حسان عني مغلفة تدب إلى عكاظ

(١) جلس القلمس في عكاظ يسابق بين ابنتي الحس قائلا: «إني سألكما لأعلم أيكما أبط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقانا» ، ثم كانت الأسئلة لكل منها حول الأبل والحيل والمزى والسحاب والرجال والنساء «أيها أحب إليك؟» ثم «أيها أبغض إليك؟» ثم استنشدهما فأشدهتا في الحكم وتجارب الحياة . في حوار طريف وحديث مسهب ، ثم ختم المجلس بقوله : «أحسنتما وأجملتما فبارك الله فيكما» ووصلها وحباهما . وانظر المجلس بطوله في (بلاغات النساء) ص ٥٨-٦٤ فهو قيم حافل .

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشدّ كيراً وينفخ دائماً لهب الشواظ^(١). الخ
فيجيبه حسان :

أتاني عن أمية زورقول وما هو بالمغيب بذي حفاظ
سأنشر ما حيت لهم كلاماً ينشر بالجامع من عكاظ^(٢)
فأنت إذ تجول في عكاظ يتقسم سمعك خطب وقصائد ومفاخرات
ومناقرات وخصومات وأتماط من البيع لا تشابه ، وأزياء في اللبس
والتكلم والمراكب .. تجمعت من كل صوب .

ولما قال عمرو بن كلثوم قصيدته :

ألا هي بصحنك فاصبحينا . . .

في العراق ، أحب أن تسير في الناس ويكتب لها الخلود ، فسعى
إلى عكاظ في الموسم ، فقام بهذه القصيدة خطيباً ثم قام بها أيضاً في
موسم مكة .

وكذلك قل في بقية القصائد الطوال التي يسمونها (المعلقات) ،

(١) المغلفة: الرسالة الشريفة . والقيّن : الحداد . والفسل : الرذّل الساقط

(٢) ديوان حسان ص ٢٤١ وتاريخ النقائض ص ٩٧ ، وبعده

قوافي كالسلام إذا استمرت من الصم المعبرة الفلاظ

فما كان الإجماع ليعقد على أنها أجود الشعر لولا أن المحكمين في
عكاظ شهدوا لها بذلك وأقر السامعون بتفوقها .

تلك مشاهد عامة مما كان يجري في عكاظ ، وكان العرب الذين

عرضوا في هذه السوق متاجرهم وأموالهم وأنعامهم ، وعرضوا فيها
أديهم وشعرهم ، أبوا إلا أن يعرضوا بقية مقوماتهم فرأينا مشاهد عن
سياساتهم وصلحتهم وحرهم . ولو كان لعربي أن يصبر على ضيم قريب
أو بعيد لصبرهؤلاء الجيران في هذه السوق العامة ، ولكن طرح الخسف
ورد الضيم في نفس العربي هو قبل التجارة والأدب ، ورفع الذل عنده
أهون وسائله إهراق الدماء وقطع وريد الحياة ، لأنه لا يفقه عيشاً
بقيد ولا يتصور حياة بذل .

والظاهر أن احتفال الناس بعكاظ لم يكن واحداً دائماً ، فقد

كان في بعض السنين يربي على الغاية في الازدحام والحركة ، حتى تضيق
السوق بمن فيها وحتى يربح التاجر والجالب إليه ربحاً عظيماً لا يتأتى
إلا في الفرط النادر . قال المرزوقي : « فلما دخلت سنة خمس وثلاثين
من عام الفيل حضر السوق من نزار واليمن ما لم يروا أنه حضر مثله
في سائر السنين ، فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقرة ونقودوا ابتاعوا
أمتعة مصر والعراق والشام . . »

هي إذاً معرض عام للجزيرة العربية : فيها عرض لتجارات جميع الأقطار وعرض لليبوع وعرض للعادات وللأديان واللغات والآداب ، وللسياسة . . . وفيها لجان رسمية على نحو ما نألف في معارضنا اليوم ، تحكم للمتفوق بتفوقه حكماً نافذاً من أقصى الجزيرة إلى أقصاها . وتزيد على معارضنا بميزة جليلة ، وهي صهرها لعادات القبائل ولغاتها ومواضعها لتنتقي منها أحسنها وأخلقها بالبقاء .

لسنا نعلم لهذه السوق بداية محدودة إلا أنا نرجح وجودها قبل القرن السادس الميلادي ^(١) ، ولما جاء الإسلام وتوطدت أركانه في

(١) في بعض المراجع القديمة والحديثة تختبئ في تعيين سنة افتتاحها وتناقض ظاهر : نخذ لك مثلاً هذه المصادر : بلوغ الأرب للألوسي ، دائرة معارف وجدي ، الوسيط للأستاذين الإسكندري والعناني ؛ فإنها اتفقت على أن عكاظ افتتحت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة مع أن هناك حديثاً صحيحاً يفيد أن رسول الله ﷺ كان ينبل على أعمامه في حروب الفجار وعمره أربع عشرة سنة أي بعد الفيل بأربع عشرة سنة فتكون الفجار ونبل الرسول فيها قبل وجود عكاظ بسنة وهو تناقض بين . والغريب حقاً أن ينقل صاحب الوسيط - وهما ما هما فضلاً وتحققاً - هذا التحديد عن بلوغ الأرب على علاقته في الطبعة الخامسة للوسيط ص ١٢ ثم ينقضاه هما نفساهما ص ٢٧ من الكتاب المذكور فيذكر أن نبل الرسول وعمره أربع عشرة . كما فعل الألوسي تماماً . ولو فجا أحد من زلل لنجا هؤلاء الأفاضل الثقات .

أما دائرة معارف وجدي فع ارتكابها الخطأ نفسه فقد عززته بثان فقالت : =

الجزيرة والعراق والشام بدأ شأنها يضئول ، ولم تزل قائمة إلى أن خرجت الخوارج الخرورية مع المختار بن عوف بمكة سنة (١٢٩) للهجرة فنهبوها فتركت إلى الآن .

وعلى هذا تكون هذه السوق قد عمرت اكثر من قرنين ونصف القرن .

= عكاظ اتخذت موقفاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة أي سنة (٥٤٠) ميلادية؟ وهذا غير صحيح لأن حادث الفيل كان سنة (٥٧٠-٥٧١) م . ولعل الألوسي رحمه الله أراد « قبل الفيل بـ ١٥ سنة » فقيرت في الطبع كلمة (قبل) بـ (بعد) ثم تابعه على الخطأ من بعده .

ثم اطلعنا بعد صدور الطبعة الاولى بسنة فإذا الدكتور محمد حسين هيكل يقول في كتابه (في منزل الوحي ص ٣٦٤ الطبعة الاولى) : « أدق ما يروى (!) أنها اتخذت بعد الفيل بـ ١٥ سنة وقد عرفت آنفاً مبالغ هذا النقل في الدقة . وإذا تأملت أحداث عكاظ التي عرضنا لها عرفت أن بعضها يرتفع إلى ما قبل جميع هذه التواريخ التي ذكرها : فالمرأة التي باعت أنحاء السن بعكاظ تزوجت بعد ذلك بعبد شمس ، وعمرو بن كلثوم الذي أنشد قصيدته في عكاظ عاش حول سنة (٥٠٠ م) . وإذا أضفت إلى هذا ما فطن له الاستاذ أحمد أمين (الرسالة : السنة الاولى : العدد ١٣ ص ٢٥) في بحوثه عن عكاظ والمربد ، من أن المرزوقي عد عشرة ولوا القضاء بعكاظ قبل الإسلام ، استظهرت أن السوق مضى على إنشائها زمن قبل أن تصير فيه هذه الاحداث كلها . من كل ذلك تعرف صحة ما ذهبنا إليه من أنها كانت قبل سنة (٥٠٠ م) حتماً .

سوق مجنة

مَجَنَّةُ موضع (وقيل بلد) قرب مكة على أميال منها ، تقع بمر
الظهران ، قرب جبل يقال له الأسفل وهو بأسفل مكة على قدر
بريد منها ، ميمها بالفتح وتكسر^(١) . والظاهر أنها من المواطن التي
لا ينساها أهل مكة لبعض جمال فيها ولأنها ذات مياه ، فقد جاء في
في كتب السيرة : أن بلالاً لما هاجر الى المدينة وأصيب بالحمى ، تشوق
الى مكة وهو اطنها وتغنى بقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفتحٍ وحولي إذ خيرٍ وجيل
و هل أردت يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٢)

(١) لهم في اشتقاقها أكثر من مذهب ، فقد جاء في تاج العروس أن
المجنة الكثيرة الجن ، وفي الصحاح : أرض مجنة : ذات جن . قال ابن جني :
« يجتمل مجنة وزنين ، أحدهما أن يكون مفعلة من الجنون كأنها سميت بذلك
لشيء ، يتصل بالجن أو بالجنة أعني البستان أو ما هو سيده ، والآخر أن يكون
مفعلة من مجن بمعنى كأنها سميت بذلك لأن ضرباً من الجنون كان بها . هذا
ماتوجهه صنعة علم العربية ، فأما لأي الامر بن وقعت التسمية فذلك أمر
طريقه الخبر »

(٢) أخبار مكة للأزرقي ص ١٣١ . الإذخر والليل : نباتان . وشامة
وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة .

هذه السوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة ، تقوم في العشر
الأخير من ذي القعدة^(١) ويقصدها العرب بقضيم وقضيضهم بعد
أن تنفض سوق عكاظ ، يتمون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء
وتفاخر و... على شبه التفصيل المتقدم في عكاظ . ويجب اليها
ما يجلب الى تلك من متاع وعروض ، ولم تكن الحمر لتقل فيها شأناً
عن بقية الأسواق فقد كانت تحمل إليها من معادنها من الشام ، ومن
بصرى وغزة حتى صار يشيد بذكرها الشعراء ، قال أبو دؤيب الهذلي :
سلافة راح ضمنتها إداوة مقيرة ردف لمؤخرة الرحل
تزودها من أهل بصرى وغزة على جسر مرقعة الذيل والكفل
فوافى بها عسفان ثم أتى بها «مجنة» تصفو في القلال ولا تغلي^(٢)
ومجنة وعكاظ وذو الحجاز تستوي في نظر المحرمين من العرب

(١) هذا قول جمهرة العلماء ، أما باقوت فمع أنه وافقهم على هذا عند كلامه

على (مجنة) ، خالفهم وناقض قوله هو نفسه فقال عند الكلام على عكاظ هذا
للقول الغريب : « كانت العرب تقيم سوق عكاظ في أول شهر شوال ثم تنتقل
إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي الحجاز
فتقيم فيه إلى أيام الحج »

(٢) السلافة : الحمر وكذا الراح . والإداوة : المطهرة . والمقيرة : المطلبة

بالقار . الردف : الراكب خلف الراكب وكل ما تبع شيئاً فهو ردفه . =

وتتمتع منهم جميعاً باحترام واحد حتى إن بعضهم لا يردّها إلا محرماً .
قال الأزرقى :

« كانت قريش وغيرها من العرب تقول : « لا تحضروا سوق
عكاظ ومجنة وذى المجاز إلا محرّمين بالحج . » وكانوا يعظّمون أن
يأتوا شيئاً من المحارم أو يعدّو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم
وفي الحرم^(١) . »

ومجنة - وإن قرنت في أغلب الأحيان مع عكاظ وذى المجاز -
دون هاتين السوقين شأناً حتى إن المزروقي لم يذكرها مستقلة كما
ذكر غيرها بل اكفى بقوله : « وزاد بعضهم في الاسواق المجنة
وهو قريب من ذى المجاز . »

= والرّحّل : مركب للبعير . والجسرة : الناقة العظيمة الماضية . والكفل :
مركب الرجال يؤخذ من كساء فيعقد طرفاه فيلقي مقدمه على الكاهل ومؤخره
على بلي العجز . القلال جمع قلة : وهي الجرة العظيمة .

(١) أخبار مكة ص ١٣٢

سوق ذي المجاز

لهم في تحديدها قولان : أحدهما أنها على فرسخ من عرقة بناحية
كَبْكَب ، وكبكب جبل بعرفات خلف ظهر الإمام اذا وقف .
ذكره ياقوت وغيره وهو أحد قولين نقلهما الزبيدي ، والثاني : أنها
موضع بمنى ؛ ومنى بين مكة وعرفات في نصف الطريق تقريباً ،
والذين نقلوا الأول أكثر عدداً وان كان القول الثاني أدنى الى القبول .
وسمي ذا المجاز لأن إجازة الحاج كانت منه ، ولعل السوق أحياناً تمتد
أو يتنقل الناس فيها : يقتربون ويبتعدون حتى تشغل هذه المسافة^(١) .
وذو المجاز من ديار هذيل ، هم أهلها وجيرانها الأذنون .

يكثر ورود ذي المجاز في شعر العرب ولأسيما شعراء هذيل ،
لأنها من أسواقهم الكبرى ، ومن المواسم أيضاً قال أبو ذؤيب الهذلي :
وراح بها من ذي المجاز عشية ييادر أولى السابقات الى الحبل

وقال اللبي :

(١) وذو المجاز علم بضاً على موضع قريب من العراق لاشأن لبخشناه .

للغايات بذى المجاز رسومٌ في بطن مكة عهد من قديم
أما التي ذكرها الحارث بن حلزة في معلقته ؛
واذكروا حلف ذى المجاز وما قدم فيه اليهود والكفلاء
فالعالم أنها التي في شمال الجزيرة ، لأن مقام قبيلته يشكر
والأحداث بينها وبين غيرها كانت هناك .

* * *

إذا انقشع الناس عن مجنّة حين يهل ذو الحجة ، ساروا بأجمعهم
الى هذه السوق وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة ، وهو
يوم التروية ، سمي بذلك لانهم كانوا يرتوون فيه من الماء ويملؤون
أوعيتهم لما بعده اذ لا ماء بعرفة . والى هذه السوق تتقاطر وفود
الحجاج من سائر العرب ممن شهد الاسواق قبلها ، او لم يشهدا واتى
للحج خاصة ، اذ أن ذا المجاز من مواسم الحج عندهم .

تحفل^(١) ذو المجاز لوقوعها أيام الحج بجموع العرب وتجارهم

(١) خير تعبير عن ازدحام هذه السوق بالناس كلمة فاه بها أبي بن خلف
دلت على أنهم بضربون المثل بمن فيها كثرة ، وذلك أنه قصد الرسول ليقته وهو
يقول : « ابن محمد ؟ لانجوت إن نجا » فلما دنا تناول الرسول حربة من أحد
أصحابه وانتفض بها انتفاضة أطارت من حوله من الأصحاب ثم استقبل بها أيبا
فطمته طمئة وقع بها عن فرسه فكسر ضاماً من أضلاعه ولم يخرج له دم ، فلما =

وأشرفهم ، وهي تلي عكاظ في الشأن ، ويجرى فيها مايجري في هذه من تباع وتناشد وتفاخر وفداء أسرى وطلب ثار .. الخ ، يقصدها صاحب الثار ليتعرف فيها واتره ، فيترص به انقضاء الشهر الحرام ان كان من المحرمين والا عاجله فأخذ بثأره واليك بعض أحداثها :

١

روى الأصفهاني : « أن قيس بن الخطيم لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه يثرب فقتله ، وظفر بقاتل جده بندي الحجاز ، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس ، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري فاستنجده فلم ينجده ، فأتى خدش بن زهير فنهض معه بيني عامر حتى أتوا قاتل عدي (جد القيس) فإذا هو واقف على راحلته في السوق ، فطعنه قيس بحربة فقتله ثم استمر . فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه ... الخ . »

— رجع أبي الى قريش قال : « قتلني والله محمد ، فقالوا : « ليس عليك بأس ، ما أجزعك ! إنما هو خدش لو كان بمين أحدنا ماضره » فقال : « واللوات ، لو كان الذي بي بأهل ذي الحجاز لما أتوا أجمعين !! » — انظر شرح الزرقاني للمواهب ٤٥ / ٢

٢

حالف ابو الازيهر الدوسي وكان عظيم الشأن في الأزد أبا سفيان
ابن حرب عظيم بني أمية ، وكان بين أبي الازيهر هذا وبني الوليد بن المغيرة
محاكمة في مصاهرة ؛ فإن أبا الأزهر لقاعد في مقعد أبي سفيان بسوق ذي
المجاز إذ جاء هشام بن الوليد فضرب عنقه في مقعده ذاك بذئ المجاز
وانتظر الناس أن يأخذ ابو سفيان بثأر حليفه من هشام فلم يفعل ولم
يدرك به عقلا ولا قوداً من بني المغيرة ، وتحدث بذلك أهل السوق
من قبائل العرب وراجت في الناس حتى عبروا بها أبا سفيان وحتى
قال حسان بن ثابت فيها :

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة

وجار ابن حرب لا يروح ولا يغدو

كسالك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلق مثلها جرداً بعد^(١)

٣

كثيراً ما يغير قوم على قوم فيسبون من ذراريهم فيستعبدونهم .
فينشأ هؤلاء الذراري أرقاء في غير قومهم ، فيباعون في الاسواق
أيام المواسم ، فكانت الجوارى والأطفال من جملة العروض التي

(١) رسائل الجاحظ (جمع السندري) ص ٧٦ بتصرف يسير

يقتنيها العربي في الجاهلية ويبيعها ويشتريها كما يفعل بالتمر والثياب
والسلاح حتى جاء الاسلام فأبطل سي العربي ، جاء في الاغانى
(١١ : ٧٥) :

« أن أبا وجزة لحق أباه عميداً - وهو صي - سبأ في الجاهلية ،
فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من سعد واستعبده ، فضرب
عييد هذا يوماً مضرع ناقة لمولاه فأدماه ، فلطم المولى وجه العبد ، فخرج
عييد الى عمر مُستعدياً فلما قدم عليه قال : « يا أمير المؤمنين انا رجل
من بني سليم ثم من بني ظفر أصابني سبأ في الجاهلية كما يصيب العرب
بعضها من بعض ، وأنا معروف النسب ، وقد كان رجل من بني سعد
ابتاعني فأساء إلي وضرب وجهي ، وقد بلغني أن لاسباء في الاسلام .
فما فرغ من كلاله حتى كان مولاه قد أتى عمر على أثره فقال : « يا أمير
المؤمنين هذا غلام قد ابتعته بذئ المجاز ، وقد كاث يقوم في مالي ،
فأساء ، فضربته ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط ،
وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها فكيف بعبده ؛ وأنا أشهدك أنه
حر لوجه الله . » فقال عمر لعبيد : « انه لاسباء على عربي ، وإن هذا
الرجل قد امتن عليك ، وقطع عنك مؤونة البيئته ، فإن أحببت فأقم

معه فله عليك منه ، وان أحببت فالحق بقومك . ، فأقام عبيد مع
السعدي وانتسب في بني سعد بن بكر بن هوازن « اه
وعمر نفسه اشترى خادمه « اسلم » من سوق ذي المجاز ، وكان
اسلم هذا حبشياً أسود مشرطاً^(١)

* * *

هذه الأسواق الثلاث ، عكاظ ومجنة وذو المجاز التي كانت تقوم
في أيام الحج ويؤمها العرب قاطبة من كل حدب وصوب ، شهدت الى
جانب مناظر البيع والشراء ، والمفاخرة والإنشاد ، مشهداً من أظع
مشاهد الجفاء والتنكر والأذى لصاحب الشريعة الاسلامية ﷺ
وابتلعت تلك الأسواق بضجيجها وما كانت تعجب به من حوادث ، صوت
الدعوة الاسلامية فيما ابتلعت من دعوات ، وغاب صوت صاحبها في ذلك
الرغاء والصخب والزحام ، فلقد مكث الرسول بمكة مستخفياً ثلاث سنين
ثم أعلن في الرابعة ودعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافي فيهن
المواسم كل عام ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذو المجاز ،

(١) تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧/٣ و (أسلم) هذا أروى الناس لسيرة عمر رضي
الله عنه وكان ابن عمر يعظمه ، ومن طريق ما يذكر ابن عساکر عنه أن (أسلم)
وعاصم بن ممر حكما عمر في : أيها أحسن غناه !

يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فلا يجد أحداً ينصره أو يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون له ، « قومك أعلم بك ^(١) . »

كان قاصد هذه الأسواق أيام الحج ، موزع السمع بين داع الى ثأر وناشد ضالة ، ومنشد قصيدة ، وخطيب ، وعارض بضاعة ، وحامل مال لفك أسير ، وقاصد شريف لإجازة او حمالة ، وداع الى عصبية ، وأمر بمنكر ... فيجد شيئاً معروفاً قد ألفه منذ عقل وأبصر الدنيا . لكنه بعد عام الفيل بثلاث واربعين سنة يجد أمراً لم يألفه قط ، ولاسمع بمثله : رجلاً كهلاً وضيئاً عليه سمات الوقار والخير ، يسأل عن منازل القبائل قبيلة قبيلة : هذه بنو عامر بن صعصعة ، وهذه محارب ، وتلك فزارة ، والرابعة غسان ، وهناك مرة وحنيفة ، وسليم وعبس ، وهنا بنو نصر وكندة ، وكعب ، وعذرة ، وهؤلاء الحارات ابن كعب وأولئك الحضارمة ... الخ

يؤم منازل كل قبيلة ، ويقصد الى شريفها يدعو بالرفق الى الله ،

(١) شرح المواهب ١ : ٣٠٩ . وانظر تهذيب تاريخ ابن عساکر ٤/١٥٥

وفعل الخير ، فيتجهم له هذا ، ويعبس ذاك ، ويحبه ذلك ويحقره آخر .. فيلقى من الصدأ ألواناً يضيق ببعضها صدر الحليم ، فلا يؤيسه مالقى ، ولا يكفه ما أودى ، فيمضي متسداً جزئياً الى قبيلة اخرى وشريف آخر : يعرض نفسه عليهم ويقول : « هل من رجل يحملني الى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي . » فلا يجد مجيئاً ، حتى تدارك الله نبيته بوفد الأنصار .

هذا ما حفظته لنا كتب السير والأدب من مشاهد مؤثرة ، فرأينا أن تلك الأسواق لم تخل من دعوة الى خير ، فقد تردد في أجوائها الصوت الضعيف الخافت ، يطلب حماية وإجابة . واثن صدف عنه الناس وازوروا في أسواق الجاهلية لقد ملأ هذا الصوت فيما بعد ما بين المشرق والمغرب ، وطبق الخائفين بآثاره التي بها في العالمين رحمة وعدلاً وعاملاً وانسانية وسعادة ومثلاً علياً . وما زال يستجيب لهذا الصوت كل يوم ، أفواج من أمم الحضارة والعرفان ، في آسية وأوربة وامريكا ، صدء عنه قديماً أجلاف البادين ، وهرع إليه اليوم زُمر المتحضرين من كل عالم ومخترع ومصالح وأديب وسياسي ، ومفكر يستضيء بعلمه وفكره الملايين من الخلائق .

فلنأخذ من هذه الأسواق العبرة ، ولنحتفظ بهذا الدرس ، فإن الحق مهما بدا ضعيفاً وبدا خصيمه الباطل قوياً صائلاً ، لا بد أنه ظافر في النهاية عليه . ولنعلم أن اليأس لا ينبغي أن يجد سيلاً الى قلب المؤمن ، وأنه :

(لا ييأسُ من رَوْحِ الله إلا القَوْمُ الكافِرُونَ)

سوق نطاة خيبر

خيبر قرية شمالي المدينة ، بينها وبين تبوك . وهي عدة حصون لليهود وفيها مياه ومزارع . ونطاة اسم حصن بها واسم عين أيضاً . وقيل هي خيبر نفسها . وحول القرية نخيل كثير يسقى بعين فيها والبلدة وبئة معروفة في العرب بحماها .

أهلها يهود استوطنوا الحجاز منذ القديم واشتغلوا بالزراعة والتجارة^(١) .

ونظراً لوقوع هذه القرية على الطريق التجارية الكبرى بين اليمن والشام أسهم أهلها بتجارة الجزيرة ، وكانت إحدى محطات القوافل التجارية في سفرها الى الشام . ونجح أهلها في متاجرتهم حتى أفادوا منها غنى واسعاً واستفاضت لهم ثروات طائلة ونشأت فيهم رؤوس الأموال الضخمة . ولا نبعد إذا قلنا إن خيبر مصرف الجزيرة المالي . ولما فتحها الرسول ﷺ صالح أهلها على الشطر من الثمر والحب . ويذكر أصحاب السيرة غنائم خيبر وما وجدوا فيها من

(١) انظر ص ٢٢ وما بعدها في هذا الكتاب

كنوز ، فيذكرون أموالاً جمّة ودنيا عريضة . بنى اليهود فيها حصوناً عديدة جعلوا فيها أموالهم وميرتهم من طعام وحب وثمر . وهم في الجملة أهل بأس وشكيمة قاوموا كثيراً قبل أن يفتح المسلمون حصونهم ، ثم غلبوا على أمرهم فافتتح المسلمون حصن ناعم ثم القموص ثم حصن الصعب بن معاذ وهو أعظم حصونها غناء وأكثرها طعاماً وودكاً ، ثم الوطيح ، ثم السلام ثم الشق . وكان في الغنائم ذهب كثير وفضة كثيرة ، فجعل الصحابة يتبادلونها حتى نهى الرسول ﷺ أن يبتاع الذهب بالذهب والفضة بالفضة . بين تلك الحصون حصن الشق وحصن نطاة وحصن الكتيبة . كان لكل حصن خازن يخبى أموال أهله وكان كنانة بن الربيع عنده كنز بني النضير فلما أسر سئل عنه فأنكر فاهتدى الفاتحون إليه فوجدوا أموالاً طائلة .

اتسعت تجارات اليهود في خيبر وغيرها حتى استطاع الرجل الواحد منهم كأبي رافع الخيبري أن يسيّر قوافل تجارية لحسابه إلى الشام . وهم نشروا في الجزيرة التعامل بالربا كما تقدم في أول الكتاب وأثروا إثراء ضخماً . وكلما مرت عير لقريش أو لطيمة من لطائم النعمان قامت لها سوق في خيبر . وقد جعل المرزوقي زمنها بعد زمن سوق ذي المجاز أي بعد أشهر الحج وقبل أن تبتدى سوق حجر .

سوق حجر

تقع بلاد اليمامة إلى غربي البحرين وجنوبي العراق . والطريق إليها من العراق وغيره طويلة شاقة . وقصبتها وأم قراها (حَجْر) وذكر اللسان أنها (الحَجْر) بالتعريف وحكى فيها الكسر أيضاً . ينزل أمراء اليمامة وولاتها في حجر ، حيث السوق وحيث تجلب إليها الأشياء ، إذ هي مصر اليمامة عامة وفي وسطها . وهي في قاع فيه نخيل وماء وكان به قصور في القديم حين كانت البلدة ذات شأن . وأصلها لبني حنيفة إلا أنها شركة كالبصرة والكوفة : لكل قوم فيها خطة . لكن العدد فيها لبني عبيد من بني حنيفة وكان قد تحصن فيها مسيامة الكذاب لما تبعته سجاح المتنبئة قبل أن يتزوجها ويقسمها الارض بينهما . وفي ذات شهرة في العرب ، اشتهرت منها زرقاء اليمامة التي ضرب المثل بجدّة بصرها واشتهر أيضاً منها عرافها الذي كان يقصد من بعيد ، والذي روي فيه بيت عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني

حَجْر من الأسواق المتوسطة ، يقصدما العرب لما يقصدون إليه بقية الأسواق من بيع وشراء وتناشد . ثم صار لها في الإسلام

ذكر مكرّر في أحاديث الأدب والأخبار لأنها دار جرير بن الحنظلي الشاعر ، وكثيراً ما كان ينزلها أيضاً ذو الرمة ، وكانت في مامن من السلطان ، لبعدها . وبقيت سوقها حتى آخر العصر الأموي ، وذكروا أن عمران بن حطان هرب من الحجاج إلى اليمامة فنزل بججر . كان يجري في هذه السوق قريب مما يجري في عكاظ من المفخرة .

١ - مناصرة

قال علي بن شفيع : « إني لواقف بسوق حَجْر ، إذ أنا برجل عليه مقطعات خزّ وهو على نجيب مهري ، رجل من هيئته وحالته .. لم أرقط أحسن منه وهو يقول : « من يفاخرني ؟ ، من ينافرني ببني عامر بن صعصعة ، فرساناً وشعراء وعدداً وفعالاً ؟ » قلت : « أنا . » قال : « بمن ؟ » قلت : « ببني ثعلبة بن . . . بن بكر بن وائل . » فقال : « أما بلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة ؟ . » ثم ولى هارباً . فقلت من هذا ؟ فقيل : « عبد العزيز الكلبي . »

٢- جرير يكي الفرزدق

ولعل أفحل من بها (وبغيرها) من الشعراء في الإسلام جرير
كان إذا انتهى من أحدائه الشعرية في العراق أو الشام وملا الأجواء
بهجائه وفخره ، أرى إلى بلده وقومه الذين ينافح عنهم ، فأكرموا
مشواه وطاروا بأشعاره ، وإن مجلس جرير ليعدّ أحد المشاهد في
سوق حجر :

« كان يوماً جالساً بفناء داره في حجر فإذا راكب أقبل فقال له
جرير : « من أين وضع الراكب ؟ » قال « من البصرة . » فسأله عن
الخبر فأخبره بموت الفرزدق ، فقال :

هلك الفرزدق بعدما جدّ عته^(١) ليت الفرزدق كان عاش قليلاً
فقال له المهاجر : « بس ماقلت ، أتتهجو ابن عمك بعدما مات ،
لورثيته كان أحسن بك . » ففكّر قليلاً ثم قال : « والله إني لأعلم
أن بقائي بعده لتليل ، وإن كان نجمي ليوافق نجمه ، أفلا أرثيه .. »
فقيل له : « لو كنت بكيته مانسيتك العرب . »
ثم قال جرير من أبيات يرثيه :

(١) جده : قطع أنفه

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل . ولا ذات بعل من نفاس تبلت^(١)
هو الوافد المأمون والواثق الرضى إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت . «

٣ - ساهر بطاف به مجاوراً

هجا البعيث بطناً من باهلة يقال لهم بنو أصخب، فاستعدوا عليه
إبراهيم بن عدي عامل الوليد بن عبد الملك ، فضر به بالسياط وأمر
فطيف به في سوق حجر . ويراه جرير فيقول :

لئن هجوت (بني صخب) لقد تركوا للأصبحية في جنبيك آثاراً

قوم هم القوم لو عاد الزبير بهم

لم يسلموه وزادوا الحبل إمراراً^(٢)

وهكذا كانت سوق حجر خاتمة المطاف لهذه النقائص الممتعة

والحرب السجال الطويلة بين فحلين من أفحل شعراء العرب ، استأثر

سوق المربد بالبصرة بأكثرها وختمت هنا في حجر .

ففي هذه السوق إذأ ، أثارا مما كان يكون في عكاظ من بيع

وشراء ومفاخرة ومجالس أدب .

كانت تقوم هذه السوق بين عاشوراء وآخر المحرم .

(١) صححت وعوفيت

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٢/٥ - الأصبحية : السياط

سوق دير ايوب

دير ايوب قرية بجوران من نواحي دةشق يزعمون أنها مسكن
ايوب النبي عليه السلام ، وأن الله ابتلاه فيها ويزعمون أيضاً أن
العين فيها هي التي ركضها برجله .

هذا ما ذكره ياقوت . أما القرية فهي الى شمال بصرى وغرب
أذرعاع (درعا) وتعرف اليوم باسم (شيخ سعد)^(١) ولا يزال
الى اليوم فيها مقام للنبي ايوب وفيها العين التي أشار إليها ياقوت وهي
من القرى الصغيرة في حوران ، قليلة النفوس والشأن .

ويظهر أن لها في القديم خطراً كبيراً يقارب ما لبصرى فقد
هبطتها منذ سنين بعثة أثرية (تشيكوسلوفاكية) ونقبت في تربتها
فعثرت على آثار رومانية قديمة ، حملت منها الى بلادها قسماً مهماً وكان
في جملة ما عثرت عليه آثار حثية ومصرية وأبقت منها نصباً في دار
العضام بدشق .

(١) انظر في ذلك (الطبوغرافية الأثرية لسورية وفلسطين) لدوسو ص ٢٤٤

فالبدة إذن ذات مكانة قديمة لعهد الجاهلية وصدر الاسلام .
ويذكر الطبري^(١) أنه لما « انصرف مروان (الجعدي) منزهماً ،
جمع قومه وجنده ، ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق من معه
وأسر ثلاثة رجال من ولده وهم نعيم ، وبكر ، وعمران فبعث بهم
الى مروان . . . وهو بدير أيوب فأمر بمداواة جراحتهم . » ثم ذكر
ما يفيد أن مروان جعلها قاعدة حربية لتجهيز جنده وبعثهم الى الاطراف
المنتقضة فيقول : « فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه
البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم حتى حلوا بالرصافة^(٢) . »
وبقيت دير أيوب من القرى المهمة في حوران حتى ضؤل شأنها
كما ضؤل شأن بصرى وأذرعات وسائر حوران .

وهذه السوق أول أسواق الشام قياماً . فكان العرب وقريش اذا
اتتهوا من أسواقهم الموسمية : عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وأنهوا حجهم
ورجعت وفود البلدان ، نظّموا عيهم وتهيؤوا للسفر الى الشام
فأقاموا تجارتهم فيها وبدؤوا بسوق دير أيوب هذه .

ومتى انتهوا منها وانتقضت اعتدوا سبعين يوماً^(٣) ثم أقاموا

سوق بصرى .

(١) ١٨٩٤:٢ (٢) ١٨٩٧:٢ (٣) الأزمنة والأمكنة ٢:١٦٩

سوق بصرى

بصرى من مشارف الشام وهي عاصمة حوران ومن كبار مدن الشام منذ الزمن الأطول قبل الإسلام ، حتى إن اسمها ليتردد في كثير من أشعار العرب . وكان أهل الشام عامة على علاقات متواصلة مع سكان الحجاز ، لكثرة أسفار هؤلاء إلى الشام . وكان النبط كثيراً ما يحملون تجارتهم بين الحجاز والشام وينقلون الأخبار بين البلدين . بل إننا نجد لبصرى من الشهرة في الجاهلية ما لا نجد لدمشق نفسها ، لأنها كانت محطة رحال تجار العرب من بلاد الشام يقصدون إليها بحاصلات الحبشة والهند واليمن فكانت هذه العلائق سبباً في جريان الألسنة بذكرها دون دمشق التي لا نكاد نعر على ذكرها في الأشعار القديمة .

كانت بصرى أيام الرومان على جانب من العظمة والمكانة وقد أنجبت أحد أباطرة الرومان : « فيليبس » الذي نصب إمبراطوراً سنة (٢٤٤) من الميلاد فقد كان عربياً من بصرى حوران . جاء في خطط

الشام^(١) في صدد الكلام على حوران وعمرانها :

« ولا تزال خرائب بصرى عاصمة حوران وأحسن مدنف
(باشان) ومعقل الرومان ، شاهدة بما كان في بلاد تلك المدينة من
الفخامة والعظمة . وكان طولها داخل السور كما قال بورتير ميلاً وربيع
ميل وعرضها ميلاً . ويحيط بالسور ربض كثير المباني ، ومحيطها
خمس أميال ، لها سور عالي الجدران وثيق البنيان ، وقلعة لا أحسن
منها في عامة بلاد الشام . ويقطع المدينة شارع كبير على طولها يمر في
وسطها له بابان جميلان على طرفه ، وشوارع رحبة ، وفيها ما يفوق
الوصف من غرائب الصناعة . وبدائع البناء ، وأساليب النقش في
الهيكل والكنائس والقبور والمذابح ، ورؤكام الانقاض وبيوت
الأقدمين . وقوس نصر أقيم للقائد فيليبس الذي صار إمبراطوراً وهو
من أهالي بصرى . والمشهد نصف دائرة قطره (٢٧١) قدماً وهو
مكشوف من الأعلى مثل كل المشاهد الرومانية . وفيها مشهدان
وستة هيكل وعشر كنائس . عدا القصور والحمامات والسبل
والقنوات وأقواس النصر وغير ذلك من المباني الكثيرة . وبعضها
ما يصلح أن تزdan به أعظم عواصم أوروبا الآن . » اه

ونظراً لمرکزها التجاري المهم وكونها سوقاً عامة للقوافل الآتية من جزيرة العرب وتوسطها بين أماكن قبائل النبط والبدو وغيرهم حصنها الرومانيون وعنوا بها عناية فائقة وجعلوا فيها الحاميات القوية لمراقبة قبائل الصحراء وحركاتهم ، ففي قلعة الرومان في وجه البادية والصحراء ، ومعقلهم يصدون منها ما قد تتعرض له الشام من هجمات القبائل .

انتظم سير القوافل التجارية العربية إلى بصرى قبل الإسلام بزمان طويل . وكان رحل إلى الشام فسكنها وماحولها : عرب من اليمن بعد حادث سيل العرم . وكانت تُزعم لها الشهرة قبل هذا الحادث أيضاً فقد جاء في الأغاني :

لما أرسل الله سيل العرم . على أهل مأرب قام رائدهم فقال : من كان يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمر ، والديباج والحريز ، فليلحق ببصرى والحفير ، وهي من أرض الشام فكان الذين سكنوه غسان . اهـ

ولما عظم أمر قريش صارت غيرهم ترد بصرى في مقدمة ما ترد من مدن الشام وتعددت أسفارهم إليها ، وليس في قريش تاجر إلا رحل إليها مراراً وعرفها حق المعرفة ، كما عرف أغلب مدن الشام ، فاستفادوا من خبرتهم بهذه

الديار فوائد جلتى لما بدأت الفتوحات بعد الإسلام . وفيما يذكر رواية
الأخبار دليل على احتفال العرب ببصرى وسوقها ، فيزوي الحافظ ابن
عساكر مثلاً عن الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله أحد العشرة أنه
قال : « كنت في سوق بصرى ، فإذا راهب في صومعته يقول : « سلوا
أهل هذا الموسم : أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ » فقال طلحة : « نعم أنا »
فقال : « هل ظهر أحمد بعد ؟ » .. الخ ^(١) فالموسم جامع للناس من
أقطار شتى وأهل الحرم ممن يرد :

وكتب السيرة تذكراً أن رسول الله ﷺ سافر إليها مرتين : مرة
طفلاً ومرة تاجراً ابن خمس وعشرين سنة ^(٢) وتزعم اجتماعه بأحد الرهبان
في دير ^(٣) هناك ، وأن الراهب دعا إلى وليمته جميع من في العير ... مما يدل على

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/٧٣

(٢) انظر ص ١١٣ من هذا الكتاب

(٣) جاء في مسالك الأبصار ١ : ٣٤٧ ما يأتي :

دير بصرى : هو بالشام ، وقيل هو الذي كان فيه بجري الراهب ، حكى
المازني : قال : نزلت بدير بصرى . فرأيت في رهبانه فصاحة ، وهم عرب متنصرة
من طيء من بني الصادر ، أفصح من رأيت . فقلت لهم : مالي لا أرى فيكم
شاعراً مع فصاحتكم ، فقالوا والله ما فينا رجل ينطق بالشعر ، إلا أمة لنا كبيرة =

وجود العلائق بين الفريقين وتفاهمهم معاً باللغة العربية . بحيث يجوز لنا أن نعد كورة بصرى قطراً عربياً في الجاهلية . وقد راسل رسول الله ملك بصرى عاصمة حوران فأرسل إليه كتاباً مع الحارث بن عمير كما بعث الى غيره من الملوك . ولما كانت خلافة أبي بكر لم يفت المسلمون شأن بصرى وعظمتها ، فكانت أول ما فتحت صلحاً بعد حصار قليل ، لما سار خالد بن الوليد من العراق لمدد أهل الشام وقدم على المسلمين وهم نزول ببصرى ، وضايقوا أهلها فصالحوهم ، على أن يؤدوا عن كل خالم ديناراً وجريب حنطة ثم افتتح المسلمون حوران جميعها وقد تم ذلك سنة ١٣ للهجرة . قال القعقاع بن عمرو يذكر أمر بصرى هذا وقد كان في الجيش المحاصر .

بدأنا بجمع الصُّفْرين فلم ندع لغسان أنفاً فوق تلك المناخر

= السن . فقلت : جيئوني بها . فجاءت ، فاستنشدتها فأنشدتني لنفسها :
= أيا رفقة من آل بصرى تحملت إذا ما بلغتم سالمين فبلّغوا
تؤم الحمى لقيت من رفقة رشدا تحية من قد ظن أن لا يرى نجدا
وقولوا : تركنا الصادريّ مكبلاً بكبل هوى من جبكم ، مضرا وجدا
فيا ليت شعري هل أرى جانب الحمى وقد أنبتت أجراءه بقلابا جمدا
وهل أردت الدهر ماء وقية كأن الصبا تسدى على منته بردا
فوهبت لها درجات . وبت في دهرهم وأكرموا ضيافتي .

صبيحة صاح الحارثان ومن به سوى نفر نجتذهم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس في اليردوك جمع العشائر

ونحن - وإن لم يكن في يدنا نص عربي قديم يشير إلى غناها
و كثرة أرزاقها - نجد في شرط الصلح ما يدل على وفرة خيراتها ،
حتى لقد ادعى صاحب بصرى مرة أنه صالح المسلمين على طعام و خل
وزيت فكذبته أبو عبيدة ^(١) ، كما أن في كثرة ورودها على السنة الشعراء
ما يدل على شأنها ، فإننا إذا أردنا التقصي تعذر علينا إحصاء ما في الشعر
القديم من مثل :

أيأ رفقة من آل بصرى تحملوا رسالتنا لقيت من رفقة رشدا ،
وقول الصمة بن عبد الله القشيري :

نظرت و طرف العين يتبع الهوى شرقي بصرى نظرة المتطاول
وقول المتلمس (وهذا كان له ولد يقال له عبيد المنان ذلك
ببصرى ولا عقب له) :

لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق إذا ديس الكراديس

(١) طبقات ابن سعد

وقول الآخر :

ولو أعطيت من بيلاد بصرى وقنسرين من عرب وعجم
وورد في كتب السيرة ذكر لقصور بصرى هذه .

* * *

لم ينقطع قيام سوق بصرى بعد الاسلام بل زاد أمد قيامها .
وكان العرب في جاهليتهم اذا اتهموا من سوق دير أيوب أقاموا سوق
بصرى حيث كان يشرف عمال الرومان . وتطول مدة هذه السوق
طولاً يتناسب هو وما قطعوا في سفرهم إليها من زمن . وقد بقيت
تلك السوق حتى زمن المرزوقي (القرن الخامس الهجري) إذ ذكر
أنه أدر كها تقوم خمساً وعشرين ليلة ، وتقل أنها كانت تقوم بولاية بني
أمية من ثلاثين ليلة الى أربعين ودمي مدة طويلة ليس للعرب مثلها
في عامة أسواقهم .

اشتهر ابصرى نوعان من البضاعة اختلفت بهما . أما الأول فالخمر
لأنها كانت من مدن الشام التي يحمل منها الخمس^(١) ويتبجح العرب
بذكريها . قال ابو ذؤيب الهذلي يذكر خمرتها :
سلافة راح ضمنتها إذلوة دقيرة ردف لمؤخرة الرحل

(١) كذلك صرخد ، وحلبون كانتا مشهورتين بخمرهما أيضاً .

تزوجها من أهل بصرى وغزة على جسر مرفوعة الذيل والكفل^(١)
وأما الثاني فالسيوف وقد اشتهرت بصنعها بصرى كما اشتهر
كثير غيرها من قرى الشام التي تدنو من الريف حتى قيل للسيف
« مشرفي » نسبة الى مشارف الشام وبصرى أحدها فتنسب إليها
السيوف البصرية قال الشاعر :

يعلون بالقلع والبصريّ هامهم^(٢)

وقال الحصين بن حمام المري يصف خيل الغارة :

عليهن فتيان كساها محرق وكان اذا يكسو أجاد وأنعم
صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطر دأمن نسج داوود معلما^(٣)
وأمر هذه السوق من إشراف ومكس ، الى عمال الروم عليها
وكثيراً ما يكونون عرباً من غسان .

(١) مر شرحها ص ٣٤٥

(١) القلع : فأس صغيرة تكون مع البناء ، ومعدن ينسب إليه الرصاص
الجليد . (٢) الصفائح : السيوف . والقيون : الحدادون . والمطرّد : الدرع .
والمعلم : ما عليه علامة .

سوق أذرعات

أذرعات بلد بالشام قرب البلقاء (وهي اليوم تعرف بدرعا)
أمرها قريب من أمر بصرى وتليها في الشأن ، وعلاقتى العرب التجارية
بها في الجاهلية كعلاقتهم ببصرى ، واستفاضتها على ألسن شعرائهم
تشبه ما لبصرى ، من مثل قول امرئ القيس :

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي^(١)
وقول الآخر :

وهيجتني من أذرعات وما أرى بنجد على ذي حاجة طرباً بعداً ؟
واشتهرت بخمرها في الشعر فقال أبو ذؤيب الهذلي :
فما إن رحيقٌ سببتُها التجار من أذرعات فوادي جدراً
وقال :

فما فضلة من أذرعات دوت بها مذكرةً عنس كهادية الضحل^(٢)

(١) تنور الناس من بعيد : أبصرها . (٢) المذكرة : الناقة العظيمة
الراس . والعنس : الناقة الصلبة . والضحل : الماء القليل . وهادية الضحل
وأثانه : صخرة على فم الركبة ، ملساء أو بعضها وبعضها غائر . ديوان
أهدلين ٣٩/١ (طبعة دار الكتب المصرية) .

سلافة راح . . . الخ ، وتنسب إليها فيقال خمر أذرية .
كان يحكمها في الجاهلية عمال للروم فلما جاء الإسلام صولح أهلها
ونالوا عهداً لأنفسهم وبلدهم . فلما كانت جيئة عمر إلى الشام استقبلوه .
قال عبد الله بن قيس :

« كنت بمن لقي عمر مع أبي عبيدة مَقْدَمَه الشام ، فبينما عمر
يسير إذ لقيه المقلِّسون^(١) من أهل أذرعات بالسيوف والريحان فقال
عمر : « مه ، امنعوهم . » فقال أبو عبيدة : « يا أمير المؤمنين هـذه
سنتهم ، وإنك إن منعتهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم . » فقال
عمر : « دعوهم . »

تقوم هذه السوق بعد سوق بصرى بسبعين ليلة^(٢) . ويطول
أمدها . والغالب أنهم يقيمونها مدى الصيف . وبقيت هذه السوق
قائمة بعد الاسلام بكثير ، فقد أدركها المرزوقي ووصف طول قيامها
بقوله : « وسوق أذرعات اليوم أطولها قياماً وربما لقيت الناس
صادرين منها وأنا وارد . »

(١) التقلِّس : الضرب بالدُّف والغناء واستقبال الولاة عند قدومهم

بأصناف اللهب ، وأن يضع الرجل يديه على صدره ويخضع - القاموس .

(٢) الازمنة والامكنة ٢ : ١٧٠ .

سوق الحيرة

لم يذكر هذه السوق أحد من تعرض لذكر أسواق العرب مع
عظم شأنها وقصد تجار العرب إليها . وليس من المعقول أن تقصد
قريش وأهل الطائف ، فارس ، للنجارة فيها ولا يكون لهم أسواق
موسمية في العراق وهي طريقهم وأهلها عرب .

إلا أن في الأغاني ما يدلنا على أن بها سوقاً عظيمة موسمية ، قال
أبو الفرج :

« خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه عطر
يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة (١) . »

وبلدة كالحيرة بعيدة الصيت في جزيرة العرب ، يتحدثون بخصبها
وعظمتها ومنازها... وأحداث ملوكها بني نصر ، وعلاقتهم مع من
جاورهم من العرب ، ويتحدثون عن الشعراء العظام الذين قصدوا
ملوكها للنوال والهبات كالنابغة الذبياني والأعشى وحسان بن ثابت
وغيرهم... بلد كهذا لا بد أن يكون مرتبطاً بما جاوره من الأقاليم

ارتباطاً تجارياً وثيقاً ، وهي أولى من بصرى وأذرعات بأن يكون فيها للعرب أسواق عامة .

ويطلعنا التعمق في التنقيب على أسواق ثانية تقام في أماكن من العراق ولا تقتصر على العرب وبضائعهم ، بل يخالطهم فيها أجانب من فرس وغيرهم ويحمل إليها متاع الهند وفارس كما يحمل إليها أمتعة الشام واليمن والبحرين فقد جاء في الطبري عند كلامه على فتوح العراق :

« سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس ويجتمع بها ربيعة وقضاة يخفرونهم ... قال رجل من أهل الحيرة المثنى : « أأندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد وتجتمع بها في كل سنة مرة ، ومهمم فيها الأموال كبيت المال ؟ وهذه أيام سوقهم ... ، فصبحهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف ... وأخذوا ماشاؤوا . وقال المثنى : « لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته . وهرب أهل الأسواق وملا المسامون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء ... »^(١)

* * *

الحيرة مدينة واسعة الشهرة منذ القديم . ذكروا أن بناها
بختنصر ، وأنه بناها لتجار العرب الذين وجد بحضرة ثم صارت من
بعده عاصمة ملوك العراق حتى إن الطبري ليذكر أن لها قبل الاسلام
أكثر من خمسة قرون ^(١) . وموضعها الى شمال الكوفة على ثلاثة
أميال منها . طيبة الهواء كثيرة البساتين . ردد ذكرها الشعراء منذ
الجاهلية وفتنوا بها وبخمرها وحاناتها وأديارها فكانت بحق مقصف
العرب عامة . ونسبوا إليها فقالوا : (حاري) على غير القياس ؛ وقالوا :
(حيري) على القياس ، فمن الأول قول عمرو بن معد يكرب :

كأن الإثم الحاريّ منها يسف بحيث تبتدر الدموع ^(٢)
ومن الثاني قول بعضهم :

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا الى كل حاريّ قشيب مشطب ^(٣)
ولها تاريخ طويل يدل على قدمها وشهرتها قبل الإسلام وأنها
كانت ميداناً لحوادث جسام ليس هذا مقام سردها فليرجع إليها
في مظانها .

(١) تاريخ الطبري ١ : ٧٤٨ طبع أوربة

(٢) الإثم : حجر الكنحل . وأسف الجرح دواء : أدخله فيه .

(٣) الحاريّ : السيف ، والمعنى أنهم احتبوا بالسيوف - لسان العرب ،

مادة (حير) .

وذكر ياقوت في سبب بنائها أن : « بختنصر قد جمع من كان في
بلاد من العرب بها فسمتها النبط أنبار العرب ٠٠٠ فصار في الحيرة
من جميع القبائل من مذحج وحمير وطى وكلب وتميم وتنوخ ٠٠٠ فأهل
الحيرة ثلاثة أصناف : فثلث : تنوخ وهم كانوا أصحاب المظالم
ويوت الشعر ينزلون غربي الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها .
والثالث الثاني : العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها ، وهم
قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا هناك ، وثلث : الأحلاف وهم
الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ٠٠ وأشار إلى بعض هؤلاء الشعراء :
وغزا تبّع في حميرَ حتى نزل الحيرة من أهل عدن

واشتهر في ظاهر الحيرة ببناءان عظيمان هما قصر الخورنق وقصر
السدير . وبقيت مسكن ملوك العرب من بني نصر ولحم حتى كان
آخرهم المناذرة الذين انقضى ملكهم بالإسلام .

ارتباط هذه البلدة بفارس وخصوع أمراءها لهم وكثرة العلائق
بين البلدين ، وسّع أفقها التجاري وأكثر فيها الغنى والترف وأخذت
فيها نوعاً من الثقافة ليس في غيرها . فقد مرّ بك أن قریشاً تعلمت
الكتابة من أهل الحيرة ، وأن الذي قرأ صحيفة المتلمس غلام حيري ،
وأن النضر بن الحارث شيطان قریش تعلم من الحيرة أخبار ملوك

فارس وأحاديث دياناتهم وأساطيرهم فكان إذا جلس رسول الله يدعو قريشاً إلى الإسلام ويحذرهم ، خلفه في مجلسه فقص عليهم من أحاديثه التي نقلها من الحيرة ، وعلمت أن لقريش رحلات وقوافل تجارية إلى الحيرة ، وأن للنعمان ملك الحيرة لطائم يجهزها إلى عكاظ كل سنة . وهذا الاختلاط الشديد بين أهلها والفرس والأنباط جعل أنساب الحيريين في منزلة دون منزلة بقية أنساب العرب ، حتى إن من العرب من يُعبر بالنسب إلى الحيرة . وانظر إن شئت ما كان بين قيس بن عاصم وعمرو ابن الأهمم بين يدي رسول الله ﷺ فقد جاء في الأغاني أن قيس ابن عاصم قال في عمرو : « والله يارسول الله ما هم منا ، وإنهم لمن أهل الحيرة !! » وقال فيه :

لولا دفاعي ككنتم أعبداً مسكنها الحيرة فالسليحون

فقال عمرو بن الأهمم متأثراً بهذا التعبير الذي لم يجد له ما يفي به

إلا أن ينسب خصمه إلى الروم : « بل هو يارسول الله من الروم وليس منا . » ثم قال :

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تمك البغضاء للعرب^(١)

هذا وإن نحن استرشدنا بنتف من الاخبار تأتي عرضاً في

مطاوي الكلام ، عرفنا أن للحيرة شأنًا تجاريًا ممتازاً ، وأن عادة العرب جرت منذ القديم بالتجارة إلى الحيرة ، وأنها كانت تؤمها القوافل الكبرى التي تقصد البرّ حاملة متاجر الهند من عُمان إلى الشام ، فكانت الحيرة محطة كبرى لتلك القوافل المحملة . وكان أكثر الطرّاء عليها تجاراً يختلفون إليها^(١)

ولما قتل الشّيبظم بن الحارث الغساني رجلاً من قومه وهرب إلى الحيرة تظاهر بأنه « رجل من خير أقبل إلى هذه البلدة بتجارة^(٢) . »
وخرج خمسة نفرٍ من طيء من ذوي الحجاء والرأي يريدون سواد بن قارب الدوسي ليمتحنوا علمه .. « فأهدوا إليه طرفاً من طرف الحيرة فضرب عليهم قبة ونحر لهم ..^(٣) »

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن الأعشى باع في سوق الحيرة « كبرشاً مدبوخة مملوءة عنبراً بثلاثمائة ناقة حمراء^(٤) »

بما تقدم ، وبما سنذكره بعد قليل ، يتبين أن للحيرة مع شأنها التجاري شأنًا صناعياً راقياً حتى صارت طرفها مما يتهادى به ، وليس

(١) الطبري ١ : ٢٦٧٧ . (٢) الامالي : النوادر ص ١٧٩ طبعة دار

الكتب المصرية . (٣) المصدر نفسه ٢ : ٢٨٩ . (٤) الاغانى ٩ :

١٢٥ . دار الكتب .

هذا بغريب فإن اختلاطها الواسع بفارس جعل أهلها يحدقون صناعات كثيرة مما أفادوه من الايرانيين « والمعروف أن سجاجيد ذات زخارف حيوانية كانت تصنع في الحيرة قبيل الإسلام »^(١)

يعرض في هذه السوق الأدم والعطر والبرود والجواهر والخيل والاموال وسائر ما يعرض في بقية أسواق العرب ، مما يحمل من الشام أو اليمن أو عمان أو الحجاز أو البحرين أو الهند وفارس ، عدا ما يحمل الاعراب اليها من ابل وشياه وقرود أحياناً^(٢) وفيها أيضاً إلى هذا ، أدب وشعر وخطابة و مناقرات و مماجدة كما يكون في غيرها من الأسواق ، وسنعرض لبعض ما يجري فيها بعد قليل .

فلما كان الإسلام تضاءل شأنها التجاري ، وانصرف الناس الى الفتوحات فلم يميز القرن الأول للهجرة حتى صارت الحيرة ذات لون أخاذ يفتن الشبان وأهل اللهو والمجون . فطار لها صيت بعيد ساحر في منازلها وخمرها وحاناتها^(٣) وأديارها ، وصرنا بعد هذا

(١) زكي حسن (مجلة المقتطف ، عدد يوليو سنة ١٩٣٨ ص ٢٣٣)

(٢) الأمازي : ٢ : ٤٤ . وانظر تاريخ ملوك الحيرة للأعظمي ص ١٣٦

(٣) عقد صاحب المسالك الابصار فصلا في كتابه عن حانات الحيرة فارجع

إليه في ١ : ٣٨٩ - ٣٩١ وكذلك فعل في أديارها .

الزمن لانجد ذكراً للحيرة إلا حيث مجلس شراب ، وجماعة قصف
وبذخ ، وخليفة يخرج للترويح عن النفس ، وفتيان سئموا حياة الجدد
فخرجوا الى الحيرة فنزلوا أحد أديرتها أو إحدى حاناتها فذبجوا
وطعموا وشربوا وغنوا وأنشدوا . وأثري أصحاب الحانات من
وراء ذلك إثراء عظيماً فصاروا يتنافسون بتجويد الخمر ، وجذب الزائرين
حتى كثر الذين ذهب ثرواتهم وقد حهم الدين من جراء خمرة الحيرة .
« ولما حرم بعض امراء الكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة
وركب فكسر نبيذهم . . جاء بكر بن خازجة يشرب عندهم على
عادته ، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق ، فبكى طويلاً وقال
شعراً^(١) ويظهر ان الأمراء لم يشددوا على الخمارين حتى رأوا من
إقبال الفتيان عليهم الشر المستطير ، وحتى كان رجال كأبي حية
القميري يشربونها في الحيرة بنسيئة ، وصارت السكرة في الحيرة
إحد المنى الغالية :

هل إلى سكرة بناحية الحية رة يوماً قبل المات سليل ؟
أما بساتين الحيرة فحدث ولا حرج عما فيها من منازة نضرة
وفتنة تحير اللب وتأسر العقل ، وحسبك أن تعلم أن إبراهيم الموصلی

خرج في ركب الرشيد إلى الحيرة ، فلما نام الرشيد اغتم غفلته
فركب يدور في ظهر الحيرة فنظر الى بستان فقصدته « فإذا على بابه
شاب حسن الوجه . . وإذا جنة من الجنان في أحسن تربة وأغزرها
ماء . . . فقال فيه :

جنان شماری ليس مثلك منظر لذي رَمَدٍ أعياء عليه طيب
ترايبك كافور ونورك زهرة لها أراج بعد الهدوء يطيب
ثم صنع فيه لحناً وغناه الرشيد ، فأعطاه ثمن البستان أربعة
عشر ألف دينار .

لم نهتد إلى الزمن الذي تقوم فيه هذه السوق . أما ربيع الطريق
فقد جعله النعمان طُعْمَةً لبني لام من طيء لأنهم أصهاره^(١) ونظراً
لوقوع هذه السوق في سلطة المناذرة كانت كانت عشورها اليهم لأنهم
هم المسيطرون عليها . والأمر فيها على كل حال اكمل وأتم من بقية
الأسواق من حيث النظام والأمن لأنها في ارض مملكة .

واليك الآن مشاهد مما كان يجري في تلك السوق على سبيل
المثال ، ولا تعجب إذا كانت أكثرها في الحمرة لأن الحمرة والنضرة
والعزف والشعر والغناء ، هن الطابع الخاص للحيرة :

١ - مناصرة حامية

خرج الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه عطر يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليها العرب كل سنة . فمر بحاتم بن عبد الله الطائي ، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة ، فأجاره . ثم أمر حاتم بجزور فتمحرت وطبخت أعضاء فأكلوا .

ومر حاتم بسعد بن حارثة بن لام (وكان النعمان جعل ربيع الطريق لبني لام لأنهم أصهاره) وليس من بني أبيه غير ابن عمه ملاحان ، فوضع حاتم سفرتة وقال : « اطعموا حييّاكم الله . » فقالوا : « من هؤلاء معك يا حاتم ؟ » قال : « هؤلاء جيراني . » قال له سعد : « أفأنت تجير علينا في بلادنا ؟ » قال له : « أنا ابن عمكم وأحق من لا تخفرون ذمته . » فقالوا : « لست هذاك . » وأرادوا أن يفضحوه كما فُضح عامر بن جويئن قبله ، فوثبوا إليه ، فتنازل أحدهم حاتمًا فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ، ووقع الشر حتى تحاجزوا ، فقال حاتم :

رددت وبيت الله لو أن أنفه هواءً كما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فأب ومّر السيف منه على الخطم^(١)

فقالوا لحاتم : « بيئنا وبيئتك سوق الحيرة فناجذك ونضع الرهن . » ثم نفذوا ما قالوا فوضعوا تسعة أفراس رهناً على يد رجل من كلب ، ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة .

وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي ، فضاف أن يعينهم النعمان ويقوّمهم بماله . وسلطانه لاصهر الذي بينهم وبينه ، فجمع إياس رهطه من بني حبيسة وقال :

(١) الخطم : الأنف

« يابني حية إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمك في مجاده . » فقال رجل منهم : « عندي مئة ناقة سوداء ، ومئة ناقة حمراء أدماء » وقام آخر فقال : « عندي عشرة حصن ، على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه » وقال حسان بن جبلة الخير :

« قد علمت أن أبي قد مات وترك مالاً كثيراً ، فعلي كل تمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة ! »

ثم قام إلياس فقال : « علي جميع ما أعطيتكم كلكم . » وكان حاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا . فذهب إلى مالك بن جبار ابن عم له بالخيرية كان كثير المال ، فقال : « يابن عم ، أعطني على مخايلتي (مفاخرتي) » فقال مالك : « ما كنت لأخرب نفسي ولا عيالي وأعطيك . » فانصرف عنه .

ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له وهم بن عمرو ، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلمه ، فقالت له امرأته : « أي وهم ! هذا والله أبو سقانة حاتم ، قد طلع . » فقال : « ما لنا ولحاتم ، أنسيتي النظر . » فقالت : « حاتم ! » قال : « ويحك ، هو لا يكلمني ، فما جاء به إلي ؟ » فنزل حتى سلم عليه فرد سلامه وحياه ثم قال : « خاطرت على حسبك وحسي . » قال : « في الرحب والسعة ، هذا مالي (وعدته يومئذ تسعمائة بعير) فأخذت هامة مئة ، حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد . » فقالت له امرأته : « أنت تخرجنا عن مالهنا ونفرض صاحبنا (تعني زوجها) ؟ » قال :

« أذهبي عني فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي . »

ثم إن إلياس بن قبيصة قال : « احمولي إلى الملك . » وكان به نقرس ، فجعل حتى أدخل عليه . فقال : « أنعم صباحاً أبيت اللعن . » فقال النعمان :

« وحياتك إلهك . » فقال إلياس :

« أتمد أختانك بالمال والحيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة ؟ (١) أظنّ

(١) الأختان : الاصحار . والكنانة : جملة السهام .

أختناك أن يصنعوا بجناح كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن ، ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ؟ فإن شئت والله ناجزناك حق يسفح الوادي دماً ، فليحضروا لمجاهد غداً يجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب في وجهه وقال له :

« يا أحلمنا لا تغضب فاني سأكفيك . »

وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة وإلى أصحابه : « انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبتدرونه ، وما أطيق بني حية . »

فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا له : « أعرض عن هذا المجاهد . » وتركوا

أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا :

« قبجها الله وأبعدها ، فانما هي مقاذيف . »

فعدا اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس^(١).

٢ — صرمة شاعر في ولده

قدم لبسطة بن الفرزدق الحيرة فمرّ بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقرؤوه

ثم قالوا له : « من أنت ؟ » قال : « ابن شاعركم ومادحكم ، أنا ابن

الذي يقول :

أضحى لتغلب من تميم شاعر يرمي الأعداء بالفريض الأثقل^(٢)

(١) الاغاني ١٦ : ٩٥ . والأرش : الدبة .

(٢) ثقله : نثره بمرّة واحدة . وثقل الرحي : وضع تحتها ما يقيسها من الارض . ولا يشفلون الرحي إلا إذا كانت طاحنة .

إن غاب كعب بن جُعَيْل عنهم وتنتثر الشعراء بعد الأخطل
يتباشرون بموته ووراءهم مني لهم قِطْعُ العذاب المرسل .
فقالوا له : « أنت ابن الفرزدق إذن ؟ » قال : « أنا هو . » فتنادوا :
« يا آل تغلب ، افضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه . »
فجعلوا له مئة ناقة وساقوها إليه فانصرف بها^(١) .

٣ - هلي طه

شرب طخَيْم الأصدى بالحيرة ، فأخذته العباس بن معبد المري ، وكان
على شُرْط يوصف بن مهر ، فحلق رأسه ، فقال :
وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط إذا حلف الأيمان بالله برت
لقد حلقوا منا غداً كأنها عناقيد كرم أينعت فاسبطرت^(٢)
يظل العذارى حين تحلق لتي على عجل يلقطنها حين جزت^(٣)

٤ - صحارة وشرطي

كان الأقبشير الشاعر يكثر في بغلة أبي المضاء المُسكاري فيركبها إلى
الحمارين بالحيرة ، وكان لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم : يجعل
درهمين في كربي بغل إلى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهماً للطعام . . فيقال
إنه دفع ثمن البقل في الكراء^(٤) .

(١) الاغاني ١٩ : ١٣ .

(٢) القداف الأسود : يعني شعره . واسبطرت : طالت وامتدت .

(٣) الاغاني ٨ : ١٧٩ (دار الكتب) . واللعة : الشعر الجاوز شعبة الاذن

وجز الشعر : قصه .

(٤) الاغاني ١٠ : ٨١ .

شرب يوماً في بيت خمار بالحيرة فجاء شرطي من شرط الامير ليدخل عليه ، فغلقت الباب دونه ، فناداه الشرطي : « اسقني نبيذا وأنت آمن » فقال : « والله ما آمنك ، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده ، وأنا أمسيك منه . » ثم وضع أنبوباً من قصب في الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل ، والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر ، فقال الأقيشر :

سألني الشرطي أن نسقيه فسقيناه بأنبوب القصب
لما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب^(١)

٥ - مسخ

قد جرت الطير أيا منينا
قالت - وكنت رجلاً فطينا - :
هذا ووب البيت إسرائيلينا^(٢) .
قال أبو بكر في كتاب المتناهي في اللغة : « هذا أعرابي أدخل فرداً الى سوق الحيرة ليبيعه ، فنظرت اليه امرأة فقالت : « مسخ » فقال هذه الايات .

(١) الاغاني ١٠ : ٨٦ . هذا وقد قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : « أنشدني أبياتك في الحجرة . » فأشده :

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها ، في الإناء قطوب
كعبت اذا فضت في الكأس وردة لها في عظام السارين ديب
فقال : « أحسنت ، ولقد أجدت وصفها ، وأظنك قد شربتها ا » فقال : « والله بأمرير المؤمنين إنه ليربيني منك معرفتك بهذا !! » .

والقذى : الوسخ في الشراب . والكعبت : الاشقر .
(٢) الامالي ٢ : ٤٤ واسرائين : اسرائيل ، أوردتها القالي في فصل (ماتتعاقب فيه اللام والنون) .

٦ -- وطنية صادقة

أختم الكلام عن الحيرة بهذا الدرس البليغ الذي ألقاه علينا أحد فتيان الحيرة منذ ثلاثة عشر قرناً في حب الوطن ونصرته . وهو درس عملي يخلق بقيادة الفكر وزعماء العرب أن يستفيدوا منه فيكونوا قدوة في الوطنية العملية الحقيقية .

بلغ العرب في الاعتماد على أنفسهم والاقتصار على صناعاتهم في جميع شؤونهم أمراً عجيباً ، حتى إن بلدة كالحيرة ليست من البلدان الكبرى حينئذ في الأقطار الإسلامية ، استطاع أهلها أن يعتمدوا على محصول بلادهم ويكتفوا به في كل حاجاتهم حتى الكهالية منها . نرى ذلك في هذا الخبر الطريف الذي سنرويهِ لك عن الاغاني ونود لو جرؤنا على تقليد أسلافنا في مكرماتهم تلك ، إذأً لكنا حذقنا درساً في الإخلاص الصادق للوطن ، ولما استعبدتنا أموال الغرب وشركائه ، ولما كنا جميعاً رجالاً ونساء وأطفالاً ، جنوداً لهم - على رغم أنوفنا - نوطد أقدامهم في بلادنا بما نتهافت على استهلاكه من بضائعهم ، وبما يطير من جيوبنا إلى خزائهم ومصانع أسلحتهم من أموال باهظة ، لا داعي إلى تبذيرها إلا التقليد الأعمى وقشور التمدن السخيف والترف الكاذب ، واليك هذه الطريقة الثمينة :

« كان بعض ولاية الكوفة يذم الحيرة أيام بني أمية ، فقال له رجل من أهلها وكان عاقلاً ظريفاً : « أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟ » .

قال : « وماذا تمدح ؟ » قال : « بصحة هوائها وطيب ماثها ونزعة ظاهرها : تصالح للخف والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبر

ويجر . محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثوام ، وقد قدمتها أصلحك
الله مُخْفِئاً فرجعت مُثْقَلًا وزرتها مقلًا فأصارتك مكثراً . قال : « فكيف
نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ » قال : « بأن تصير إلي » ، ثم ادع ما شئت
من لذائد العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه ! » .

قال : « فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك » قال : « أفعل . »
فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها ، وما صيد من وحشها :
من طباء ونعام وأرانب وحبارى . وسقام ماءها في قلاها ، وخرها في
آنيتها ، وأجلسهم على رقعتها (وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة) .
ولم يستخدم لهم حراً ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها من خدام ووصائف
كأنهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة أهلها . ثم غنم حنين (الحيري) وأصحابه في
شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى همدان ، لم يتجاوزهما ، وحيام برياحينها ،
ونقلهم على خمرها ، وقد شربوا بفواكهها . ثم قال له : « هل رأيتني
استعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير
ما في الحيرة ؟ » .

قال : « لا والله ، ولقد أحسنت صفة بلدك ونصرتَه فأحسنت نصرته
والخروج بما تضمنته ، فبارك الله لكم في بلدكم^(١) . »

(١) الاغاني ٢ : ٣٥١ (دار الكتب)

الظلف : البقر كالحف للبعير وكالحافر للفرس . والحبارى : طائر طويل المنق رمادي
اللون في منقاره بعض طول . والرقم : ضرب مخطط من الوشي أو الخز . والوصائف
جمع وصيفة : وهي الجارية البالغة حد الخدمة وكذلك الوصيف . ونقلهم : أطعمهم النقل ،
والنقل : ما يتنقل به على التراب من فستق وتفاح وغيرها .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أسواق العرب

ب - في الاسلام

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الاسواق في الاسلام

لم يعد - وقد تحضر العرب - من حاجة إلى مواسم وأسواق على ما كان عليه الحال في الجاهلية ، لأن العرب سكنت المدن الكبار من بلاد الشام والعراق ومصر وفارس والروم، ومصرت هي لأنفسها أمصاراً عظم شأنها مع الزمن كالكوقة والبصرة وبغداد والقيروان ...

فصارت تستغني كل مدينة بأسواقها الدائمة عن أسواق المواسم، وكفى الله العرب مؤونة الترحال بين أسواق الجزيرة ، بما فتح عليهم وسهل من تجارات تأتيمهم إلى مدنهم ، بحيث يجدون في كل بلد عروضاً كثير من البلدان . وعدل الذين يعانون التجارة منهم عن أسفار البوادي إلى أسفار البحار . وأصبح من المنتظر تضائل الأسواق الجاهلية بتضائل آثار البداوة من حياة العرب ، وانتقلوا إلى حضارة وارفة الظلال ريادة الجنبات يأتيهم فيها رزقهم رغداً من كل مكان ، فامحّت أسواق الجاهلية قبل انقضاء القرن الثاني للهجرة ورسخت أقدام التجارة في المدن والشعور .

ولكن سوقاً واحدة نشأت في الإسلام احتفظت بكثير من خصائص أسواق الجاهلية ، وزادت عليها بميزات واسعة أسبغتها الحضارة الجديدة واقتضتها حاجات الرقي الحديث : تلك هي سوق المربد في البصرة ، السوق التي استطاعت أن تكون مرآة تعكس حياة العرب في الجاهلية كما تصور حضارتهم في الإسلام . وسنرى كيف استطاعت هذه السوق أن تصهر الحياتين معاً في بوتقة واحدة ، لتصوغ منهما هذه الحلية العجيبة التي نعرضها عليك الآن :

البصرة - المربد

يتقاضانا الكلام على المربد أن نصف البصرة ، المدينة التي كان المربد سوقها العامة ، نظراً لمكاتها التجارية ، إذ أنها ثغر العراق في الإسلام . وليس من المستطاع أن نفهم المربد على حقه إذا لم نعرف أحوال بلده البصرة ، وسيفيننا هذا التمهيد عن شروح وحواشٍ كثيرة عند كلامنا على المربد نفسه .

مصرت البصرة سنة (١٧) أيام عمر بن الخطاب « في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم كما أمر الخليفة عمر رحمه الله » ، وكانت في الجاهلية من ثغور العراق ، فيها خليط من أمم شتى ، فرس ويونان أحلهم فيها الاسكندر ، وهنود انتشروا في بطانحها ، وقد نزلها العرب منذ القديم ، كما فيها أنباط غير قليلين . وكانت هي والأبلة مركزين للتجارة الداخلية والخارجية ، وكان يرتادها تجار العرب ، وتردد عليها أبو بكر الصديق في الجاهلية مرات .

ولم تكن على عهد الراشدين بالمدينة الكبيرة ، لحدائثة نشأتها العربية ، وكانت مستوخمة رديئة الهواء والماء ، ليست بالحصبة ولا الفئحة ،

حتى اضطر عمر إلى أن ينظر إلى أهلها نظر رحمة ، حينما شكوا إليه أمرهم ، فقد جاء في فتوح البلدان^(١) :

« قدم الأحنف بن قيس على عمر في أهل البصرة فجعل يسألهم رجلاً رجلاً والأحنف في ناحية البيت ، في بت^(٢) لا يتكلم فقال له عمر : « أما لك حاجة ؟ » قال :

« بلى يا أمير المؤمنين : إن مفاتيح الخير بيد الله ، إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وإننا نزلنا سبخة بشاشة لا يحف نداها ولا يفت مرعاها ، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، يأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق^(٣) ولدها كما تربق العنز يخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فإذا ترفع خسيستنا وتجر فافتنا نكن كقوم هلكوا . »

(١) ص ٣٥٦

(٢) البت : طيلسان من خز .

(٣) ربقه : ربطه بالربق وهو حبل فيه عدة عُرى .

فألقى عمر ذراري أهل البصرة في العطاء . وكتب إلى أبي موسى
بأمره أن يحتفر لهم نهراً .

هذه بداية أمر البصرة وقد ظلت على حالها ، لم تترق منها إلى
خير منها ، حتى صدرأ من أيام الأمويين ، ومضت خلافة معاوية
ولم ينفرج ضيق أهلها تمام الانفراج فقد قدم الأحنف أيضاً على معاوية
وافداً لأهل البصرة يستعطفه لهم ، وكان فيما وصف به أهلها
قوله : « أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول
واتصال من الذحول ، فالكثرفيها قد أطرق ، والمقل قد أملق ،
وبلغ منه المخنق^(١) . »

وبانقضاء عهد الفتن فيها واستقرار الأمر بمثل زياد وابنه
والحجاج ، انصرف أهلها لشؤونهم فعكفوا على الزراعة والتجارة
واتعشوا واستفاض لهم زرع ونخيل وتجارات ، فمن ثم عدت
البصرة من أكبر ثغور الإسلام قاطبة .

أما الهواء فيها فرديء وكذلك الماء فهو غير عذب ، حتى إنهم

(١) زهر الآداب ١ : ٨٧ (الطبعة الثانية - مبارك) المحول جمع محل :
وهو النحط . والذحول جمع ذحل : وهو الثأر : يعني أنهم تقاتلوا لكثرة
الحروب والفتن بينهم . وأطرق : غض بصره حياءً لأنه لا يجد ما يعطي .
وأملق : افتقر .

ليجلبونه من المسافات البعيدة . وقد حفرت فيها أقنية وجداول كثيرة تشعب عن النهر الأعظم ، ووصف الأقدمون كثرتها وصفاً نكاد لانصدقه . جاء في مسالك الممالك للإصطخري :

« البصرة مدينة عظيمة لم تكن في أيام العجم ، وإنما اختطها المسلمون أيام عمر ، ومصرها عتبة بن غزوان وهي خطط وقبائل كلها . ويحيط بغربيها البادية ، وليس فيها إلا أنهار . وذكر بعض أهل الأخبار أن أنهار البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على (١٢٠٠٠٠) نهر « كذا !! » تجري فيها الزوارق . وقد كنت أنكر ما ذكر من عدد هذه الأنهار في أيام بلال . حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع ، فربما رأيت في مقدار رمية سهم ، عدداً من الأنهار صفاراً تجري في كلها زواريق صفار ، ولكل نهر اسم ينسب إلى صاحبه الذي احتفره أو إلى الناحية التي يصب فيها وأشبه ذلك من الأسامي ، فجوزت أن يكون ذلك في طول هذه المسافة وعرضها . وأكثر أبنيتها بالآجر (هذا على عهد الإصطخري في القرن الرابع الهجري) وهي من بين سائر العراق مدينة عشرية ، ولها نخيل متصلة من عبّس إلى عبادان نيفاً وخمسين فرسخاً متصلاً لا يكون الإنسان منه في مكان إلا

بجيث نهر ونخيل أو يكون بجيث يراها ، وهي في مستوى لا جبال فيه ولا بجيث يقع البصر على جبال ٠٠٠ وبها نهر يعرف بنهر الأبلّة طولُه أربعة فراسخ ما بين البصرة والأبلّة^(١) ، وعلى حافتي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط واحد . ويتشعب هذا النهر إلى أنهار كثيرة ، فمنها ما يقارب هذا النهر في الكبر ... وهذه الأنهار كلها محتركة بعضها إلى بعض وكذلك عامة أنهار البصرة حتى إذا جاءهم مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير تكلف ، فإذا جزر الماء انحط حتى تخلو منه البساتين والنخيل ويبقى في الأنهار ، إلا أن الغالب على ما نهم الملوحة وإنما يستقون إذا جزر الماء إلى حد نهر معقل ثم يعذب فلا يضره ماء البحر .

ونحن معنيون بأن نعرف عن البصرة ميناء العراق الأكبر ، تفاصيل مسهبة لأنها سوق العراق العامة يومئذ ، فلا غنى لنا عن شاهدها ونعتها لنقف على مكانتها وسعة غناها . ولولا هذه الصفات

(١) قال في القاموس : الأبلّة : موضع بالبصرة ، أحد جنان الدنيا .

التي وصلتنا عن الاقدمين في مختلف حالاتها ، لما استطعنا أن نعلم التدرُّج الذي ترقَّت فيه البصرة من الاملاق إلى الثروة . ثم صار لهذه الأرض السبخة القفرة على عهد عمر ، الشأن العظيم والمكانة البعيدة في نفوس الكبار حتى قال زياد : « لو أضللت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلي عليها ! »^(١) .

والذين نعتوها متفقون على رداءة هوائها مع سعة عيشها ، فقد روى ابن عبد ربه عن أبي العباس أنه قال : « إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن ، يأتيها الماء يبرده وعضوبته ، ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد . » وقال الحجاج : « الكوفة

(١) العقد الفريد ٤ : ٢٦٥ . هذا وقد ألف العلماء في البصرة وخططها وأسواقها وأخبارها تواليف مستقلة لم نطلع عليها . وحسبك أن ابن حزم الظاهري وهو أندلسي في أقصى المغرب يقول في رسالته في فضل الأندلس : « ... ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة ، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها ، وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزي النسب ، وصفها وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها . » - نفع الطيب ١٢٩/٢
فاذا كان ما اطلع عليه ابن حزم في أقصى المغرب أربعة كتب فقط ، فمن المحتمل أن تزخر مكاتب الشرق بالكتب عن البصرة .

بكر حسناء والبصرة عجوز بجراء أوتيت من كل حلبي وزينة^(١) .
وسماها الناس لتقلب هوائها بالرّعاء قال الفرزدق:
لولا أبو مالك المرجو نائله ما كانت البصرة الرعاء ليوطنا
والرعونة الحمق والاسترخاء .
إلا أن وخامتها لم تمنع أن يتكاثف فيها السكان ويطردها النمو ،
حتى أصبحت كما وصفها جعفر بن سليمان بقوله : « العراق عين الدنيا
والبصرة عين العراق . »

انقضى القرن الهجري الأول والبصرة قد قطعت شوطاً بعيداً
في الازدهار ، ولم تستقرّ الأمور لبني العباس في عهد المهدي ومن
بعده حتى صارت البصرة « باب^(٢) بغداد الكبير ومدخل دجلتها
المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ،
نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسة ، أو جنوة لإيطالية ، أو
ليفربول لبلاد الانكليز . بل امتازت البصرة على تلك المراسي
بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من
كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل

(١) المصدر نفسه . وانظر أيضاً ما جاء في أحسن التقاسيم وفي رحلة ابن
بطوطة من تقلب هوائها وعفتها . الالهة : الهنة المطبقة في أقصى سفح الفم .
والبختر : نفاث ريح الفم .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب (مجلة المجمع العلمي العربي) ١٢ : ٣٢١

الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصناعات ، وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها أن تتلقب « بقبة الإسلام » كما سماها عمر بن الخطاب . ناهيك بيلد جمع لحسن الموقع أصدقاء الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب ...

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والترامي على الأسفار البعيدة والضرب في مناكب الأرض طلباً للرزق والتماساً للثراء (اشتهاراً) جعل الجاحظ يصرح : « بأنه ليس في الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا إلا وأنت واجد به البصري والمدني^(١) » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على بعد همة البصريين في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال أبو بكر الهمداني - وناهيك به من خير - : « وأبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري ، ومن دخل فرغانة القصوى [شرقاً] والسوس الأقصى [غرباً] فلا بد أن يرى فيها بصرياً أو حميرياً^(٢) . » اهـ ملخصاً .

(١) البغلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٢) البلدان للهمداني (ايدن) ص ٥١

و كثر الأصناف المجلوبة إلى البصرة من عامة الأقطار حتى
لقبت بحق بـ (خزانة العرب^(١)) واستطاع أحد أبنائها وهو الجاحظ،
أن يؤلف في بضائع البصرة كتاباً مستقلاً يذكر فيه الأحجار الثمينة
كالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد . . الخ والطيب والعطر
والروائح الطيبة والوشى والفرش وما يجلب من البلدان من طرائف
السلع والأمتعة والجراري وما يختار من البزاة والشواهين والبواشق
والصقور . . . يتبدى بصفة النوع وما يستجد منه ومن أين يجلب
وأين أحسنه . والجاحظ كما نعلم لم يرحل إلى الهند ولا إلى فارس
ولكن عنده في بلده تجارات تلك الأمم كلها . ولا نكون
إلى الغلو إذا قلنا إن البصرة في عصر العباسيين الذهبي كانت سوق
العالم قاطبة .

ولم يقصر البصريون في الزراعة بل عكفوا عليها وجودها
حتى اختلفوا بمعرفة النخيل وضروبه وأصول غراسه اختصاصاً
فاقوا به كل أحد . قال الهمداني في كتابه البلدان : « ولأهل
البصرة من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور
النخيل، وذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخيل البصرة دون
نخل المدينة ودون مصر واليامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان

(١) انظر تاج العروس .

ودون الكوفة وسوادها وخير وذواتها والأهواز وما بها ، أيام
المعتصم ، وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مُغَلّ معروف وخارجي
موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب .

وهذا افتنان غير قليل في إجادة الزراعة يدل على حذق بها وورقي
بالغ . وذلك عدا ما شهرت به من الأسماك وأنواع اللحوم والألبان
والأقطان وسائر التجارات .

ولها إلى ذلك شهرة أخرى تعيننا هنا في بحثنا كثيراً ، وهي ما استفاض
فيها من علوم ولغة وأدب وشعر حتى صارت تقصد لذلك دون سائر
البلاد ، وكثر فيها العلماء والشعراء والادباء والكتاب والفقهاء
والقراء ... كثرة تستعصي على الإحصاء ، وسنلمّ بذلك في كلامنا
على سوقها الكبرى : المربد .

ولم تخل إبان ازدهارها من أن تكون متعة للناظرين ومنازه
للمتفرجين ، واشتهر فيها وادي القصر الذي قال فيه الجاحظ :
« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكاפור ، ورأى
ضباباً تُحْتَرَش ، وغزلاً ناسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في
سفينته ، وحذاء جمال خلف بعيره . »

وكانت هذه الجملة الموجزة نثر ما كان الخليل بن أحمد قاله قبله :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر إن شئت أو بادي

ترى به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادي
وليس في أيدينا نعت للبصرة أبلغ ولا أكثر إحاطة ولا أصدق
ولا أدق مما قاله خالد بن صفوان لعبد الملك بن مروان ، فقد جمع لنا
فيه من صفات البصرة وخصائصها ما لم نجده عند غيره ، ولا ريب فهو
ابن البصرة وأحد بلغاه الناس ، وكل من أراد معرفة البصرة في القرن
الاول الهجري فهو عيال على صفة خالد هذه ، قال :

« يغدو قانصنا فيجىء هذا بالشبوط والشيم ويحيى هذا بالظبي والظلم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً ، وبرذوناً هملاً جاً ،
وخريدة مغناجاً ، بيوتنا الذهب ، ونهرنا العجب ، أوله الرطب ،
وأوسطه العنب ، وآخره القصب :

فأما الرطب عندنا فننخل في مباركه ، كالزيتون عندكم في
منابته ، هذا على أفنانه ، كذلك على أغصانه ؛ هذا في زمانه ،
كذلك في إبانته ، من الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ،
الملقحات بالفحل ، يخرجن أسفاطاً عظاماً ، وأوساطاً ضخاماً كأنما
ملئت رباطاً . ثم ينقلن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ
الايض ، ثم تبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الاخضر ،
ثم تصير ياقوتاً أحمر وأصفر ، ثم تصير عسلأ في شنة من سحاه

ليست بقربة ولا إناء ، حولها المذاب ، ودونها الحراب ، لا يقربها الذباب ، مرفوعة عن التراب . ثم تصير ذهباً في كَيْسَةِ الرجال ، يستعان به على العيال^(١) .

وأما نهرنا العجب فإن الماء يقبل عنقاً ، فيفيض مندققاً ، فيغسل غثها ، ويبيدي مبثها ، يأتينا في أوان عطشنا ، ويذهب في زمان ريننا ، فأخذ منه حاجتنا ، ونحن نيام على فرشنا ، فيقبل الماء وله عباب وازدياد ، ولا يحجبنا عنه حجاب ، ولا تغلق دونه الابواب ، ولا يتنافس فيه من قلة ، ولا يحبس عنا من علة^(٢) .

وأما بيوتنا الذهب ، فإن لنا عليهم خرجاً في السنين والشهور ، نأخذه في أوقاته ، ويسلمه الله تعالى من آفاته ، وننفقه في مرضاته .
هذا ولم تحظ - فيما نعلم - بلدة من بلاد الإسلام ، بمثل ما حظيت به البصرة ، فقد تشارك في صفتها ثلاثة من فرسان البلاغة والعبقرية : خالد بن صفوان ، والخليل بن أحمد ، والجاحظ .

(١) الشوط والشيم : نوعان من السك . والساج : خشب يجلب من الهند . والمهلاج : الحسن السير . والأسقاط مفرد ما سقط : وعاء يجعل فيه الطيب ونحوه . والرباط جمع رِبْطَة : وهي الملاءة . والشنتة : القربة البالية . والسحاء : القشر . والمذاب جمع مذبّة : وهي من شعر ذنب الفرس يدفع بها الذباب . والكيسة جمع كيس . (٢) العنق : سير فسيح سريع والغث : الرديء . والعباب : موج أو ارتفاع الماء .

سوق المربد

ننتقل من أسواق العرب في الجاهلية إلى أسواقها في الإسلام .
ونلاحظ أننا لا نرى في هذه الأسواق الشان الكبير الذي كان لأسواق
الجاهلية ، لأن العرب - كما تقدم - تحضرت وسكنت الأمصار
وكثر فيها الأسواق الدائمة تحوي كل نوع من أنواع البضائع
المعروفة لهم . فلم تستجد في الإسلام سوق لم تكن في الجاهلية ،
إلا ما كان من أمر المربد^(١) الذي ورث عكاظ ، وقضى على ما كانت
تتمتع به من ميزات ، منذ عصر الراشدين ، وأخذ أمر المربد (عكاظ
الإسلام) بالازدياد حين بدأ شان عكاظ (الجاهلية) بالتحول
فالاتقاص فالموت .

نزلت العرب البصرة سنة أربع عشرة ومصرتها سنة سبع عشرة
على تخطيط وضعه عمر وأرسل من يقف على تنفيذه . وكان المربد على
الجهة الغربية من البصرة إلى البادية ، ليكون أول ما ينزلون إذا قصدوا
البصرة ، وآخر ما يتركون إذا رحلوا عنها . ليقضوا فيه متاعاً لهم
ومرافق يتبلمغون بها في ظعنهم وإقامتهم .

(١) المربد على وزن منبر هذا هو المشهور . وكان الأخفش يقول المربد
كسجد - انظر شرح مقصورة ابن دريد ص ٤١ الطبعة الثانية (مصر ١٣٢٨هـ) -
هذا وللكوفة سوق تعرف بـ (الكناسة) ليس لها ذلك الشان .

معنى المرَبْد : محبس الابل ومربطها . والمربد أيضاً بيدر التمر
لانه يربد فيه فيشمس . والرُبْدَة لون إلى الغبرة .

ومربد البصرة هذا متسع للإبل تُرَبَّد فيه للبيع . وكان في
الاصل سوقاً للابل ، حتى إذا كان عهد الامويين صار سوقاً عامة
تتخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم ، كل إلى فريقه وحلقته
وشاعره ، وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء والرُجَّاز ويؤمها
الاشراف وسائر الناس يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون
ويتشاورون وقد وجدوا فيه مستجماً لأبدانهم وأرواحهم التي نهكتها
الفتوحات ، وحنَّت إلى سابق عهدها في عكاظ فجددت منه ما سمح
به الدين الجديد . بل غضت النظر قساحت أحياناً وأحيت ما أمت
الاسلام من حمية جاهلية وإحن وثرات وأثارت عداوات ، كان
يعيشها الناس من تلقاء أنفسهم ، أو بتشجيع خفي من بعض خلفاء
الامويين ، ليشغلوا الناس بعضهم ببعض عن الخلافة وما يأتي
الخلفاء من هنوات .

فالمربد معرض لكل قبيلة تعرض فيه شعرها ومفاخرها كما تعرض
عروضها . وهو مجتمع العرب ومتحدثهم ومتنزه البصريين ، يؤمه
منهم من عاف رخاوة المدن . وما زال يعلو شأنه وتستجيب له أسباب
الكمال ، حتى اشتد ولوع الناس به وارتياحهم له . ويظهر أن الأمر

زاد على ما نعرف للمنازه اليوم من خطر ، فقد بنيت فيه الدور الجميلة وتفاقم أمره حتى صار من الضروري لكل أحد في عصر العباسيين ، أن يغشى المربد ، إن لم يكن لحاجة فلترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن ، وحتى قال جعفر بن سليمان الهاشمي جملة المشهورة :

« العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وداري عين المربد^(١) . وما زال في مجده هذا حتى خرب وخربت البصرة وتقلص العمران بينهما إلى أن صار بين المربد والبصرة ثلاثة أميال خراب على عهد ياقوت^(٢) الذي ذكره في معجمه فقال :

« مربد البصرة من أشهر محالها . وكان يكون سوق الابل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء والخطباء . وهو الآن بائن عن البصرة نحو ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب فصار المربد كالبلدة المنفردة في وسط البرية . »

نقلت قول ياقوت هذا في البصرة ومربدها ، لأقول إن الذي طرأ عليها من الخراب والتأخر ، طرأ على العراق كله فمن يقرأ وصف العراق وبلدانه وجنانه ونعيمه وسكانه وعمرانه وخيراته .. في كتب

(١) ثمار القلوب ص ١٢٨ (٢) توفي ياقوت سنة ٦٢٦ هـ

الأدب ، وخاصة في المئة الثانية والثالثة والرابعة للهجرة ، ثم يرحل إليه أول هذا القرن ، لا يجد وصفا للعراق أصدق من قول ياقوت في تلك الأميال الثلاثة التي كانت عمراً متصلاً بين البصرة ومربدها وأصبحت على عهده خراباً يباباً أفرد المربد من أمه وكان سوقاً من أسواقها ، وجعله قرية بائنة لا خطر لها .

وإئن كان لعكاظ ذلك الأثر في اللغة العربية : ألفاظها وأساليبها ، إن المربد كان له أيضاً في اللغة أثر بعيد يختلف بعض الاختلاف عن أثر عكاظ ، لما بين الزمانين والمكانين من التباين ، فعكاظ في قلب الجزيرة العربية يجمع إليها أشرف العرب وفصحاؤها ، لا عجمة فيها ولا أثر لأعجميين البتة . والأمر في المربد على العكس : هو في طرف الجزيرة على الخليج الفارسي وبينه وبين الفرس قرب قريب . وزاد الاسلام والفتوح اختلاط العرب بالعجم فتطرق إلى اللغة الفساد والعجمة واللحن وغشي هذا الضعف مجالس الخاصة من العرب ، وأزرى بلهجات الفصحاء حتى صرت تسمع الأمير على المنبر في المواسم ، يلحن على ملاء من الأعراب والبلغاء والأشراف ، فغيب على الحجاج لحن وأثر عن عبيد الله بن زياد مثله ، وكذلك نقلت لحنات

عن أشرف العرب^(١). فكان المربد يعج بأعلام اللغة والأدب والشعر والنحو ، معهم محارمهم ودفاترهم يكتبون عن فصحاء الأعراب فيه ، وهذه الظاهرة لم تكن في عكاظ قط ، فهذا أبو عمرو بن العلاء يسأل الأصمعي : « من أين أقبلت ؟ » فيجيبه : « جئت من المربد . » فيقول : « هات مامعك » ، فيقرأ عليه الأصمعي ما كتب في الواحه ، فإذا ستة أحرف (كلمات) لم يعرفها أبو عمرو ، فيخرج يعدو في الدرجة ويقول للأصمعي : « شممت في الغريب . » أي خلبتني^(٢).

ويشبه المربد عكاظ في أمر الشعر وحلقاته ، بل يزيد عليه ، فلكل شاعر حلقة ، ولكل متهاجين مجلس ، ولكل قبيلة ناد وشاعر يزود عنها ويرد عدوان قريعه من القبيلة الثانية : فللعجاج ولرؤبة حلقة ، ولأبي النجم العجلي حلقة ، ولجرير والفرزدق وراعي الأبل وذوي الرمة ، لكل منهم حلقة . وكثر هذا المحصول من الرجز والشعر والنكات الأدبية كثرة مآلت أمهات كتب الأدب بأخبارها ، ولاشك في أن المربد في هذا فاق عكاظ مراحل واسعة وفاته بعدد الشعراء والرجاز وكثرة الرواد وطلاب الأدب . وفي المربد أطفئت ثلاثة

(١) انظر كتابنا في أصول النحو ص ٨ - ١٤ (مطبعة الجامعة السورية)

سنة ١٩٥٧

(٢) النوادر للقالبي ص ١٨٢

جرات العرب ، أطفأها جرير بقصيدته الدمأغة . كان لكل من الشعراء زوارة ينقلون له ما قاله خصمه وينشرون في الناس جواب شاعرهم عليه ، وكان اهتمام الناس بالشعر والادب من أقوى الاسباب العاملة في غزارته وكثرة المقبلين على تعلمه وروايته .

ويتفرّد المربد بأمر علمي محض لم يكن له في عكاظ من أثر ، وهو أنه أرفد اللغة بمادة كثيرة ، عليها أسس النحاة قواعدهم وأصلحوها ، وذلك بما كانوا يقصدون له فصحاء الاعراب يسألونهم فيما فيه يختلفون ، يأخذون عنهم مستفيدين ومتعلمين . وحسبك أن تقرأ أياً شئت من كتب الادب الاصول كالأغاني والأمالى والبيان والتبيين والسكامل و... لتجد أن أكثر مادتها فيما يتعلق بالعصر الاول والثاني للهجرة ، كان المربد ميدانه وينبوعه . وخذ إن أردت كتب التاريخ الكبرى كالطبري مثلاً ثم ابلغ في فهرس أماكنه إلى المربد ، يأخذك العجب من كثرة المواطن التي ورد ذكر المربد فيها مع أن الكتاب كتاب سياسة وأخبار ملوك لا كتاب عامة وأدب .

فن المربد وعلى هامشه غذي الادب بقصص وأساطير كما غذي التاريخ بالاعخبار الواقعة ، ووضع من وضع من الرواة والاعخباريين أحاديث حاكوا بها ما وقع . وفي حلقاته اصطرعت الأهواء المتباينة

والنزعات المتضاربة ، استغلها الشعويون والمنافحون عن الحقائق على السواء ، وشهدت هجوماً من أولئك ودفاعاً من هؤلاء .

والغريب أن هذا المربد لم يكف بأن يستأثر بكل ميزة كانت لعكاظ ، بل جمعها وضم إليها ميزات جديدة أفادها من خصائص عصره وطبيعة اجتماعه ، فإن كانت في عكاظ حروب موضعية بين قبيلتين فإن المربد كان ميداناً لأكبر فتنة وأشد حرب داخلية وقف فيها المسلم أمام المسلم يكافحه بسيفه ويشرع إليه رحمه . كان المربد ميداناً لإحدى مواقع الجمل ، أول حرب فرقت كلمة هذه الامة المخيفة وجعلت بأسها بينها ، وكانت حلقة أولى في هذه السلسلة الطويلة التي نخرت الجسم الاسلامي ومكنت عدوه منه وكانت أفك به من كل حرب صليبية وغارة تترية ووحشية أوروبية .

فلأعرض على القارئ مشهداً صغيراً مما جرى في المربد من هذه الحرب ليحمل باقي المشاهد عليه :

خرجت السيدة عائشة مطالبة بدم عثمان ، نائمة على خلافة علي ، ومعها مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين وأنصاراً ، منهم الزبير وابنه ، وطلحة وابنه ، ونفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم ، وآخرون غير هؤلاء ، فقصدت البصرة لأن لها فيها نفراً على رأيها .

وكان على البصرة عثمان بن حنيف والياً لعلي ، وقد مهدت لأمرها
بكتب أرسلتها إلى رؤساء البصرة وساداتها فأجابها قليل وردّ عليها
قوم وحديد قوم . بعد هذا التمديد القصير أنقل وصف هذا المشهد
معتمداً على ما جاء في تاريخ الطبري :

« أقبلت عائشة فيمن معها حتى إذا انتهوا إلى المربد ودخلوا من
أعلاه ، أمسكوا ووقفوا وتلقاهم الناس حتى لو رموا بججر ما وقع
إلا على رأس إنسان . وخرج عثمان أمير البصرة لعلي فيمن معه ، ولحق
بعائشة من أهل البصرة من شاء حتى غص المربد بالناس واحتل طلحة
والزبير وجمعهما بميمنة المربد واحتل عثمان بمن معه ميسرته . فوقف
طلحة يتكلم فأنصتوا له :

فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد
وما استحلّ منه بقتل عثمان الخليفة ، وعظم ما أتى إليه . ودعا إلى
الطلب بدمه وقال : إن في ذلك إعزازاً لدين الله عز وجل وسلطانه ،
وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه من حدود الله ، وإنكم إن
فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن
لكم نظام . وتكلم الزبير بمثل ذلك ، فقال من بميمنة المربد وكانوا
يحطبون في جبل الخارجين على علي : « صدقا وبراً وقالوا الحق وأمرنا

بالحق . « وقال من في ميسرته : « فجرا وغدرا وقالوا الباطل وأمرنا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان . » وتحاثى الفريقان وتحاصبوا وأرهبوا^(١) .

فتكلمت عائشة وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة فحمدت الله وأثنت عليه وقالت : « كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويؤزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقياً وفيما ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يظرون . فلما قووا على المكاثرة كاثروا ، فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر . ألا إن مما ينبغي - ولا ينبغي لكم غيره - أخذ قتل عثمان رضي الله عنه وإقامة كتاب الله عز وجل وتلك : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ^(٢) . »

(١) تحاثى : ترامى ، والحنى : التراب . تحاصبوا : تراموا بالخصبة :

وهي الحجارة . وأرهبوا : أثاروا الرهج وهو الفبار .

(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ٢٣ .

فماج الناس وافترق أصحاب عثمان بن حنيف بعد سماعهم ما تقدم
فوقتين: فقالت فرقة: « صدقت والله وبرت وجاءت والله بالمعروف. »
وقال الآخرون: « كذبتم والله ما نعرف ما تقولون. » فتحاثوا
وتخاصبوا وأرهبوا . . .

أوقعت هذه الخطب الانقسام في جماعة عثمان نفسه ، ولما رأت
عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا
من المربد في موضع الدباغين . وبقى أصحاب عثمان على حالهم
يتدافعون حتى تحاجزوا ومال بعضهم إلى عائشة وبقى بعضهم مع
عثمان . وأتى عثمان فيمن معه حتى إذا كانوا على فم السكة سكة
المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذ عليهم بفمها .

كاد الأمر يقف عندهذا ، فإن أصحاب عائشة ما أرادوا
حينئذ قتالاً ، ولكن جماعة في أصحاب عثمان - ولعل أكثرهم ممن
اشترك في دم الخليفة الشهيد - تعجلوا الحوادث وأرادوا بدء القتال ،
وكان حكيم بن جبلة على الخيل وهو أول من أقبل يُنشب القتال ،
وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم ، وأمسكوا ليمسك
أصحاب عثمان ، فلم ينه حكيم ولم يُثن ، وقاتلهم ، وأصحاب
عائشة كافروا ، إلا ما دفعوا عن أنفسهم ، وحكيم

يُذَمَّرُ^(١) خيله ويركبهم بها ويقول : « إنها قریش ، ليردینہا
جینہا والطیش . » واقتلوا علی فم السکة . وأشرف أهل الدور
- والموقعة بجوارهم والمربد يومئذ سوق داخلة في البلد حولها البيوت -
من كان له في واحد من الفريقين هوى ، فرموا الآخرين بالحجارة .
وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن فوقفوا
بها طويلاً وثار إليهم الناس حتى حجز الليل بينهم^(٢) .

هذا حادث من حوادث كثيرة وقعت في المربد واستمرت حتى
انتهت حرب الجمل باندحار أصحاب عائشة . ذكرته ليقف القارىء
على صورة من هذه المأساة الفادحة التي كانت وما بعدها سبباً في فرقة
المسلمين وحدث طوائف ونحل يلعن بعضها بعضاً ويحمل بعضها على
بعض ، تتناكر وتتقاذف وترى كل منها أن غير المسلم أقرب إليها
من أهل الطائفة الثانية ، وكثيراً ما استعان بعضها على بعض بالأجنبي
عدوها معاً ، بل كثيراً ما عمل الدخيل على توسيع الشقة بينهما
وقوى بعضاً على بعض وأمدّ الفريقين من وراء وراء ، بالسلاح
والمال إيفنياً جميعاً .

(١) التذمير : الحث والحض .

(٢) ارجع في تفاصيل هذه الموقعة ومعرفة أسبابها ومسببها الحقيقيين إلى
كتابي (عائشة والسياسة) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ هـ

وتمضي عشرات السنين ويصلى العراق بسطوة الحجاج وإرهابه ،
وتشدد الوطأة فلا يكون المتنفس إلا في المربد ، حيث يخطب الناس
الزعيم الثائر عبد الرحمن بن الأشعث قائلاً :

« أيها الناس ! إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة
تضرب به يميناً وشمالاً فلا تلبث أن تموت . » فتقوى بهذا الكلام
نفوس الثائرين إلا رجلاً من بني قشير لا يعجبه كلام ابن الأشعث
فيقول :

« قبح الله هذا ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدم
الغرور^(١) » فيكون أشد على الحجاج من ابن الأشعث إذ أراد التي
هي أحزم .

كان في المربد إذن أدب وتجارة وحرب^(٢) وسياسة كما كانت في
عكاظ . وأستطيع أن أقسم الكلام على المربد أقساماً ثلاثة كان

(١) الكامل للمبرد ١/١٥٩ .

(٢) ثم كان مسرحاً لفتن قبلية يذكر إحداها الفرزدق مفتخراً :

عشية . سال المربدان كلامهما عجاجة موت بالسيرف الصوارم

والمربد واحد لا اثنان وإنما أراد الفرزدق: المربد وما يليه مما جرى جراه
والعرب تفعل هذا في الشبثين جرياً في باب مجرى واحداً . — الكامل للمبرد
ص ٨٢ طبعة ليدن .

شأنه في كل منها مختلفاً . أما الأول فعلى عهد الراشدين إذ كان يقتصر أمره على التجارة غالباً وإن لم يعدم يوماً أن كان ساحة حرب ومسرح مأس . وقد عرفنا مما ذكر الطبري أن به موضعاً للباغين . فالمربد إذن سوق البصرة أيام الراشدين وأغلب ما يتساجر فيه التمر وما إليه والإبل والسلاح والغنائم مما كان يقسم على المحاربين ، فيبيعه هؤلاء في المربد .

ثم يأتي العهد الثاني أيام الأمويين وقد اتسعت السوق وكثر قاصدوها من الأطراف وازدهت بالشعراء والأدباء والعلماء ووفود القبائل ، مما لم يكن في العهد الأول ، لانشغال الناس آنسذ بالجهاد والفتوح ، وعدم فراغ هذه الألوان من الأدب التي لا تغزر وتتهياً إلا بعد استتباب حال الدولة ، ولم نعهد حركة أدبية نشأت إبان الفتوح حين تتأسس الدول .

وازدان هذا العهد بأفجل رجآز وشعراء أخرجهم العهد الأموي وأخص بالذكر جريراً والفرزدق والأخطل والبعيث ، وراعي الإبل وذا الرمة ، ومن الرجآز رؤبة وأباه العجاج وأبا النجم العجلي وهذا الفريق .

أما في العهد الثالث أي بين آخر العصر الأموي والقرن الثاني

للهجرة ، فقد نضجت حركة المربد الأدبية والعامية نضجاً يتسقى هو وما وصلت إليه الدولة من حسن الحال وسعة الأفق ومرافق الحضارة وبسطة العلم وسعة السلطان . وكان من أبطال المربد أكابر النجاة ورواة الشعر والأدب والشعراء . والذي كان جديداً في هذا العهد ولم يكن قبل ، الناحية العامية وأعني بها ما كان يصنعه أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وقيلهما من غشيان لفصحاء^(١)

(١) كان المربد مدرسة عملية تعلم الفصاحة ويهرع إليه طلابها من كل وجه ونبغ منهم عدد غير قليل ، والنظام والجاحظ من مشهورهم فقد ذكر المؤرخون أن الثاني تلقف الفصاحة شفاهاً بالمربد . وأهل البصرة في الجملة من أفصح أهل الأمصار ، بل إن الجاحظ ليذهب أبعد من ذلك فيزعم أنهم أفصح أهل الأمصار عامة ، ولنا نستطيع أن ننسب هذا منه إلى عصبية لبلده . جاء في كتابه البيان والتبيين (١ : ٣٣ السندوبي) :

[قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : « ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة إنما أهل مكة . » فقال ابن مناذر : « أما ألقاظنا فأحكى الألقاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم :

أنتم تسمون القدر : بُرمة ، وتجمعون البُرمة على برام ، ونحن نقول : قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل « وجفان كالجواب وقدور راسيات . » سورة سبأ . الآية ١٣

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليه ، وتجمعون هذا الاسم على =

الأعراب وصبر على لوتهم وجفائهم ، وتلقف لما ينطقون به .
وإثبات له في الصحف ، يروونه لبني عليه الأساس في وضع
القواعد العربية .

قال صاحب ضحى الإسلام (٢ : ٨٠) وفي قوله إجمال ما قدمت ؛
كان المربد في عصر الخلفاء الراشدين والامويين مركزاً سياسياً
وأديباً ، نزلت فيه عائشة أم المؤمنين بعد مقتل عثمان تطالب
بدمه وتؤلب الناس على علي ، وكان المربد مركزاً للمهاجرة
بين جرير والاخلطل والفرزدق ، وأنتج ذلك نوعاً من أقوى
الشعر الهجائي كالذي تقرأه في النقائض ، وكان لكل من هؤلاء
الشعراء حلقة ينشد فيها شعره ، وحوله الناس يسمعون . جاء
في الاغاني « وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى
المربد في البصرة . »

واستمر المربد في العصر العباسي ، ولكنه كان يؤدي غرضاً

= علاي ونحن نسبه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف ، وقال الله تبارك وتعالى :
« غَرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غَرْفٌ مَّبْنِيَةٌ » الزمر ، الآية ٢٠ وقال :
« وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » سبأ ، الآية ٣٧

وأنتم تسمون الطلع : الكافور والاغريض ، ونحن نسبه الطلع وقال
الله عز وجل : « وَتَخَلَّ طَلْعُهَا فَضِيمٌ » الشعراء ، الآية ١٤٨
فعدت عشر كلمات ولم أحفظ أنا منها إلا هذا . [

آخر غير الذي كان يؤديه في العهد الاموي ، ذلك أن العصية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب ، وأحس العرب بما هم فيه جميعاً من خطر من حيث هم أمة لا فرق بين عدنانيتهم وقحطانيتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا المقاومة ، فقوي نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أروهم ، وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب إلى حياة الفرس منها إلى حياة العرب ، وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والاخلط ، وظهرت العلوم تزاحم الادب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الإسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدي غرضاً يتفق (هو) وهذه الحياة الجديدة .

أصبح المربد غرضاً يقصده الشعراء لاليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج إلى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج إلى المربد اللغويون يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون .
روى القالي في الامالي عن الاصمعي قال : « جئت إلى أبي عمرو ابن العلاء فقال لي : من أين أقبلت يا أصمعي ؟ » قلت : « جئت من المربد » ، قال : « هات ما معك » فقرأت عليه

ما كتبت في الواحي ، فربه ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في
الدرجة وقال : « شمّرت في الغريب » أي غلبتني .

والنحويون يخرجون إلى المربد يسمعون من أهله ما يصحح
قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة
ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد
لمدرسة البصرة هو المربد^(١) ، وفي تراجم النحاة نجد كثيراً منهم كان
يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الابداء إلى المربد يأخذون
الادب ، من جعل بليغة وشعر رصين وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب
البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ : إن الجاحظ أخذ
النحو عن الاخفش ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقّف الفصاحة من
الاعراب شفاهاً بالمربد « ١ هـ

وكما كانت عكاظ يؤمها كل من أراد أن يفتخر أو يعلن أمراً
تفرد به أو يشيع في الناس مآثرة أو خبراً ، كان المربد كذلك

(١) قلت : أقام الكوفيون «سوق كُناسة» بالكوفة لتقوم لهم بما يقوم المربد
للبريين فلم يفلحوا ولم تذكر سوقهم قط ولا قصدها مثل من يقصد البصرة من
فصحاء العرب وخطبائهم وشعرائهم ورجازهم ، بل كانت إلى إفساد اللغة أقرب
- انظر كتابي « في أصول النحو » ص ١٩٠ (طبعة ثانية) .

منشرة للمحامد والمساوى ، منسرة الصديق وغيظ العدو ، فكل من أراد أن يكتب خصماً أو يحقر قبيلة أو يشهر محمداً طلب لها المربد يجعلها فيه ، لتكون أشيع وأسير وأبلغ في الإرضاء والاعاظة . وقد كان المربد مسرحاً لدعوات سياسية ودينية واستغاثات وشكوى وورثاء وفخر كما كانت عكاظ . وأحفل ما كان المربد ، في النصف الثاني لعهد الأمويين والثالث الأول لعهد العباسيين . فلأشعر في عرض مناظر تكمل الصورة التي وصفت ليكون القارئ ملماً بجميع ما يعرض ويجري في المربد على اختلاف المناحي والغايات ، وقد تقدمت صورة على عهد الراشدين وهي حرب الجمل . ولأريب في أن المربد لم يستفحل أمره وتعدّد مقاصده إلا فيما بعد ، في الزمن الذي ذكرت لك من أيام بني أمية وبني العباس .

* * *

١ - عوز بقر

عبد مكاتب لبني منقّر ، ضاقت حاله ولم يقدر على حيلة يجمع بها المال لسيده حتى يعتقه ، فلما عمي بالأمر أتى قبر غالب أبي الفرزدق ، فضرب قبة له علامة الاستعاذة والاستغاثة ، فقدم الناس فأخبروا الفرزدق أنهم رأوا ناء على قبر غالب أبيه .

قصد المكاتب المربد وتقصّى الحلقات حلقة حلقة ، حتى وقف على حلقة الفرزدق حيث يجلس فقال :

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعدما خشيت الردي أو أن أردّ على قسّر
فضاطبني قبر ابن ليلي وقال لي : فكأكك أنت تلقى الفرزدق بالمصر
فقال له الفرزدق : « صدق أبي ، أنسخ أنسخ . » ثم طاف على الناس حتى
جمع له كتابته وفضلاً فضل المكاتب ، فانصرف وقد أنجح مسعاه .

٢ - مجنون في حب

كان بالبصرة مجنون قاعد على ظهر الطريق بالمربد ، فكلمها مر به وركب قال :
ألا أيها الركب اليانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نساندكم هل سال نعمان بمدكم وحبّ إلينا بطن نعمان واديا
فسألت عنه ، فقيل : هذا رجل من البصرة ، كانت له ابنة غم يجهله
فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها ، فاستوله عليها^(١) .

٣ - إنزهاب مال

كان زياد قد نهى أن يُنهب أحد مال نفسه ، وكان الفرزدق أنهب ماله
بالمربد . وذلك أن أباه بعث معه إبلا ليبيعهما فباعها وأخذ ثمنها . فعقد عليه
مُطْرَفٌ خَزَنٌ كان عليه ، فقال قائل : « لشدّ ما عقدت على دراهمك هذه ،
أما والله لو كان غالب ، ما فعل هذا الفعل ا ، »

فعلها الفرزدق ثم أنهبها وقال : « من أخذ شيئاً فهو له . »
وبلغ ذلك زياداً فبالغ في طلبه فهرب ، فلم يزل زياد في طلبه ، قد بلغ
منه كل مبلغ ليعاقبه على ما صنع ، وقد نهى زياد في ذلك ألا يفعله أحد .

(١) الأمال ٢ : ١٢٦ . والوله : ذهب العقل من حزن ، والحيرة والخوف .

وكان زياد إذا قال شيئاً ونفى به . فلم يزل في هربه ذلك يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زياد^(١) .

٤ - غلام نجبل الفرزدق

كان الفرزدق بنشد شهره بالمريد والناس يجتمعون حوله إذ مر به الكعبيث وهو غلام فوقف ، فقال له الفرزدق : « ليسرك أني أبوك ؟ » فقال الغلام : « أما أبي فلا أريد به بديلا ، ولكن يسرني لو كنت أمي ليدوق أبي عسيئلتك ! » فقال الفرزدق : « اكتمها على عمك يابن أخي فما مر بي مثلها^(٢) » .

٥ - تهريب دور الريحانيين

كان للبصرة وال متنسك يروى عنه الفقه ، اسمه الحارث بن عبد الله المخزومي ولقبه القُبَاع^(٣) بلغه ما يكون في المريد من الشر بين جرير والفرزدق وبين حبيبتها بسببهما ، ولما رأى أنها غير منتهيتين عن ذلك ، أراد أن يخطو الخطوة الحاصية بحزم ، فأمر بالدار التي ينزلها جرير في المريد والدار التي ينزلها الفرزدق في المقبرة فهدمتا .

وكان القُبَاع قد أراد هدم دار الفرزدق قبل هذه المرة أيضاً في شيء بلغه ، ثم إنه كلّم فيه وهرب الفرزدق .

(١) النقاظ ص ٦٠٧

(٢) المستجاد من فعلات الاحواد ص ٢٤٦ . المسيلة : ماء الرجل ، أو حلاوة الجماع .

(٣) القُبَاع : المكبال الضخم . ولقب الحارث بن عبد الله والي البصرة بالقُبَاع لانه اتخذ

ذلك المكبال لهم ، أو لانهم اتوه بمكبال لهم حين وليهم فقال : « إن مكبالكم هذا

لقُبَاع » - القاموس .

ويظهر أن هذا الجزاء كان شديداً قد بلغ من نفسي الشاعر بن مبلغاً ، حتى
إن الفرزدق بعدها خنع وقلت فقال :

أحارثُ داري مرتين هدمتها و كنت ابن أخت لا تخاف غوائله
وأنت امرؤ: بطحاء مكة لم يزل بهـا منكم معطي الجزيل وفاعله
فقلنا له : لا تشمتن عدونا ولا تفس من أصحابنا من نواصله
فقبلك ما أعيت كاسر عينه زياداً فلم تقدر علي حبائله
فأقسمت لا آتيه سبعين حجة ولو نشرت عين القباع وكاهله
وقال جرير في ذلك :

أحارثُ خذ من شئت منا ومنهم ودعنا نفسُ بجداً تعد فواضله
فما في كتاب الله تهديم دورنا بتهديم ماخور خبيث مداخله

٥ - هجاء البليسي

كان الفرزدق قد أكثر من هجاء « باهلة » حتى عيت هذه القبيلة بأمرها
وكان بما قال فيهم :

أباهل لو أن الأنام تنافروا علي : أيهم شره قديماً والأُم
لفاز لكم منها لثيم عليهم ولو كانت العجلان فيهم وجرم
وقال أيضاً :

ألا كيف البقاء لباهلي هوى بين الفرزدق والجمي
أنت إذا نسبت لباهلي بالأُم من تركض في المشيم^(١)
وهل يستطيع أبكم باهلي زحام الهاديات من القروم^(٢)
فلا يأت المساجد باهلي وكيف صلاة مرجوس رجم . الخ

(١) المشيم : محل الولد في الرحم .

(٢) الهادي: المتقدم ، والهوادي من الإبل أول رعييل يطلق منها. والقروم: الفحول.

إلا أن الله أراد أن يرحمهم ، فساق الفرزدق يوماً إلى المربد ، فلقى رجلاً قال له حمام من موالي باهلة ، ومعه نِحْيٌ من سمن يبيعه .

فسامه الفرزدق إياه فقال له : « أدفعه إليك وتمب لي أعراض قومي ! » قال وقال يجب له أعراض قومه ويهبو إبليس :

ألا بشرًا من كان لا يملك استه	ومن قومه بالليل غير نيام
يخافون هني أن بصك أنوفهم	وأقفاهم إحدى بنت صام ^(١)
لعمرى انعم النحْيُ كان لقومه	عشية عبّ البيع نحي حمام ^(٢)
اطعتك يا إبليس سبعين حجة	فلما انتهى شبي وتم تمامي
فردتُ إلى ربي وأيقنت أنني	مُلاقٍ لأيام المنوث حمامي
لا طالما قد بت يوضع ناقني	أبو الجن إبليس بغير خِطام
ظل يمتيني على الرَّحْلِ واركأ ^(٣)	يكون ورائي مرة وأمامي...
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي	رضاء ولا يقنادني بزمام
سأجزيك من سوءات ما كنت سقتني	إليه جروحاً فيك ذات كلام ^(٤)
وإن ابن إبليس وإبليس ألبنا	لهم يعذاب الناس كل غلام ^(٥)
ما تفلأ في في من فمويها	على التابع العاوي أشد رجام ^(٦)

-
- (١) العمام الداهية الشديدة . يقال صمي حمام أي زيدي يداهية .
 (٢) النسي : الزق وقيل ما كان للسن خاصة . والعب : الكروع وتتابع الثرب .
 (٣) الوارك : المتمد على وركه ، والورك : ما فوق الفخذ .
 (٤) الكلام : الجروح .
 (٥) لبن القوم : مقام اللبن ، ولبن القوم : كثر عندم اللبن ، ومن الجاز : لهما والحجر : ضربه .
 (٦) الرجام : الحجارة .

٦ - جرير بهجو قبيلة

بنو العم قبيلة ليست من صميم العرب « نزلوا ببني تميم في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال الناس : « أنتم وإن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والاخوان وبنو العم . » فلتقّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب . إلا أن الاسم الذي سُمّوا به يحمل في تضاعيفه سمة قوم لصفاء ، فكان فيه بعض الغضّ منهم وكانوا يُخربون مثلاً في رقة النسب وضعف الوشيجة حتى قال كعب بن معدان بهجو بني ناجية ويعرض بنسبهم في قريش :

وجدنا آل سامة في قريش كمثل « العم » بين بني تميم
حضرت هذه القبيلة المربد وقد تواقف للهجاء جرير والفرزدق ، يردّ هذا على ذلك ووراء كل قبيلته وحزبه ، فهاج الشر واقتلت القبيلتان : بنو يربوع قوم جرير ، وبنو مجاشع قوم الفرزدق ، فأمدت بنو العم بني مجاشع وجاؤهم وفي أيديهم الحشب فطردوا بني يربوع « فقال جرير : « من هؤلاء ؟ » قالوا : « بنو العم . » فقال جرير بهجوهم ويعرض بالفرزدق وأنصاره الوضيعين هؤلاء :

ما للفرزدق من عزّ يلوذ به إلا بني العم في أيديهم الحشب
سيروا بني العم فالأهواز داركم ونهر تيرى ولم تعرفكم العرب^(١)

٧ - والفرزدق لعبي

جرير والفرزدق ملأا المربد بأشعارهما ونقائضهما وظلالاً حديث أهلها ما عاشا . لا يألوا أحدهما جهداً في خلق ما يعير صاحبه به ، فهما أبدأ

(١) الاغانى ٣ : ٢٥٧ (دار الكتب) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز . ونهر تيرى من نواحي الأهواز .

اثبان في أن يجدا من كل شيء موضوعاً للهجاء ، ألف منها ذلك أهل المربد عامة . وكانت لكلِّ حلقة يلاً فيها ما ضغينه فخرأ بقبيله وهجاءً لقييل خصه ، وكانت عبقريتهما البعيدة الغور تفتق لهما من الشعر ألواناً تشغل بها السامعين من البدو والحضر .

هذا جرير ، وقف بالمربد وقد لبس درعاً وسلاحاً تاماً وركب فرساً اعاره إياه أبو جهضم عبّاد بن حصين الحبطي . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسواراً وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير ، والناس يسعون فيما بينها بأشعارهما . فقال الفرزدق وقد وجد في لباس جرير السلاح والدرع ، مادةً لهجائه :

وإن كليباً إذ أتني بعدها	كمن غرته حتى رأى الموت باطلة
رجوا أن يردوا عن جرير بدرعه	نوافذ ما أرمي وما أنا قائله
عجبت لراعي الضأن في حطّميّة	وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
وهل تلبس الحبلي السلاح وبطنها	إذا انتطقت عبء عليها تعادله
أفاخ وألقى الدرع عنه ولم أكن	لألقي درعي من كميّ أقاتله
تركنا جريراً وهو في السوق حابس	عطية : هل يلقى به من يبادله
فقالوا له وُدّ الحمار فإنه	أبوك لثيم رأسه وجحافله
وأنت حريص أن يكون مجامع	أباك ولكنّ ابنه عنك ساعله ^(١)
وما ألبسوه الدرع حتى تزيّلت	من الحزبي دون الجلد منه مفاصله

ولما بلغ جريراً أن الفرزدق في ثياب وشي اهتبلها فرصة فقال :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا ككُرّج وجلاجله^(٢)

(١) النقائض صفحة ٦٢٣ . الحطمية : الدرع . أفاخ : تفاجّ وفتح فخذه وفسا وعطية : أبو جرير . والجحافل للخيل والبغال والحمير : بمنزلة الشفة .
(٢) الكرج : المهر . (معرب) .

فعرف كيف يصوب السهم ويحكم الضربة ويفوز بإضحاك الناس من خصمه الفرزدق : اللعبة .

٨ - ضميمه بين فعلين

هاجى جرير ثمانين شاعراً ، وكان عمر بن لجأ أحدهم ، وكان جرير قد هجاه بقوله :

يا تيمُ تيمَ عديّ لا أبا لكم لا يَقتدِ فتَكمُ في سوءةٍ عمر
أحين صرتُ سماماً يا بني لجأ وخاطرتُ بي عن أحسابها مضر^(١) ..

فبينما جرير واقف بالمربد وقد ركبته الناس وعمر بن لجأ موافقه يتهمياً للردّ عليه ببنيته ، هدأت الضجة فقال عمر هذين البيتين وكان قد رفده بها الفرزدق :

لقد كذبتَ وشر القول . أكذبه ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
ألبست فروة خوّار على لؤم لا يسبق الخلبات اللؤم والخور
سمعها جرير ففكر ثم فطن الأمر فقال : « قبحاً لك يا بن لجأ ، أهذا شعرك ؟ كذبت والله ولؤمت ، هذا شعر حنظلي ، هذا شعر العزيز (يعني الفرزدق) . » فأبلس عمر وما ردّ جواباً .

وكان في الحلقة غنيم بن أبي الرقراق فطار حتى أتى الفرزدق فضحك له وأخبره الخبر ، فاستلقى الفرزدق يضحك حتى فحص الأرض برجليه ، وقال في ساعته يريد عمر بن لجأ ، هذا الذي دخل بين فحلين فسقط مطرْحاً بين أقدامهما :

(١) الهمام : جمع سم . وخاطر : راهن . والحسب : مفاخر الآباء .

وما أنت إن قرّما تميم تساميا أخا التميم إلا كالوشيطنة في الغرم^(١)
فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه ظلمت ولكن لا يدي لك في الظلم
ويرجع الخبر بذلك إلى جرير فتنبسط أساوره وبعلوه البشر إذ سمع هذين
البيتين ، ورأى لأول مرة كلمة إنصاف من ذلك الذي ملأ عليه الأرض
هجاءً وشرّاً فيقول :
« ما أنصفني في شعر قط قبل هذا . » يعني قوله (إن قرما تميم تساميا) .

٩ - الحكم في تنافر شاعرين

[لما دخل رسول الله ﷺ مكة قتلت بنو سليم وهم من قيس ، مقتلة من
بني فهر وبني كنانة .
فلما وجه معاوية في خلافته بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي ، نهضت
وجوه قيس إلى معاوية وقالوا :
« نسألك بالله والرحم ألا تجعل بسر على قيس سلطانا فيقتل قيساً بمن قتلت
بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم فتح مكة . » فقال معاوية : « يا بسر ليس
لك سلطان على قيس . »
سار بسر حتى أتى الطائف فقالت له ثقيف : « مالك علينا سلطان ، نحن
من قيس . » فسار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام ، فتحصنت
فيه همدان ثم نادوا : « يا بسر نحن همدان وهذا شبام . » فلم يلتفت إليهم ،
حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم فكان أول
مسلمات سبين في الاسلام . ومر بجي من بني سعد نزول بين ظهري بني جمدة

(١) الوشيطنة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم ، وم وشيطنة في قومهم : حشو
ذمهم ، والدعي لا يدخلونه عادة في الغرم .

بالفليج (موضع لبني جمدة بنجد) فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم
وأسر فقال أوس بن مفرأ في ذلك :

مُشرين ترعون النجيل وقد غدت بأوصال قتلاكم كلاب مزاحم^(١)
فقال النابغة الجعدي بحبيبه :

متى أكلت لحومكم كلابي أكلت يديك من جرب تهام

وهاج الشعر بين الشاعرين لما كان بين القبيلتين من ذحول وعداوة . ولم
يكن أوس مثل النابغة ولا قريباً منه في الشعر . فقال النابغة : « لاني وإياه
لنبتدر بيتاً أينا سبق إليه غلب صاحبه » فلما بلغه قول أوس :

لعمرك ما تبلى سراييل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها

قال النابغة : « هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه . » فغلب أوس عليه . [

كان مفهوماً أن يناضل كل شاعر عن حيه ويدفع عنه ما يلصقه خصمه
به ، فتأرث الهجاء بين النابغة وأوس ، واستطال أوس بنسبه إلى معد ،
ثم كانت الحكومة بين الشاعرين في المربد : سوق العرب في الاسلام . وهذه
رواية الأغاني في القضاء بينها :

اجتمع النابغة الجعدي وأوس بن مفرأ في المربد ، فتنافرا وتهاجيا ،
وحضرهما العجاج والأخطل وكمب بن جعيل ، فقال أوس .

لما رأيت جمدة منا وردا ولتوا نعاماً في البلاد رُبدا^(٢)
لأن لنا عليكم معداً كأهلها وركنها الأشدا

فقال العجاج :

كل امرئ يعدو بما استعدا

(١) الشر : الباسط ثوبه في الشمس ، والنجيل : جنس من الخس .

(٢) الورد : الجيش . والربد : جمع ربداء وهي النعامة المختلطة السواد .

وقال الأخطل يعين أوس بن مفرأ ومجكم له :
وإني لقاض بين جعدة عامر وسعد قضاء بيتن الحق فيصلا
أبو جعدة الذئب الخبيث طعامه وعوف بن كعب أكرم الناس أو لا
وقال كعب بن جعيل :
إني لقاض قضاء صوف يتبعه من أم قصداً ولم يعدل إلى أود^(١)
فصلاً من القول تآتمّ القضاة به ولا أجور ولا أبغي على أحد
(ثالث) بنو عامر سعداً وشاعرها كما (تنال) بنو عيس بني أسد^(٢)
وهكذا باء النابغة على فحولته بشرّ ما يبوء امرؤ إلى أهله ، وفاز أوس
بمحكمة هؤلاء القضاة غير العادلين .

١٠ - نمر سخف

تكوّف جماعة بمربد البصرة على الشاعر ذي الرمة ، وهو قائم وعليه برد
قيمته مثناً دينار . فاجتمعوا إليه وهو ينشد ودموعه تجري على لحينه حزناً
وأسفاً على عهد صاحبه خرقاء :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب ... الخ

* * *

بيننا ذو الرمة بالمربد والناس يجتمعون إليه ، إذا هو بخياط يقف ويقول :
« يا غيلان » (اسم ذي الرمة) :

أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً من الجهل : « هل كانت بكنّ حلولاً ؟ »
فقام ذو الرمة وفكر زماناً ثم عاد فقمعد في المربد ينشد فإذا بالخياط قد

(١) أم : قصد ، الاود : العوج والميل .

(٢) الاغاني ١٣١/٤ وفيها كلمة قبيحة مكان (ثالث) ، (تنال) .

وقف عليه ، وكان ذو الرمة قد قال في خرقاء صاحبتة هذين البيتين المشهورين :

أياظية الوعاء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم
هي الشبه ، لولا مدرباها وأذنها سواء وإلا مشقة في القوائم^(١)
فقال الحياض يعرض بهذين البيتين وبسخر من تشبيهه هذا :

« أنت الذي شبت عنزاً بقفرة لها ذنب فوق استها أم سالم
وقرنان إما يلزقانك يتركا بجنبك يا غيلان مثل المواسم
جعلت لها قرنين فوق شواتها^(٢) ورباك منها مشقة في القوائم ،
فجعل ذو الرمة وبهت ، وقام فذهب . ولم ينشد بعدها في المربد حتى
مات الحياض^(٣) .

١١ - إهدام قبيلة

كان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائها حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها ، وكان الراعي قد ضخم أمره ، وكان من شعراء الناس ، فدخل في المنافرة بين جرير والفرزدق وقضى على الأول للثاني وكان فيما قاله :

يا صاحبي دنا المسير فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا
وقال :

رأيت الجحش جحش بني كليب تيمم حوض دجلة ثم هابا .
(يعني جريراً) .

(١) الوعاء : رابية من رمل لينة تبت أحرار البقول . والنقا من الرمل : القطعة
تغاد عدودة . المشقة : التفريج في قوائم ذات الحافر . المدري : القرن ، والمنط .

(٢) الثوى : قحف الرأس .

(٣) الاغانى ١٦ : ١١٤

فلما أكثر الراعي من ذلك قال جرير لرجال من قومه : « هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم . »

(١)

ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابته لئلا يعلم به أحد ، فتعرض للراعي يريد أن يلقاه من حيال حيث كان يمر إذا انصرف من مجلسه بالبريد . فرى الراعي على بغلته وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى ، وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض الأمر . فلما استقبل جرير الراعي قال له : « مرحباً بك يا أبا جندل . » ، وضرب بشماله على معرفة بغلته ، ثم قال يا أبا جندل : « إنك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً وهو ابن عمي دونك ، فإن كان لابد من تفضيل فأنا أحق به لمدهي قومك وذاكري إياهم . ويكفيك من ذلك إذا ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ولا تحتل مني ولا منه لائمة . » فبينما جرير كذلك أقبل ابن الراعي جندل ، حتى ضرب عجز دابة جرير حتى كاد يقطع وإصبع رجله وقال لأبيه : « لا أراك واقفاً على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً . » وضرب البغلة ضربة فرحت جريراً رجة وقعت منها قلنسوته ، قال جرير : « فوالله لو عرّج عليّ الراعي لقلت سفية غويّ (يعني جندلاً ابنه) ولكن لا والله ما عاج ، فأخذت قلنسوتي فسحبتها ثم أعدتها على رأسي . »

فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء بمنزله في عليّة له قال : « ارفعوا لي باطيّة من نبيذ وأسرجوا لي . » ففعلوا . فجعل يهجم ، فسمعت صوته عجوز في الدار ، فاطلعت في الدرج حتى نظرت إليه فإذا هو : يجبو في الفراش عرباناً ، لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : « ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا . » فقالوا لها : « اذهبي لطيتك ،

نحن أعلم به وبما يمارس . « فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو
يكبر : قد قالها ثمانين بيتاً في تَمَيُّر ، فلما ختمها بقوله :
فغض الطرف إنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
كبر ثم قال : « أخزيتك ورب الكعبة . »

(٢)

ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ،
وكان يعرف مجلسه وجلس الفرزدق دعا بدهن فادّهن ، وكفّ رأسه ،
وكانت حسن الشعر ثم قال : « يا غلام أسرج لي . » فأمرج له حصاناً .
ثم قصد مجلسهم ، حتى إذا كان موقع السلام قال : « يا غلام . » ولم يسلم :
« قل لعبيد : أبعثك نسوتك تكسبن المال بالعراق ؟ أما والذي
نفس جرير بيده لترجعنّ إلى أهلك بيمر بسوؤهن ولا يسرهنّ ، أما أنا
فقد بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد ، فلا يسبهم أحد إلا سببته .
وإن علي نذراً : إن جعلت في عينيّ غمضاً حتى أخزيتك . » ثم اندفع
جرير في قصيدته :

أقليّ اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

فأنشدها فنكّس الفرزدق وراعي الإبل ، وأزمّ القوم ، حتى إذا
بلغ قوله :

بها برص بجانب إسكتيما . . .

وضع الفرزدق يده على فيه ، وغطّى عنفقه لئلا يظن جرير فيخزيه
في مجلسه ذاك ، فظن لها جرير فأتمّ البيت هكذا وكان الفرزدق
لقنه آياه :

بها برص بجانب إسكتيمها كعنفة الفرزدق حين سابا^(١)

ولعله في الأصل على غير ذلك . فانصرف الفرزدق وهو يقول : « اللهم
أخزّه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكن
ظمعت بالسلامة فغطيت وجهي فما أغناني ذلك شيئاً . »

واسترسل جرير في الإنشاد حتى بلغ قوله مخاطباً الراعي :

ففضّ الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فأسقط في يد الراعي وبني غير عامة . وقال الفرزدق : « غصّه والله فلا
يجيبه ولا يفلح بعدها أبداً^(٢) . »

وسرعان ما تناقل هذا البيت أهل المربد ، وانفضّ المجلس عليه . وسار
الراعي فوجد البيت سبقه إلى أهله وقومه فاستحمها ورحل .

وهكذا انطفت قبيلة نمير آخر جمرات العرب في المربد ، أمام هذا
المحفل الحاشد ، على يد جرير الشاعر .

١٢ - رد عمروان

قدم معن بن أوس المزني (البصرة) فقعده ينشد في المربد . فوقف عليه
الفرزدق وأراد العبث به فقال : « يا معن ، من الذي يقول :

لعمرك ما مزينة رهط معن بأجفان تطاق ولا سنام^(٣) »

(١) الإسكة : جانب فرج المرأة ، وهما إسكتان . والمنفة : شعرات بين
الشفة السفلى والذقن .

(٢) الاغاني ٤٧/٧

(٣) من معاني الجفن : الشجر الطيب الريح .

فقال معن : « أنعرف يا فرزدق من الذي يقول :
لعمرك ما تميم أهل فلانج بأرداف الملوك ولا كرام^(١) ،
فراه الفرزدق صلباً فتصل وقال له : « حسبك إنما جرتبتك . » فأجابه
معن بلهجة الحازم : « قد جرتبت وأنت أعلم . » فانصرف وتركه .

١٣ - سرطنة

كان المربد إلى ذلك يفسح مجالاً لمتعصبة الشعوبية وأراذلهم ، فينالون من
الحسب الزاكي والأصل الكريم ويتطاولون ، وكانوا يدسون سمومهم في
أفكار الموالى والعييد قال الاصفهاني :

« وقف رجل من بني زيد شريف ، لا أحب أن أسميه ، على بشار
فقال له : « يا بشار ، قد أفسدت علينا موالينا ، تدعوهم إلى الانتفاء منا
وتزغهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكي الفرع ولا
معروف الأصل . » فقال له بشار :

« والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولقرعي أزكى من عمل الأبرار ،
وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه . ولو شئت أن أجعل جواب
كلامك شعراً لفعلت ، ولكن موعدك غداً بالمربد . » فرجع الرجل إلى
منزله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المربد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد
المربد فإذا رجل ينشد :

شهدت على الزيدي أن نساءه

(وأنحش بشار في تمة البيت) فارتاع الشريف وسأل ممن قال هذا

(١) الردف : الرديف وكل ما تبع شيئاً فهو رده .

البيت فقيل له : « هذا لبشار فيك . » فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المربد حتى مات .
فانظر في بضاعة المربد هذه ، واعجب كيف ينقبض فيه الاخيار ويتسلط الاشرار !

١٤ - معركة الرهبان

ترك حلبة الشعراء إلى حلبة أخرى أطرف وأظرف ، لان أصحابها ذوو أصول بدوية مقيمون في الحضر . تلك هي حلبة الرجاز أبي النجم العجلي ورؤبة وأبيه ، فننظر كيف يتنافس هؤلاء ، حتى إذا سكنت الريح بينهم أتت قبائلهم فأثارتها وكدرت ما بينهم حتى يعود الشر جذعة كما كان بدأ ، واهل المنظر الذي ستعرضه بعد قليل أروع منظر شهده المربد .

« قال فتيان من عجل لأبي النجم : هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع الناس شعره ، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ » فقال : « أو تحبون هذا ؟ » قالوا : « نعم » قال فانتوني بعس^(٢) من نبيذ فأتوه به فشرب ثم نهض وقال :

إذا اصطبحت أربعا عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني

وأقبل إلى المجلس بالمربد فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال :
« هذا رجاز العرب » وسأله أن ينشدهم فأنشدهم أرجوزته التي أولها :

الحمد لله الوهوب المجزل .

(١) أصل الجذع : ولد الشاة في السنة الثانية والأثني جذعة . وطفت حرب بين قوم

فقال أحدم : إن شتت أعدناها جذعة : يريد من أول .

(٢) المس بالضم : الفدح الكبير .

وكان إذا أنشد أزيد ووحش^(١) بشيابه وكان من أحسن الناس إنشاداً ،
فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أمّ الرجز .

إلا أن هذا الصفاء بين الرجازين واعتراف رؤبة وإقراره بفضل أبي النجم
ورضى هذا عن رؤبة لم يدم طويلاً ، فسُرعات ما أهاج الشرّ بينها
غواة الرجز ، فما لبثا أن فسدا ما بينهما واشتدت المنافسة إلى الغاية . وأنت
إذا أردت أن تستمتع وتسلمي وتستفيد ، فأثر خصومة أو منافسة ،
أو هج شرأين أديبين أو شاعرين أو عالمن ، تجد متعة وطرافة
تنعم بها من حيث شقي الرجال . هذا ما صنع قوم أبي النجم لما
رأوا العجاج (أبا رؤبة وقريب أبي النجم) خرج محتفلاً عليه جبة خز وعمامة
خز ، على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم
قوله : « قد جبر الدين الإله فجبر »

فذكر فيها ربيعة قوم أبي النجم وهجاهم . فانطلق رجل من الناس من
بكر بن وائل يشتدّ عدواً إلى أبي النجم في بيته ، فقال له يستحته وهو
يلهث : « أنت جالس وهذا العجاج يهجوناً بالمربد ، قد اجتمع عليه
الناس ! ؟ » فتحرك أبو النجم وقال : « صف لي حاله وزبته الذي هو فيه . »
فوصف له ، فقال : « ابغني جملاً طحماناً قد أكثر عليه من الهناء^(٢) »
فجاء إليه بجمل كاه قروح وقطرات ، فأخذ أبو النجم سراويله فجعل
إحدى رجله فيها واتزر بالأخرى وركب الجمل ودفن خطامه إلى من
يقوده . فانطلق حتى أتى المربد وقد لحقه ما لا يحصى لما رأوا من الهيئة
الغريبة ، حتى دنا من العجاج في حلقته فقال لقائد جملة : انخل خطامه ، فخلعه

(١) أي رمى بها .

(٢) هنا الإبل : طلاها بالهناء وهو التطران يضمونه منها مواضع الجروح .

وأخذ أبو النجم ينشد أرجوزته :

« تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

والعجاج على ناقته يسع ، ونفسه تحده بشر يصيبه . وجعل حمل أبي النجم يدنو من ناقة العجاج يتشمسها ، والعجاج يتباعد عنه لئلا يفسد ثيابه الحزّ ورحله الثمين الثقيل ، بالفطران . وما زال الجمل يتقرب من الناقة والعجاج يتقهقر حتى وصل أبو النجم في إنشاده إلى قوله :

« شيطانه أنسى وشيطاني ذكر »^(١)

فثارت عاصفة من الضحك والاستحسان من كل صوب وضح بها المربد ، وتعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

١٥ - صحابي بكتاب نبوي

وهذا رجل من ضرب آخر قديم ، أفلت منذ قرن ، ليكون في المربد كما تكون العاديّات في المعارض أو دور الآثار والمصانع :

روى الأصمعي عن يزيد بن عبد الله قال : « بينا نحن بهذا المربد جلوس ، إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس فوقف علينا فقلنا : « والله لكأنّ هذا الرجل ليس من أهل البلد . » قال الأعرابي : « أجل والله . » وإذا معه قطعة من جراب أو أديم فقال : « هذا كتاب كتبه لي محمد رسول الله ﷺ . » فأخذناه فقرأناه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير (حي من عكل) :

إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وقيم الصلاة وآتيم الزكاة وفارقتم

المشركين وأعطيتهم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصفى فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ، لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم .
فقال القوم وقد تكاثروا حوله : « حدثنا أصلحك الله بما سمعت من رسول الله . » قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة من كل شهر ، بذهب وحرّ الصدر . »
فقال له القوم : « أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ » فأثاره شكهم هذا وواعضبه فقال : « أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله ﷺ ، لا حدثتكم حديثاً . » ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع^(١) مديراً .
قال المحدث : فقيل لي لما تولّى : هذا النمر بن تولب العكابي^(٢) الشاعر !

١٦ - ص من محي السبابة

أترك معركة الرجزاز تلك ، وأترك أبا النجم في زهو ظفروه ونشوة

(١) انصاع : انقتل راجعاً مسرعاً .

(٢) كان النمر يسمى الكيس لحسن شعره . وهو جاهلي أدرك الإسلام وهو القائل

لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنا أتيناك وقد طال السفر

نطمعها الشحم إذا قل الشجر

عاش إلى أن خرف وأهتر وكان هجيراًه أن يقول : « أصبحوا الركب ، اغبقوا

الركب » كمادته التي كان عليها . ومن شعره قوله :

لا تفضين - على امرئ - في ماله

وإذا تصبكت - خصاصة - فارج الفنى

وقوله :

وأعلم أن ستدركني المنايا

فإلا أتبعها تبمني

أهتر : خرف . وهجيره : دأبه وعادته . - انظر طبقات الشعراء لابن سلام .

انتصاره وقد سرّه أن يولّي العجاج مدحوراً مقهوراً ، وأن يسري خبر ما صنع واخترع في أسواق البصرة كلها سريان السكراباء ، وأجوز مشهد النمر بن تولب الأعرابي الغريب الزي ، وأقف بالقارىء على مشهد آخر يبعث العبرة ، ويبين من النفس مكانن الثورة فيها والمقت للسياسة وما تجرّه من ويلات :

أوقع الخليفة أبو جعفر المنصور بالحراسانية إذ قتل يعسوبها أباسلم ، وخلص من عمه الذي ناواه ، وبقي عليه أن يستأصل شأفة العلويين الذين لهم في النفوس المكانة البعيدة والتجلّة والاحترام ، فشدّد عليهم وقيدهم وحبس منهم وقتل .

ونحن الذين رأينا بالمربد ، صورة من كل ما يجري فيه حينئذ من دين وأدب ، ومعرضاً لعادات اجتماعية وأساليب تجارية ، سنرى فيه أيضاً جدىّ لما يتردد في أمصار الاسلام إذ ذاك من شدّة على العلويين وتضييق وأخذ بالحناق .

في مربد البصرة سليمان بن علي من رؤوس بني العباس الذين أوقعوا بالعلويين ، وحوله جماعة من أشرف الناس . فإنه جالس مجلسه ، وإذ بكبير العلويين إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب : شيخ عليه أمارات الحزن والمهابة والوقار معاً ، وإلى جنبه المفضل الضبي ، ويمشي مع الشيخ صبيان من ولده قد ضمّهم إليه .

لمح إبراهيم مكان سليمان بن علي فوقف على رأسه وأمامه أطفاله ، وقال بصوت متهدّج تحنّقه العبرة وأشار إلى سليمان :

« هؤلاء منا ونحن منهم ، إلا أنهم فعلوا بنا وصنعوا . . . (وذكر كلاماً يعتدّ عليهم فيه بالإساءة) . . . قال هذا فتحرّكت الرحمة في نفوس السامعين جميعاً لما آل إليه أمر بني علي ، وحدثتهم أنفسهم بشيء على بني العباس وقسوتهم ،

على أبناء عمومته . ثم توجه الرجل لوجهه وتمثل بهذه الآيات :

مهلاً بني عمنا ظلامتنا
لملككم تحمل السيوف ولا
إني لأنمي إذا انتميت إلى
بيض سباط كأن أعينهم
إنا بنا سورة من القلق
نغز أحسابنا من الرق
عز هزيز ومعشر صدق
تكحل يوم الهياج بالعلق^(١)

فقال له المفضل وهو يتبعه : ما أفعل هذه الآيات فإني هي ؟ قال :

« لضرار بن الخطاب الفهري قالها يوم الخندق وتمثل بها علي بن أبي طالب يوم صفين والحسين بن علي يوم قتل ، وزيد بن علي . »

ثم لحق القوم فلم يمض قليل حتى أتاه نعي أخيه محمد قتله رجال أبي جعفر ، فتمثل إبراهيم :

نبئت أن بني ربيعة أجمعوا
إن يقتلوني لا تصب أرماعهم
أرمي الطريق وإن صددت بضيفة
أمرأ خلاهم لتقتل خالد
ثأري ويسمى القوم معيا جاهدا
وأنازل البطل الكمي الجاحدا

سأله المفضل لمن هذه الآيات ؟ فقال : الأحوص بن جعفر بن كلاب

تمثل بها يوم شعب جيلة . ثم لم يلبث أن أقبلت عساكر أبي جعفر واقتتلت مع أصحاب إبراهيم هذا . وقتل من الفريقين من قتل وكاد يكون الظفر لإبراهيم^(٢) .

(١) سورة الفضب : وثوبه وحده . والغمز : العيب . السباط : الحسان القد والاصتواء . والعلق : الدم .

(٢) الاغانى ج ١٧ صفحة ١٠٩ :

وتتمة رواية المفضل هذه : [فلما رأى البياض يقل والسواد يكثر قال لي : « يا مفضل حر كني بشيء يهون علي بعض ما أرى . » فأشدهته :

ألا أيها الناهي فزارة بمدما أجهدت بسير إنفا أنت حام =

١٧ - هل سلمني

قتل بعض بني تميم مسعود بن عمرو العتكي فنهض أخوه زياد بن عمرو لثأره ،
فمهد الحشود في المربد وجعل في الميسنة بني بكر بن وائل وفي الميسرة بني
عبد القيس وبقي هو في القلب .

بلغ ذلك الأحنف بن قيس سيد بني تميم فقال : « هذا غلام حدث شأنه
الشهرة ، وليس يبالي أين قذف بنفسه » ثم ندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر
الغداني وقد اجتمعت بنو تميم فجعلوا سعداً والرباب في القلب ورئيسهم عيس بن
طلق الطعان المعروف بأخي كهس فجعل في القلب بجذاه الأزدي ، وجعل
حارثة بن بدر في بني حنظلة بجذاه بكر بن وائل ، وجعلت عمرو بن تميم

= أبي كل حر أن يبيت بوتره ويمنع منه النوم إذ أتت فائمه
أقول لفتيان المشي تروحووا على الجرد في أفواههم الشكائم
قفوا وقففة : من يحي لم يحز بعدها ومن يجترم لا تقبمه اللوائمه
وهل أنت- إن باعدت نفسك منهم لتسلم - فيا بمد ذلك صالم ؟

فقال لي : « أعد » فتنهت وندمت ، فقلت : « أو غير ذلك ؟ » فقال : « لا ، أعدها »
فأعدتها ، فتطال على سرجه ، وتمطى في ركابه حتى خلته قد قطعها ، ثم حمل فطمعن رجلا
وطمنه آخر ، فقلت : « أتباشر الحرب بنفسك والمسكر منوط بك ؟ » فقال : « الباك عنى
يا أخا بني ضبة ، كأن عويفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول :

ألت خناس وإلامها أحاديث ندس وأسقامها
يانية من بني مالك تطاول في المجد اعمامها
وإن لنا اصل جرثومة ترد الحوادث أيامها
يرد الكتيبة مفولة بها أفنها وبها ذامها

ثم حمل حملة جاءه فيها سهم عائر ، فشفله عنى وكان آخر المهدي به . [اه
ويجترم : يمت شاباً . والافن : ضعف العقل . والذام : الذم .

بجذاء عبد القيس ، فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف :

سيكفيك عبس أخو كهمسٍ .
مقارعة الأزد بالمربد .. الخ

وكان المجتمعون من تميم وباديتهما وحلفائها من الاساورة والزط والسباجية وغيرهم زهاء سبعين ألفاً ، وفي ذلك يقول جرير :

سائل ذوي يمن ورهط محرق والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا

فأناهم سبعون ألف مدججٍ متسرلين يلامقاً^(١) وحديدا

فلما توافقوا بعث إليهم الأحنف :

« يا معشر الأزد وربعة من أهل البصرة ! أنتم والله أحب إلينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو ، وأنتم بدأتمونا بالامس ووطئتم حرينا وحرقتم علينا فدفعننا عن أنفسنا ، ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكتاً ، فتيسروا بنا طريقة قاصدة . »
فوجه إليه زياد بن عمرو :

« تخير نخلة من ثلاث : إن شئت فانزل أنت وقومك على حكمتنا ، وإن شئت فخذلنا عن البصرة وارحل أنت وقومك إلى حيث شئتم ، وإلا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم ، وليؤد مسعود أخي دية المشعرة . » أي : عشر ديات ، كما يورد ابن الموك في الجاهلية .

فبعث إليه الأحنف : « سنختار فانصرفوا في يومكم . »

فجز القوم راياتهم وانصرفوا . فلما كانت الغد بعث إليهم :

« إنكم خيرتمونا خلافاً ليس فيها خيار : أما النزول على حكمكم فكيف يكون والسكلم يقطر دماً ؟ ! وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل ، قال الله عز وجل : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم

ما فعلوه إلا قليل منهم» ، ولكن الثالثة إنما هي حمل على المال فذهن نبطل
دماءنا وندي قتلناكم ، وإنما مسعود رجل من المسلمين ، وقد أذهب الله
أمر الجاهلية .

فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ، ويعمد السيف ، ويودي
سائر القتلى من الأزدي وربيعة . فتضمن ذلك الأحنف ودفع إياس بن قتادة
المجاشعي رهينة حتى يؤدي هذا المال ، فرضي به القوم .

فخر الفرزدق بهذا وعرض بقوم جرير فقال :

لغاري معدّ يوم ضرب المهاجم	ومنا الذي أعطى يديه رهينة
عجاجة موت بالسيوف الصوارم	عشية سال المربدان كلاهما
أذل من القردان تحت المنام ^(١)	هنالك لو تبغي كليباً رأيتها

(١) الكامل للمبرد ٨١/١-٨٣ الفاران : القيلتان العظيمتان ، وأراد بالمربدان
المربد وما حوله .

وتمة الخبر طريفة حقاً بما فيها من نبل ومروءة خالصين ، يروها بطل السلام نفسه
الأحنف قال :

« فكثرت علي الديات فلم أجدها في حاضرة نيم ، فخرجت نحو (يبرين) فسألت عن
المقصود هناك فأرشدت إلى قبة ، فإذا شيخ جالس بفنائها مؤترز بشملة محتب بجبل ، فسلمت
عليه وانتسبت له ، فقال : « ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقلت : « توفي
صلوات الله عليه » قال : « فافعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها . »
فقلت له : « مات رحمه الله تعالى . » قال : « فأبي خير في حاضرتمك بعدهما ؟ »

فذكرت له الديات التي لزمنا للأزد وربيعة فقال لي : « أقم » فإذا راع قد أراح الف
بدير ، فقال لي « خذها » ، ثم أراح عليه آخر مثلها فقال : « خذها » فقلت :
« لا أحتاج إليها » .

فانصرفت بالألف عنه ووالله ما أدري من هو ؟ إلى الساعة « ! !

١٨ - عرض الأمام

إذا كانت المعارض اليوم تزخر بالناس من مختلف الأمم فإن المربرد اقتصر على العرب والفرس فقط . وكانت مضي على هذين الجنسيتين أكثر من قرون وهما يتمازجان دماً وطبائع وعادات ، حتى تعلم كثير من الفرس النازلين في بقاع أغلب أهلها عرب ، اللغة العربية وثقافتها وأحسنوا التكلم بها نظاماً وبنواً. ولم يخل المربرد من هذه الطبقة المولدة الجديدة، فقد كانت تغشاه وتضيف إلى ما به من ألوان ، لوناً حديثاً لا عهد للناس بمثله .

وقد روي أن أديب العرب وفارس : عبد الله بن المقفع ، دعا جماعة بالمربرد ناحية وطرح عليهم هذا السؤال : « أي الأمم أعقل ؟ » فكانت الأجوبة مختلفة ، وعرض المجيبون أحوال من يعرفون من الأمم ؛ فلا علينا وقد شهدنا مشاهد النضال في المربرد من حروب وهجاء ، أن نشهد مجلساً علمياً هادئاً يضم نخبة من ذوي العقول الراجحة والآراء الحصيفة :

قال شيب بن شيبان أحد بلغاء العرب وجليس الملوك :

« كنا وقوفاً بالمربرد ، وكان المربرد مألّف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع فتبشبتنا به وبدأناه بالسلام ، فردّ علينا السلام ثم قال : « لو ماتم إلى دار نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيها العجيب ، فعوّدتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تناووه . »

فقبلنا وملنا . ولما استقرّ بنا المكان قال لنا :

« أي الأمم أعقل ؟ ! »

فنظر بعضنا إلى بعض ! فقلنا لعله أراد أصله من فارس فقلنا : « فارس » .

فقال : « ليسوا بذلك ، لأنهم ملكوا كثيراً من الارض ، ووجدوا عظيماً من الملك وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الامر ، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا استدعوا باقى حكم في نفوسهم . »

قلنا : « فالروم . »

قال : « أصحاب صنعة . . . »

قلنا : « فالصين . »

قال : « أصحاب طرقة . »

قلنا : « فالهند . »

قال : « أصحاب فلسفة . »

قلنا : « فالسودان . »

قال : « شر خلق الله . »

قلنا : « فالترك . »

قال : « كلاب مختلصة . »

قلنا : « فالخزر . »

قال : « بقر سائمة . »

قلنا : « فقل . »

قال : « العرب . . . فضحكنا . . . »

فقال : « أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثلك لها ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم وسكان شعر وأدم . يجود أهدم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح . أدبتهم أنفسهم ورفعتهم همهم . وأعلمتهم قلوبهم وألنتهم . فلم يزل حباء الله فيهم ، وحبائهم في أنفسهم حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه

وخلافة بهم إلى الحشر ، الخير فيهم ولهم . قال سبحانه :
« إِنَّ الْأَرْضَ فَدَىٰ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ^(١) . »
فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خضم ، ودفع الحق باللسان
أكبت للجنان . »

١٩ - اعلان مجمل

وإليك بعد أن امتنعت بعلم ابن المقفع وأدبه ، صراعاً نجيل إليك إذ
تقرؤه أنه كان في الأولمبياد ، لأحد أبطال يونان ، أو أنه جرى على غرار
ما يجري في بلاد الإسبان ، على يد مصارعى الثيران ، بطله فارس عربي
شجاع شاعر شديد البأس والبطش ، على خلاف ما تعهد في الشعراء . هو هلال بن
الأسعر أحد الجبارين المماقة الضخام ، كآنه من قوم عاد . كان هلال هذا
أعظم الناس غناء في حرب ، يرد مع الإبل فيأكل كل ما وجد عند أهله ثم
يرجع لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً . « عمر طويلاً ومات بعد بلایا
عظام مرت على رأسه

« كان يوماً في إبل له وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ،
محتدم الهاجرة ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت
كساءه من الشمس ، فبينما هو كذلك إذ مرّ به رجلان : أحدهما من بني
نهمش والثاني من بني فتييم ، كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطشاً ، يقال
لأحدهما الهياج ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط ^(٢) من تمر هجر ،
وكان هلال بناحية الصعاب ، فلما انتهى إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه

(١) سورة الاعراف ١٢٧/٧

(٢) النوط : الجلة الصغيرة فيها تمر واجمع أنواط .

ولا يعرفان أن الإبل له، ناديا : « يا راعي أعندك شراب تسقيننا؟ » وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فناداهما هلال ورأسه تحت كسانه : « عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فانيخاها فإن عليا وطيبين من ابن ، فاشربا منها ما بدا لكما ، . فقال أحدهما : « ويحك ، انفض يا غلام فأت بذلك اللبن . » فقال لها : « إن تك لكما حاجة فستأتيناها فتجدان الوطين فتشربان » فقال أحدهما : « إنك يا ابن الاخناء لغلظ الكلام ، قم فاسقنا . » ثم دنا من هلال وهو علي تلك الحال . فقال لها هلال : « أراكما والله ستلقيان هواناً وصغاراً » فسمعا ذلك منه فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة ، فنادى صاحبه : ويحك أغثني قد قتلتني . فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الاخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصكّ برؤوسهما بعضاً ببعض ، لا يستطيعان أن يمتنعا منه . فقال أحدهما : « كن هلالاً ولا نبالي ما صنعت . » فقال لها : « أنا والله هلال ، ولا الله لا تفلتان مني حتى تعطيني عهداً وميثاقاً لا تخيسان به : لتأتيان المربد إذا قدمتا البصرة ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما . » فعاهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما ، وقدا البصرة فأتيا المربد فتاديا بما كانت منه ومنهما . وكان إعلان طئان دوّى في فضاء المربد .

وهكذا جمع المربد بطولة القوة والصراع والجبروت البدني ، إلى جانب بطولة الشعر والادب والحطابة ، فكان معرضاً تام الاداة وافي الفروع . وتمّ لأسواق العرب به خاتمة النزايا والكمال ، وأصبح في وسع من شاء الاستمتاع بأكثر عادات العرب وأخلاقهم ودينهم وسياستهم وحرهم وأدبهم وسباقهم وصراعمهم ، أن يفوز بأمنيته من أقصر طريق ، إذا استذكر ما كانت عليه أسواقهم في الجاهلية والاسلام .

(١)

استدراك

قرأ فريق من أهل الفضل ، مقدمة الكتاب عقب طبعها ، فأروا من الحق الواجب علينا ، وقد عرضنا لذكر «مرض دمشق وسوقها» وأثبتنا على ما فيه من كل نفيس معجب ، أن ثبت ما يلي :

أساءت إدارة هذا المعرض إلى الأمة وكرامتها كل الإساءة : في إباحتها القمار والخمر ، وفي غضبها الطرف عن مفاسد كثيرة نشأت عن اختلاط الرجال بالنساء ، وفي إحيائها اللبالي الساهرة تقيم فيهن الحفلات الراقصة ، يتصدرها أشخاص رسيون ، بينما كان العرب في فلسطين يخوضون الدماء ويسلط على رؤوسهم شواظ وقذائف وهم ، وهم يكافحون ويحالدون ويصابرون ، عدوين الدين ، الانكليز واليهود ، ويتمرضون لنار جيشين قويين . فليتنا إذ لم نعم بحق نجدة اخواننا ، راعينا المروءة والذوق على الأقل ، فزهدنا معرضنا عن المظاهر المزرية .

ولئن كان المعرض قد مثل الشام بمصنوعاته وفوائده التي كانت بحق مفخرة من اعظم مفاخر هذه الأمة المجيدة ، إن إدارته لم تكن - فيما أباحت - تمثل البلاد بشيء ، فقد شذت عن كل إدارات الماروض التي سبقتها ، إذ خصصت هذه أياماً للنساء وأياماً للرجال ، ولم تندفع في سبيل التقليد السخيف اندفاع المرض الاخير ، فكانت بذلك اصدق خبراً عن البلاد التي أقامتها .

ولكل أمة تقاليد كريمة وأخلاق وشعور ، لا تقوم لها قائمة ولا يحترم لها مكانة ، إلا إذا تمسكت بها تمسك الفريق بحبال النجاة ، وأيا ما امرىء خرج على شيء منها فقد خرج على امته وبلاده .

تقول هذا ونحن لا ينقضي عجبنا من ان تصدر تلك الكبائر عن معرض دمشق ، بينما

(١) هذا استدراك صدر في الطبعة الاولى لمناسبة خاصة ، يصف شعور الشاميين إزاء

بعض ما كان جرى في معرضهم العام سنة ١٩٣٦ م أثبتناه هنا للتاريخ فقط .

مديره الذي أطلقت يده في إدارته وموظفيه ، رجل معروف بمتانة الخلق وصحة المبدأ ،
والصلابة في تطبيقه .

ولكن يظهر أن الشأن ليس - دائماً - في إحسان اختيار الرأس .

ان الناس كانوا اذا قرؤوا في الصحف اخبار فلسطين وما يدوي في اجوائها من
رصاص وبارود . . . قطع عليهم قرايمهم اصوات الاسهم النارية تطلق في جو الممرض
ابتهاجاً بغير شيء ، فكان الالم يرسم علامته على وجوه اكثر الشاميين . وكان على
الصحف التي تمثل الرأي العام ، وعلى الطبقات المثقفة واهل الحل والعقد ان ينكروا ما يثل
كرامة البلد ويمس مروءته ، لكنه لم يرتفع في استنكار ذلك - مع الاسم - صوت ،
إلا صوت بعض الجمعيات الدينية ، التي استجبت لدمشق بلد الفضيلة ان تؤذى في سميتها .

هذه كلمة نقولها للحق والتاريخ وقد مضى على انفضاض الممرض ثمانية اشهر . (١)

مصادر الكتاب

١ - مصدر الآيات الكريمة

٢ - « الأُطوار النبوية »

٣ - « الأُطوار »

٤ - « الجماعات »

٥ - « الأُماكن »

٦ - « الأُشعار »

٧ - « الكتب »

٨ - « الموضوعات »

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

١ - سرد الآيات الكريمة (*)

ص	الآية	سورة الزخرف ٤٣/٣٢
٢٨	نحن قسمنا بينهم معيشتهم ..	سورة الزخرف ٤٣/٣٢
٢٨	وقدر فيها أقواتها ..	» السجدة ٤١/١٠
٢٨	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ..	» الاعراف ٧/١٨٨
٤٠، ٣٠	وإذا رأوا تجارة أو لهوا ..	» الجمعة ٦٢/١١
٣٠	إنما المشركون نجس ..	» التوبة ٩/٢٩
٣٣	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ..	» الفتح ٤٨/١٠
٣٤	.. إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ..	» المنتهنة ٦٠/١٢
٣٩	.. يرجون تجارة لن تبور ..	» فاطر ٣٥/٢٩
٣٩	أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ..	» البقرة ٢/١٦
٣٩	» » » الحياة الدنيا بالآخرة ..	» » ٢/٨٦
٣٩	بشما اشتروا به أنفسهم ..	» » ٢/٩٠
٣٩	ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ..	» » ٢/٢١٧
٣٩	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ..	» التوبة ٩/١٢٢
٤٠	رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ..	» النور ٢٤/٣٧
٤٠	.. هل أدلكم على تجارة تنجيكم ..	» الصف ٦١/١٠
٤٢	.. إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ..	» البقرة ٢/٢٨٢
٤٣	غلبت الروم في أدنى الأرض ..	» الروم ٣٠/٢
٥٩	.. ولا تكبروا فوقتاتكم على البغاء ..	» النور ٢٤/٣٣
٦١، ٦٣، ٦٧	.. اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ..	» البقرة ٢/٢٧٨
٦٤	فبظلم من الذين هادوا ..	» النساء ٤/١٥٨
٦٥	الذين يأكلون الربا ..	» البقرة ٢/٢٧٥

(*) على ترتيب ورودها في الكتاب ، رقم السورة إزاءها وبعد الخط المائل رقم الآية فيها .

ص	الآية
٦٧	.. لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة .. سورة آل عمران ١٣٠/٣
٧٢	يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .. » البقرة ٢١٧/٢
٧٨	ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس .. » » ١٩٩/٢
٧٨	.. وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. » » ١٨٩/٢
١٤٠	.. ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله .. » الانفال ٣٦/٨
١٤٣	ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً .. » النور ٢٨/٢٤
١٤٧	لإيلاف قريش لإيلافهم .. » قريش ١/١٠٦
١٤٩	.. أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع .. » إبراهيم ٣٧/١٤
١٥١	.. تخافون أن يتخطفكم الناس .. » الانفال ٢٦/٨
١٥١	وإذ جعلنا البيت مثابة للناس .. » البقرة ١٢٥/٢
١٥١	.. ومن دخله كان آمناً .. » آل عمران ٩٧/٣
١٥١	٢٠٢ .. جعلنا حراماً آمناً ويتخطف .. » العنكبوت ٦٧/٢٩
٢٠١	.. ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .. » الفرقان ٧/٢٥
٢٠١	ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق .. » » ٢٠/٢٥
٢٠٢	.. أولم نمكن لهم حراماً آمناً .. » القصص ٥٧/٢٨
٢٠٤	ليس عليكم جناح أن تبتغوا .. » البقرة ١٩٨/٢
٢٥٤	.. وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .. » الحج ٢٧/٢٢
٢٧٥	.. وإن منكم إلا واردها .. » مريم ٧١/١٩
٣٥٥	.. لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .. » يوسف ٨٧/١٢
٤١٥	ألم تروا إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب .. » آل عمران ٢٣/٣
٤٢٠	.. وجفان كالجواب وقدور راسيات .. » صبا ١٣/٤٤
٤٢١	.. غرف من فوقها غرف .. » الزمر ٢٠/٣٩
٤٢١	.. وهم في الغرفات آمنون .. » صبا ٣٧/٣٩
٤٢١	.. ونخل طلعها هضم .. » الشعراء ١٤٨/٢٦٥
٤٤٧	ولو أنا كتبنا عليهم .. » النساء ٦٥/٤
٤٥١	إن الأرض لله يورثها من يشاء .. » الأعراف ١٢٧/٧

٢ - مسرد الأحاديث النبوية (*)

ص	الحديث
٢٩	يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره الحلف ..
٥٨، ٥٢، ٤٩	نهي رسول الله عن بيع كانت في الجاهلية ..
٥٣	لا تصروا الإبل والقمم ..
٥٧	لا تَلَقُوا الركبان ، ولا يبيع بعضكم ..
٥٧	من اشتري طعاماً فلا يبعه حتى ..
٥٧	البيعات بالخيار ..
٦١	مصالحة رسول الله قبيلة ثقيف على إبطال الربا
٦٢	ومن أكل منهم ربا ..
٦٧	إن رضوا وإلا فأذنهم بحرب ..
٦٩	ألا وإن كل ربا الجاهلية موضوع كله ..
٧١	ما أدرتكم بقتال في الشهر الحرام ..
٧٧	لني رجل أحسي ..
٨٠	لا ضرورة في الإسلام ..
١٤١	أولم ولو بشاة ..
١٦٤	كنت أنبل على أمامي يوم الفجار ..
١٨٤	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ..

ص	الحديث
٢٠٤	لك حج ..
٢٣٣	خذه يا بن عرف ... فتزوج بنت ملكهم
٢٣٤	كتاب النبي لا كيدر وأهل دومة الجندل
٢٥٣	إني لأعلم أرضاً من أرض العرب ..
٢٥٨	ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ..
٣١٤	كأني أنظر إليه (إلى قس بن ساعدة) بسوق عكاظ
٣٢٦	يا أيها الناس قولوا : (لا إله إلا الله) تفلحوا .
٣٢٦	لا أكره منكم أحداً على شيء ..
٣٢٨	إني رسول الله فإن أتيتكم تمنعوني؟ .. هم أول من كذبني وطردي
٣٢٩	اللهم بارك على هؤلاء ..
٣٣٣	يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني ..
٤٤٢	كتاب النبي ﷺ لبني زهير (حي من عكل)
٤٤٣	صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة من كل شهر بذهبن وحر الصدر

٣ - مصدر الروايات (*)

الأحنف بن قيس ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٤٦ -	آدم (عليه السلام) ١٥٠
٤٤٨	إبراهيم ١٤٩، ٧٦، ٧٥
الاحوص بن جعفر بن كلاب ٤٤٥	» بن طلحة ١٢٢
أحيحة بن الجلاح ١٠٥، ٦٢	» عبد الله بن حسن ٤٤٤ - ٤٤٦
الاختل ٣٨٦	» عدي ٣٦١
الاخفش ٤٠٧	» الموصلي ٣٨١
الازرق (صاحب أخبار مكة) ٧٩،	أبرهة ١٠٧ - ١٠٩، ١٦٠
٣٤٦، ٣٤٤، ٢٩١، ٢٥٩، ٢٠٤، ١٢٤	إبليس ٤٢٧، ٤٢٨
الازهري ٢٧١	ابن إبليس ٤٢٨
أبو الأزهر الدومى ٣٤٩	أبين ٢٦٨
إساف (ضم) ٨٥	أبي (القارىء الصحابي) ١٥٢، ٢٠٤
» بن يعلى ٨٥	» بن خلف الجمحي ١٨٥، ١٨٦
ابن إسحاق (صاحب السيرة) ١٦٤	٣٤٩، ٣٤٨
أسد بن جابر ٢٥٩	ابن الأثير (صاحب النهاية) ٥٢، ٥٤
» هاشم بن عبد مناف ١٥٠	أحمد = رسول الله
إسرائيل ولفسئون ١٨	» أمين ٣٤٣
إسرائين = إسرائيل ٣٨٧	» بن موسى ٢٧٢

(*) ١ - أسقط في بحثك عن الاعلام الكلمات الآتية مراعيًا الترتيب الابدائي فيما بعدها:

ال ، ابن ، ابن ابى ، ابو ، ام ، بنو ، آل

٢ - لا تحذف الألفات ولا الواوات من مثل الكلمات الآتية : إبراهيم ، إسحاق ،

إسماعيل ، الحارث ، هارون ، داوود . .

٣ - اذا اشتهر العلم باسم آخر وجدته بعد إشارة = التي تعني (هو) فابحث عن الاسم

الذي بعد الإشارة لانه الأشهر غالباً .

الاقشير (الشاعر) ٣٨٧، ٣٨٦
اكيدر بن عبد الملك (صاحب دومة)
١١٤، ١٩٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢-٢٢٢
٢٣٢-٢٣٨، ٢٧٠
الالوسي (صاحب بلوغ الارب)
٢١، ٤٦، ٥٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٧
٢٥٦، ٢٨٥، ٣٤٢، ٣٤٣

أبو أمامة التميمي ٢٠٤
امرو القيس ٢٤١، ٢٩٣، ٣٢٥، ٣٧٢
أمية بن أسكر الكتاني ١٧٥، ٢٩٣
٢٩٤
» الاصغر (ابن عبد شمس) ٣٣١
» بن خلف ١٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠
» » عبد شمس ١٠٢، ٢٨٤

أبو أمية بن المغيرة ١٢٥
ابن الانباري ١٩٧
أنيس (سائس فيل أبرهة) ١٠٨
أوس بن مغراء ٤٣٣، ٤٣٤
إياس بن قبيصة الطائي ٣٨٣، ٣٨٤
أيوب (عليه السلام) ٣٦٢
بازان ٢٤٢، ٢٤٣
بشيمة ٢٤٦
بجرة بن قيس القشيري ٣٢٨، ٣٢٩

إسطرابون ١٧
أسعد أبو كرب ٤١
الإسكندر ١٦ ٣٩٥
الاسكندري (الشيخ أحمد) ٣٤٢
أسلم (مولى عمر بن الخطاب) ٣٥٢
أسماء المريبة ٣٩٥
إسماعيل (عليه السلام) ٧٤، ٢٣٩
» بن علي بن العباس ١٢٢
الاشتر ٣٢
الاشعث بن قيس ١٩٩، ٢٧٥
الأصبغ بن عمرو السكبي ٢٣٤
الإصطخري (صاحب مسالك الممالك)
٢٥٢، ٢٦٦، ٢٦٦، ٣٩٨
الأصفهاني = أبو الفرج الأصفهاني
الأصمعي ٢٦، ٢٤٨، ٣٢١، ٤١١
ابن الأعرابي ٥٢
الأعشى ٢٦، ١٩٨، ٢٤١، ٣١٥-
٣١٩، ٣٧٤، ٣٧٩-
أعشى همدان ٣٨٩
الأعظمي (صاحب تاريخ ملوك الحيرة)
٤٤، ٣٨٠
الأقرع بن حابس ٢٠٥، ٢٨٠، ٢٩١

أبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن

هشام ١٧٧

أبو بكر بن العربي ١٤٢

» » » نصر ١٧٤

» » الهمداني = الهمداني

البكري (صاحب معجم الاستعجم)

٢٨٧

البلاذري (صاحب فتوح البلدان)

٦٢، ٦١

بلال بن أبي بردة ٣٩٨

بلال (الحبشي الصحابي) ٣٤٤

بليقيس (ملكة سبأ) ١٨

ابن بليد ٢٨٨

بندلي جوزي ٣٨

بورتر ٤٦٥

بويج ٥٤

ابن بيدرة = عبد الله بن بيدرة

ابن بيض ١٠١

تبغ ٣٧٧

تاضر بنت الأصغ ٢٣٤

أبو تمام ١٢٠

تميم بن مر ٧٨

التوحيد ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦

بحيرى الراهب ٣٦٧

البخاري (صاحب الصحيح) ١٣١، ٥٣

٢٠٤، ٢٠١، ٢٠٠

بختنصر ٤١، ٣٧٦، ٣٧٧

بدر بن معشر الغفاري ٣١١، ٣٠٠

أبو براء (عامر بن مالك) ١٧٠، ١٦٩

البراص بن قيس الضري ١٦٦-١٧٠

١٨٩

برة بنت ع ٩٤

بسر بن أرطاة ٤٣٣، ٤٣٢

بسّاطم بن قيس ٣٣٧

بشار بن برد ٤٢٢، ٤٣٩، ٤٤٠

بشر (أخو أكيدر) ١١٤

أبو بصير = الأعشى

ابن بطرطة ٤٠١

البغدادى (صاحب خزنة الادب)

٢٢٧، ٢٢٤، ٢١٠

بكر (ابن أبي الوردة) ٣٦٣

بكر بن خارجة ٣٨١

أبو بكر (صاحب المتناهي في اللغة)

٣٨٧

أبو بكر الصديق ٢٦، ٣١، ٧٢

١١٠، ١١٦، ١٣١، ١٣٢، ١٤١

١٤٣، ٢٣٦، ٢٦٤، ٢٦٨

٣٩٥

جندل (ابن راعي الابل) ٤٣٦ -
٤٣٨
أبو جندل = راعي الابل
ابن جني ٣٤٤
أبو جهضم = عباد بن حصين الجبلي
ابن الجوزي ٢٨١
أبو حاتم ٢٤٨
حاتم بن عبد الله الطائي ٣٨٣-٣٨٥
حاجب بن زرارة ٢٠٥
الحارث بن أمية ٧٩
» » حازة ٣٤٨، ٩٥
» » حنش السامي ١٥٠
» » ظالم ٣٠٤
» » عامر ١١٠
» » عبد الله الخزومي
٤٣٦، ٤٣٧ (القباع)
» » عمير ٣٦٨
» » قيس ١١١
» » كلدة الثقفي ١٧٨
» المري ٣٠٧
حارثة بن بدر ٤٤٦، ٤٤٧
» » شراحيل ٣٣٣، ٣٣٢
حاطب بن أبي بلتعة ٣٦

التمالي (صاحب ثمار القلوب) ٢٦،
٣٢٣، ٢٦٧ ١٤٨، ١٤٦
جابر (الصحابي) ٥٧
الجاحظ ١٤٤، ٩٥، ٨٣، ١٦٣،
٣١٥، ٢٨٠، ١٨٦، ١٨٤، ١٨٣
٤٢٣، ٤٢٠، ٤٠٦-٤٠٢
جارية بن سليط ٣٢٣
جبلة بن حارثة ٣٣٢
ابن جدعان = عبد الله بن جدعان
جندل الطعان ١٥٧
جرير بن الخطفي ٣٦١-٣٥٩، ٩٤
٤١١، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢،
٤٢٦-٤٣٢، ٤٣٥-٤٣٨، ٤٤٧
٤٤٨
جرير بن عبد الله البجلي ٣٤٤
جعفر بن سليمان الهاشمي ٤٠١، ٤٠٩
أبو جعفر المنصور ٤٤٤، ٤٤٥
الجلندي بن المستكبر ٢١٧، ٢١٨
٢٢١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٠
الجل (جمل عائشة) ٤١٣، ٤١٧،
٤٢٤
جميل بن معمر (الشاعر) ٣١٩، ٢٤٦

الحصين بن الحمام المري ٣٧١، ٣٠٧
ابن الحضرمي = العلاء بن الحضرمي
الحكم بن أبي العاص ٣٨٣، ٣٧٤
حكيم بن جبلة ٤١٦
د د حزام ١٤٥، ١٤٦
٢٧٩، ٣٣١
ابن حلزة = الحارث بن حلزة
حمام (مولى باهلة) ٤٢٨
حمد الجاسر ٢٨٧
حنين الحيري ٣٨٩
حوثره = ربيعة بن عمرو
ابن حوقل ١٣١
أبو حية النخيري ٣٨١
الحازن (المفسر) ٢٨، ٦٦، ١٠٤
خالد؟ ٤٤٥
د بن أرطاة الكلبي ٢٨، ٦٦
د د جعفر بن كلاب ٣٠١
٣٠٣، ٣٠٤
د د صفوان ٤٠٥، ٤٠٦
د د الوليد ٦٣، ٦٦، ٦٧
١١٠، ٢٣٤، ٢٣٦
خداش بن زهير (١٧١، ١٧٢، ١٧٤)
١٨٠، ٣٤٩
خديجة بنت خويلد ١٣٢، ١٣٣
٢٥٨، ٣٣١

ابن حبيب = محمد بن حبيب
الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٥٩، ٣٩٧
٤٠٠، ٤١٠، ٤١٨
ابن حجر (المحدث) ٦٨
ابن أبي الحديد ٣٣، ١٠٣، ١٠٤
١٥٣
حذافة بن غانم العدوي ٩٤
حذيفة بن بدر الفزاري ٣٤٩
حرام بن جابر ٢٥٩
حرب بن أبية ١٦٧، ١٦٩، ٧٠
١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ٢٨١، ٢٨٤
٣١٢
ابن حرب = أبو سفيان بن حرب
أبو حرب بن أمية ٢٨٤
ابن حزم (الأندلسي) ٤٠٠
حسان بن ثابت ١٧٧، ٣١٥، ٣١٦
٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٧٤
حسان بن جبلة الخير ٣٨٤
أبو الحسن البكري ٢٧٥
حسن حبشي = محمد حسن حبشي
د حسني عبد الوهاب ٤٠١
الحسن بن عادية ٢٥٣
الحسين بن علي بن أبي طالب ١٨٧
١٨٨، ٤٤٥

الذهبي (المؤرخ) ١٤١
ذو الرمة ٣٥٩ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
ذو يزن ٢٧٩

راعي الأبل ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٥ -
٤٣٨

رؤبة بن العجاج ٤١١ ، ٤١٩
٤٤٠ - ٤٤٢

أبو رافع الخيري ٢٣ ، ٣٥٧

رباح بن عمرو بن ربيعة ٣٠٦

ربيب (اسم جمل) ٢٥٠

الربيع بن زياد ٤٠٠

أبو ربيعة ٣٠٦

ربيعة بن حذار ٢٠٥ ، ٢٩٦

ربيعة بن عمرو (حوثرة) ٣٣١

» » مخاشن ٢٠٥

أبو ربيعة بن المغيرة ١٢٤ ، ١٧٦

١٧٧ ، ٢٨٣

ابن رسته ٢٨٦ ، ٢٨٧

رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٦

٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥١ - ٥٣

٥٧ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٧

١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٨

١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ - ١٣٩

خرقاء (صاحبة ذي الرمة) ٤٣٤
٤٣٥

ابن الحس النغلي ٣٠٤

ابنة الحس ٣٢٩

خلف الأحمر ٢٤٨

الخليل بن أحمد ٤٠٤ ، ٤٠٦

خناس ؟ ٤٤٨

الخنساء ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ - ٢٩٩

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩

خولة بنت ثعلبة ٢٨٤

خير بن عباد ٢٤٤

خير الدين الزركلي ٢٨٦

ابن دارة ٣٢٣

داوود (النبي) ٣٧١

د بن عيسى ٢٥٩

دحية بن خليفة الكافي ٢٩

دختوس ٤٤

ابن دريد ٥٤ ، ٤٠٧

دريد بن الصة ٢٤٥ ، ٣١١

دوسو ٣٦٢

ابن الديان ٢٩٣

أبو ذؤيب المدني ٢٤١ ، ٣٣٩

٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٧٠

ذكوان (مولى عبد الدار) ٩٦

ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زرعة بن عمرو بن خويلد ٢٩٦
زرقاء اليمامة ٣٥٨
الزرقاني (شارح المواهب) ٢٢
٢٣٥ ، ١٣٩ ، ١٣٣ ، ٨٦ ، ٢٣
٣٤٩

زكي حسن ٢٨٠
الزخشري ١٥٢ ، ٩٢ ، ٢٩
زمنة بن الأسود ١٢٥
زهير بن جذيمة العبسي ٣٠٤ - ٣٠١
» » ربيعة (أبو خراش) ١٧٩
» » أبي سلمى ٢٨٣
زياد (ابن أبيه) ١١٦ ، ٣٩٧
٤٢٧ - ٤٢٥ ، ٤٠٠

ابن زياد = عميد الله بن زياد
زياد بن عمرو العتكي ٤٤٨ - ٤٤٦
زيد بن حارثة ٣٣٣ - ٣٣١
أم زيد بن حارثة ٣٣١
زيد بن صوحان ١٤٣
زيد بن علي ٤٤٥
زيدان (جرجي) ١٦٧
السامي (طابع الأغاني) ٢٠٦
أم سالم = خرقاء

١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٩ ، ١٤٥ ، ١٤٣
١٨٧ - ١٨٤ ، ١٨١ ، ١٧٧ ، ١٧٣
- ٢٣٣ ، ٢٠٤ - ٢٠١ ، ١٩٨ ، ١٩٤
٢٦٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٣٥
، ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٢٧٩ ، ٢٧٥
٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٢ ، ٣٣٣ - ٣٢٥
٣٦٨ ، ٢٦٧ ، ٣٥٩ ، ٣٥٧ - ٣٥٢
٤٤٢ ، ٤٣٢ ، ٤١٣ ، ٣٧٨
٤٤٨ ، ٤٤٣

رشدي = محمد رشدي
الرشيد ٣٨٢ ، ٣٢١ ، ٢٥٦
رفاعة (صحابي) ٧٧
رملة بنت طلحة ١٢٢
رياح بن الأصل الغنوي ٣٠٢
ريطة ١٧٦
رينولد نيكلسون ١٠٧

ابن الزبيري = عبد الله بن الزبيري
أبو زيد الطائي ٢٠٦
الزبيدي ؟ (جاهلي) ١٨٥ ، ١٨٤
الزبيدي (شارح القاموس) ٩٣
٣٤٧
الزبير بن عبد المطلب ٨٣
الزبير بن العوام ١٧٣ ، ١٤٢
٤١٤ ، ٤١٣ ، ١٨٤

١٣٩، ١٣٥، ١٣٢، ١٢٨، ١١٩

٣٥٠، ٢١٣، ١٩٨، ١٧٥، ١٧٠

٤٠٠

سفيان بن مجاشع ٢٩١

ابن سلام ١٢٥، ١٧٣، ٤٤٣

سلامة ذوقاش ٢٦

سلكان بن سلامة ٦٣، ٦٤

سلمى بنت عمرو بن زيد ١٠٥

د بن نوفل ٢٠٥

سليان (ابن داود النبي) ١٨

٢٤٠

د بن علي ٤٤٤

سليسى ٢٥٢

سمير بن سلامة القشيري ٣٠٧، ٣٠٦

سقان المري ٣٠٧

السندوبي ٨٣، ١٥٠، ١٦٣، ١٨٣

١٨٦، ٢٨٠، ٣٥٠، ٤٢٠

السهيلي ٩٣

سواد بن قارب ٣٧٩

سويد بن عدي ١٩٩

د د قيس (صحابي) ٢٥١

ابن سيده ١٩٣

سيف الدولة ١٢٧

د بن ذي بن ١٠٨

حالم الكرنكوي ٣، ٥٤، ٢١١

٢٧٣

سبرنجبر ١٣٩

ستافسكي ١١٧

سجاح (المنبئة) ٣٥٨

سدوم ٣٢٣

ابن سعد (وانظر : طبقات ابن

سعد) ٢٢، ٢٦، ١٠١، ١٠٢

١٠٤، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٨

١٥٤، ١٥٨، ١٦٤، ١٨٤، ٢١٠

٢٨٠، ٣٦٩

سعد بن حارثة بن لام ٣٨٣، ٣٨٥

د د الربيع الأنصاري ١٤٠

د د زيد مناة ٣٩١، ٣٣٤

٣٣٥

د د عبادة ٧٩

د د أبي وقاص ١٢٦، ١٢٧

١٤٢

أبو سعيد الحدري ٢٠١

سعيد بن سعد بن سهم ١٧٦

أبو سفانة = حاتم بن عبد الله

سفيان بن أمية ٢٨٤

أبو سفيان بن أمية ١٧٥، ١٧٨

٢٨٤

د د حرب ١١٠، ١١٦

الصبياء بنت حرب ١١٤

ضباعة بنت عامر بن قرط ٢٢٩

الضحاك بن قيس الفهري ٩٦

ضرار بن الخطاب الفهري ٤٤٥

ضمرة بن ضمرة ٢٥٥

ضمضم بن عمرو الغفاري ١٣٥

أبو طالب بن عبدالمطلب ١٣١-١٣٣

٢٥٥

الطبراني (صاحب المعجم في

الحديث) ٢٥٤

الطبري (المؤرخ المفسر) ٦٥، ٦٦

١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢

٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢

طخيم الأسدي ٣٨٦

طريف بن تميم المنبري ٥٤، ٣٥٥

٣٥٦

طلحة (الصحابي الجليل) ٢٦، ١٣٢

٣٦٧، ٤١٣، ٤١٤

ابن طلحة (محمد) ٤١٣

طلحة بن عمرو بن عبد الله ١٢٢

ظافر القاسمي ١٤٧

السيوطي ٢٨، ١١٤، ٢٥٥

شاس بن زهير العبسي ٣٥٢

شبيب بن البرصاء ٣٣٥

» » شيبه ٢١٥، ٤٤٩

الشيخ ٣٢٤

الشفري ٢٥٩

شيبه بن ربيعة ٢٥٥، ٢٩٧، ٢٩٩

» » هاشم = عبد المطلب

شيخ مو ٣٦، ٣٢٢، ٣٢٣

الشيخم بن الحارث الغساني ٣٧٩

صاحب الرسالة = رسول الله

ابن صخر ١٧٨

صاعد (صاحب طبقات الأمم) ١٦

١١٥

صخر بن عمرو بن الشريد ٢٩٥

٢٩٧-٢٩٩، ٣١٥، ٣١٩

الصدّيق = أبو بكر الصدّيق

صعصعة بن سعد ٣٣٥

» » صوحان ٤٥

صفوان بن أمية ١١١، ١٣٧

١٩٩، ٢٥٥

صلصل بن أوس ٨١

الصمة بن عبد الله الشيربي ٣٦٩

عبد الرحمن بن الأشعث ٤١٨
» » العامري ٤٢٨
» » بن عباس ١٠٧
» » عثمان التميمي ١٨٧
» » عوف ١٣٢، ١٤٠-
٢٣٤، ٢٣٣، ٢٠٠، ١٤٢-
» » بن ملجم ٢٩٢
عبد شمس ١٠٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧
٣٤٣، ١٦١
عبد العزيز الكلبي ٣٥٩
عبد القاهر (الكرزي) ٤٠٠
عبد الله بن أبي بن سلول ٥٩
» » بيدرة ٣٢٢
» » جعش ١٣٥، ٧٢، ٧١
» » جدعان ١٣٠، ١٣٠، ٢٥
١٧٢، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٢، ١٣٨
٢٩٠، ٢٧٨، ٢٠٠، ١٨٣
عبد الله بن جمدة ٣٠٦، ٣٠٧
» » الزبيري ١٠١، ١٧٦
١٧٩، ١٧٧
» » عباس = ابن عباس
» » عمر ٥٧، ١٨٨، ٢٠٤
٣٥٢، ٢٥٣
» » المقفع = ابن المقفع

عائشة (أم المؤمنين) ١٧٧، ٥٨
٤٢١، ٤١٧-٤١٣
عائكة بنت عبد المطلب ١٨٠
الناصر بن وائل السهمي ١٨٣
٢٧٨، ٢٠٥
عاصم بن عمر ٣٥٢
عامر بن جوين ٣٢٥، ٣٨٣، ٣٨٥
» » الطفيل ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٢٤
٣٣٧
» » الظرب ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥
٢٩١
» » مالك = أبو براء
عباد بن حصين الحطيمي ٤٣٠
أبو العباس = المبرد
ابن عباس ٩٢، ٩٤، ١٠٧
١٤٩، ١٥٤، ١٦٠، ٢٠٤
العباس بن عبد المطلب ٦٢، ٦٣
١١٠، ١٠٩، ١٠٧، ٦٩، ٦٧، ٦٦
١٤٠، ١٣١، ١٢٩، ١١٢
العباس بن محمد ٢٥٦
» » معبد المري ٣٨٦
عبد أمية ٣٣١
عبد الدار ٩٩
ابن عبد ربه ١١٠، ١١١، ٢١٠
٤٠٠، ٢٧٨

ابن عتبة = الوليد بن عتبة
أبو عتبة = أبو لهب
عتبة بن ربيعة ٢٨٠، ٢٩٧، ٢٩٩
» » غزوان ٣٩٨
العتبي ١٤٤
عتيبة بن الحارث ٣٢٦
عثمان بن حنيف ٤١٤-٤١٦
» » طلحة ١١٠
» » عبد الله ٧٢، ٧٣
» » عفان ٣١، ٦٣، ٦٦، ٦٧
١١٦ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ٣٠٠
٤١٣-٤١٦، ٤٢١
عثمان بن مظعون ٢٠٠
المعراج ٤١١، ٤١٩، ٤٣٣، ٣٣٤
٤٤٠-٤٤٢، ٤٤٤
عدن بن نقتان بن سبأ ٢٥٢
عدي (جد قيس بن الحطيم) ٣٤٩
عدي بن زيد ٣٨٩
عروة بن حزام ٣٥٨
عروة الرحال ١٦٦-١٧٠
» بن مسعود الثقفي ١٥٩
» » الورد ٣٦

عبد الله بن قيس = أبو موسى
الأشعري
عبد المدان بن الديان ١٣٠
عبد المطلب بن هاشم ١٠٥-١٠٩
٢٠٠، ٢٠٥
عبد الملك بن مروان ٩٣، ١٨٢
١٨٩، ١٩٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٨٧
٤٠٥
عبد مناف بن قصي ٩٩، ١٥٦
أبو عبد مناف = الفاكه بن المغيرة
العبيدي ٢٥٢
عبس بن طلق (أخو كهمس) ٤٤٦
٤٤٧
عبلة بنت عبيد ٣٣٠
عبيد (أبو أبي وجزة) ٣٥١، ٣٥٢
أبو عبيد ٢٤٦
عبيد بن حصين = راعي الإبل
عبيد بن شربة ٤١
عبيد الله بن زياد ٣٩٧، ٤١٠
عبيد الله بن عباس ١٠٧
عبيد المنان (ابن المتلمس) ٣٦٩
أبو عبيدة بن الجراح ٣٦٩، ٣٧٣
عقاب بن أسيد ٦١، ٦٧

» » جأ ٤٣٢، ٤٣١
مهران (ابن أبي الورد) ٣٦٣
» » بن حطان ٣٥٩
عمرو = هاشم
» » بن أحيحة ١٠٥
» » أمية بن عبد شمس ٢٨٤
أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس
٢٨٤
عمرو بن الأهم ٣٧٨
» » بن قميم ٤٤٦
» » بن التقي ٦١
» » الحضرمي ٧١-٧٣
» » الشريد ٢٩٧-٢٩٩
٣٢١-٣١٩
» » العاص ١٢٧، ١١٦، ٩٢
٢٧٨، ٢٣٦، ١٣٤
أم عمرو بن العاص ٢٧٨
عمرو بن عتبة ١٤٤
أبو عمرو بن العلاء ٢٤٨، ٢٤٩،
٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢٠، ٤١١، ٢٥٥
عمرو بن كلثوم ٢٨٢، ٣٤٠، ٣٤٣
» » بن لحي ١١٥
» » مالك ٢٤٩، ٢٥٠
» » بن معد يكرب ٣٠٨، ٣٧٦

ابن عساكر ٢٦، ١٤٦، ٢٧٩، ٣٥٢
٣٦٧، ٣٦١، ٣٥٣
عطية (أبو جرير الشاعر) ٤٣٠
عفيف بن معد يكرب ١٩٩، ٢٠٠
عقبة بن أبي معيط ١٣٢
عقيل بن أبي طالب ١١٤
عكرمة ١٦١
العلاء بن حارثة ٢٠٥
» » الحضرمي ١٣٥، ١٣٦
علقمة الفحل ١١٦
علي بن أبي طالب ٣١، ٣٢، ٢٩٢
٤٤٥، ٤٣٢، ٤٢١، ٤١٤
علي بن شفيع ٣٥٩
أبو علي القالي = القالي
عمارة بن الوليد ١٣٤
عمان بن نقتان بن سبأ ٢٥٢
ابن عمرو = عبد الله بن عمرو
عمرو بن الخطاب ٣١، ٦٢، ١٠٧
١١١، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٤٦
١٥٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٤٥، ٢٨٠
٢٨٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٣
٣٩٥-٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٤٨
عمرو بن أبي ربيعة ١٧٧
» » بن شبة ٤٠٠

الفردق ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٨٦
٤٠١ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١
٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ - ٤٣٩
٤٤٨

فريتز كرنكو = سالم الكرنكوي

الفرد ٣٣٤ ، ٣٣٥

الفضل بن عباس ١٠٧

فليبي (المستر) ٢٨٧

فهر بن مالك ٩٣ ، ٩٤

الفيروزبادي ٢٠٥

فيصل بن عبد العزيز ٢٨٨

فيليبس (الإمبراطور الروماني)

٣٦٥ ، ٣٦٤

الغالي ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٨٥ ، ١٠٧

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ١٩٩

٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٣٨٧ ، ٤١١

٤٢٢

القباع = الحارث بن عبد الله

قتول الجمحية ١٨٦

ابن قتيبة ١٣٢ ، ١٧٢ ، ٣٣٨

قثم بن العباس ١٠٧

قرة بن هيرة القشيري ٢٨٢

قريش بن يخلد ٩٢

الغناني (الشيخ مصطفى) ٣٤٢

عنزة ١٩٧

للعوام بن خويلد ١٧٣ ، ١٧٤

ابن عرف (الري) ٣٠٧

عوف الأصم ٣٢٤

عوف (الغزاري) ٤٤٦

عيسى البابي الحلبي ١١٤

د بن عمر الثقفي ٢٤٨ ، ٢٤٩

غالب (أبو الفردق) ٤٢٤ ، ٤٢٥

غنم بن أبي الرقراق ٤٣١

غيلان = ذو الرمة

أبو غيلان (ابن سلمة) ١٢٠

غيلان بن سلمة ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٨

٢٠٥

ابن فارس (صاحب المعجم) ٥٤

الفاضل البيني (صاحب حواشي

الكشاف) ٢٦٨

فاطمة بنت عمرو ١٠٨

د القاسم ١٢٢

الفاكه بن المغيرة ١٧٦

أبو الفرج الأصفهاني ١٣٤ ، ١٦٤

١٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩

٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٤٣٩

كاهنة اليمن ٩٥
كرنكو = سالم الكرنكوي
كريز بن ربيعة ١٧٢
كسرى ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٤ ، ٨٧
١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧
٢٨١ ، ٢٥١ ، ٢٤٤ - ٢٤٢ ، ١٩٥
كعب بن الأشرف ٦٣
» » جعيل (كعب بن جعيل)
٤٣٤ ، ٤٣٣ ، ٣٨٦
» » شراحيل ٣٣٣
» » معدان ٤٢٩
أم كلاب (امرأة أمية بن الأسكر)
٢٩٣
كلاب بن ربيعة ٢٩٠ ، ١٦٢
ابن الكلبي ٢٤٢ ، ٢١٦ ، ٩٣ ، ٨٥
كليب ٢٤٩
الكهيت ٤٢٦ ، ١٥٣ ، ٩٧
كنانة بن الربيع ٣٥٧
ابن كوز ٢٩٦
اللات ٣١٩
لافونتين ٤٣
لامنس ١١٠

القزويني ٢٧٥
قس بن ساعدة الإيادي ٢٨٠
٣٣٩ ، ٣١٥ - ٣١٣
قسي بن كلاب ٩٩ - ٩٧ ، ٩٤ - ٩١
١٢٤
قطبة بن عامر ٧٧
القعقاع بن عمرو ٣٦٨
القلقشندي ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢١٠
القلمس ٣٣٩
قنافة الكلبي ٢٣٨ ، ٢٢١ ، ٢١٧
قيس بن الحدادية ٢٨٣
» » الحطيم ٣٤٩
» » زهير بن جذيمة ٣٠٤
» » عاصم ٣٠٩ - ٣٠٧ ، ١٩٩
٣٧٨
» » عبد يغوث المرادي ٣٠٨
» » أبي غرزة ٢٩
» » (المذحجي) ٣٠٨
قيصر ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١١٤ ، ٨٧
١٥٩ - ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤
٣٢٥
ابن قيم الجوزية ٢٨٤ ، ١٢٢
الساكن الخزاعي ١٠٢

١٤٨ ، ١٢١ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٥٥
٢١٠ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٢ ، ١٥٠
٢٦٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٧ ، ٢١١
٢٧٠
محمد حسن حبشي ١٩ ، ١٠٧
» حسين هيكل ٢٨٦ ، ٢٨٧
» رشدي ١٢٩ ، ٢٩٠
» بن السائب الكلبي ٤١
» » سفيان بن مجاشع ٢٩١
» صالح نصيف ٢٨٧
» طلعة حرب ٣٣٤
» » بن عبد الله بن حسن ٤٤٥
» » الغمر ٢٤٠
» » مناذر ٤٢٠
» » أبو محمد الهمداني ٤١
» ابن حمية الديلي ١٧٩
» الخجل ٢٤٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١
» المختار بن عوف ٣٤٣
» مخزومة العبدي ٢٥١
» بن نوفل ١١٤
» مرة بن عوف بن ذبيان ٣٠٧
» » معتب الثقفي ١٧٣
» المرزباني ٣٣٨

لبطة بن الفرزدق ٣٨٥
ليبد ٢٣٦
ابن لجأ = عمر بن لجأ
أبو لهب ٣٢٦ ، ٣٢٧
الليثي (الشاعر) ٣٤٧
ابن ليلي = غلب أبو الفرزدق
المازني ٣٦٧
مالك ؟ ١٨٠
» بن جبار ٣٨٤
أبو مالك ٤٠١
مبارك = زكي مبارك
البرد ٣٣٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٨ ، ٤٤٨
المنلس ٣٦٩ ، ٣٧٧
المتبي ١٠ ، ١٢٧
المتبي بن حارثة الشيباني ٣٧٥
مجاشع ٤٣٠
مجنن الجسمي ٣٣٠
محرق ٣١٦ ، ٣٧١
المحقق الكلبي ٣١٦ - ٣١٩
محمد صلى الله عليه وسلم = رسول الله
محمد بن جبير بن مطعم ١٩٠
» » حبيب ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣

المطرزي ٥٤
مطروذ الخزاعي ١٥٣، ١٠٦
المطلب بن عبد مناف ١٠٠
١٦١، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٣، ١٠٦
معاذ بن جبل ١٩٤
معاذة ٥٩
معاوية (الخليفة) ١٤٣، ١٠٧، ٤٠
٣٩٧، ١٨٩-١٨٧، ١٧٨، ١٧٥
٤٣٢
معاوية بن عمرو بن الشريد ٢٩٥
٣١٦، ٢٩٩-٢٩٧
المعتصم ٤٠٤
معد يكرب (ملك اليمن) ١٠٩
معقل ٣٩٩
معر بن الحارث ٣٢١-٣١٩
معن بن أوس المزني ٤٣٩، ٤٣٨
المغيرة بن شعبة ١١٦-١١٩
» » عبد الله الثقفي ٦١
» » نوفل بن عبد مناف
١٧٦
المفضل الضبي ٢٩٣، ٤٤٤-٤٤٦
ابن مقبل ١٧٤

المرزوقي ٨٢، ٧٣، ٥٣، ٤٨، ٤٧
٢٢٥، ٢٢١، ٢١١، ٢١٠، ١٢١
٢٥٤، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٢٧
٢٨١، ٢٧٦، ٢٦٩، ٢٦٤، ٢٦٢
٣٤٣، ٣٤١، ٣٢٢، ٢٩١، ٢٨٩
٣٧٣، ٣٧٠، ٣٥٧، ٣٤٦
مروان بن الحكم ٤١٣، ١٤٢
» » محمد (الجمدي) ٣٦٣
مسافر بن أبي عمرو بن أمية ١٢٥
المستوغر بن ربيعة ٣٣٧
مسعود بن معتب الثقفي ١٧٢
» » عمرو العتكي ٤٤٦-
٤٤٨
المسعودي ١١٥، ٩٦، ٩٥، ٨٦
١٤٨
مسلم (صاحب الصحيح) ٤٦-٥٣
أبو مسلم الحراساني ٤٤٤
أبو مسمع = الملق
المسور بن مخزوم بن نوفل ١٨٧
مسيكة ٥٩
مسيلة (الكذاب) ٣٥٨
المشرخ بن عمرو الحميري ٩٢
أبو المضاء المسكاري ٣٨٦

فائلة (صن) ٨٥
د بنت زيد ٨٥
أبو فائلة = صل-كان
الناطقة الجمدي ٤٣٣، ٤٣٤
د الذبياني ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١٥
٣٧٤، ٣١٦
د بنت عبد الله ٢٧٨
الذي = رسول الله
نبيه بن الحجاج ١٨٦
النجاشي ٢٦، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٨
١٥٩
أبو النجم العجلي ٤١١، ٤١٩
٤٤٠-٤٤٣
نصوحى البخاري ٥
النضر بن الحارث ٣٧٧
د د كنانة ٩٢-٩٥
النظام ٤٢٠، ٤٢٣
النعمان بن المنذر ١٦٥، ١٦٦
٢١٥، ٢٤٢، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٥٧
٣٧٨، ٣٨٢-٣٨٥
نعيم (ابن أبي الورد) ٣٦٣

المقنع ٤٤٩-٤٥١
المقنع الكندي ٢٠٦
المقوس ٢٥، ١٤٦
المكشوح = قيس بن عبد يغوث
ملحان ٣٨٣
ملكة سبأ = بلقيس
المنتجع التميمي ٢٤٨، ٢٤٩
ابن منذر = محمد بن منذر
المنذر بن ساري ١٩٥، ٢١٧
٢١٨، ٢٢٠-٢٢٢، ٢٤٤
٢٥١
منظور بن سيار ٣٢٥
المهاجر ٣٦٠
المهدي (الخليفة) ٤٠١
أبو المهدي (الأعرابي) ٢٤٨، ٢٤٩
المهلبان ٢٤٩، ٢٥٠
أبو موسى الأشعري ٢٠٠، ٢٠١
٣٧٣
مولز ١٩، ٢٨٧
الميداني (صاحب مجمع الأمثال)
٢٩٣، ٣٦

٢١٠، ٢٠١، ١٨٧، ١٨٣، ١٦٥
٢٣٣
هشام بن عبد الملك ٩٤، ٩٧
١٥٣
» د المغيرة ١٧٠-١٧٢
١٧٧، ١٧٦
» » الوليد ٣٥٠
هلال بن الأسعر ٤٥١، ٤٥٢
الهمداني ٢٧، ١٦٣، ١٩٤، ٢١١
٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥٢، ٢٥٤
٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٠
الهمداني ٢٨، ٤٠٢، ٤٠٣
هند بنت عتبة ٢٩٧-٢٩٩
هود (عليه السلام) ٢٦٧
هوذة بن علي الحنفي ٢٤٢ -
٢٤٤
الهاج ٤٥١
الهيثم بن عدي ٤١
واقد بن عبد الله التميمي ٧٢، ٧٣
الواقدي ٢٣٥
وجدي (فريد) ٣٤٢

نعيم بن ثعلبة ٨٥
النمر بن تولب العكلي ٤٤٣، ٤٤٤
أبو نهشل ١٧٧
نهيك بن مالك ٣٣٦
أبو نواس ٤٢٢
نوفل بن عبد شمس ٣٣١
» » د مناف ١٠٠، ١٠٦
١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١
النوري ٥١
النيسابوري (المفسر) ٨٦
نيكلسون = رينولد فيكلسون
هاشم = هاشم بن عبد مناف
هاشم بن حرمة ٢٩٥
» » عبد مناف ٢٢، ٨٧
١٠٠ - ١٠٧، ١٤٨ - ١٥١
١٥٣ - ١٦١
هاشم المري ٣٠٧
هيرة بن سعد ٣٣٥
هرقل ١٢٨، ١٢٩، ٢٣٤
ابن هشام (صاحب السيرة) ٦٣
٧١، ٧٢، ٧٨، ٨٥، ٩٣-٩٥
٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١٥٢، ١٦٤

٢٧٥، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٨، ٢٦٤

٣٦٢، ٣٤٧، ٣٤٥، ٢٨٩، ٢٨٧

٤٠٩، ٤٠٧، ٣٧٧

يحيى اليزيدي ٢٤٩، ٢٤٨

يزيد بن زعدة ١١٠

» » الصعق ٢٧١

» » عبد الله ٣٩٤

» » عبد المدان ٢٩٤، ٢٩٣

٣١٠-٣٠٨

» » عمرو الغساني ٣٠٤

» » كعب بن شراحيل ٣٣٢

اليزيدي = يحيى اليزيدي

اليعقوبي (المؤرخ) ٢١٨، ٢١٠

٢٧٤، ٢٢٦

يعمر الشداخ ٢٠٥

يوسف بن عمر ٣٨٦

أبو وجزة (ابن عبيد) ٣٥١

أبو الورد ٣٦٣

ورقة بن نوفل ٢٠٠

وضاح اللين ٢٠٦

الوليد بن عبد الملك ٣٦١

» » عتبة بن ربيعة ٢٩٧-

٢٩٩

» » » أبي سفیان

١٨٨، ١٨٧

» » المغيرة ١٧٠ - ١٧٢

٢٥٠، ٢٠٠

وعب بن عبد قصى ١٠١

وهم بن عمرو ٣٨٤

ياقوت (صاحب معجم البلدان)

٢١١، ١٩٤، ١٧٤، ١٧١، ١٠٦

٢٦٢-٢٦٠، ٢٥٣، ٢٤٦، ٢٤٥

٤ - سرر الجماعات (*)

بنو الأدرم بن غالب ٩٦	الآراميون ٣٧
آل أذينة ٤١	بنو آكل المرار ٢٧٦
الأزد ٤١ ٢٤٠ ٢٥٣ ٢٥٤	الإباضية ٢٥٦
٢٥٨ ٢٥٩ ٣٠٦ ٣٥٠ ٤٤٦ -	بنو إبراهيم ٧٥
٤٤٨	الأبناء (فرس اليمن) ٢١٨ ٢١٧ ٧١٢ ٧١٤
الأساورة ٢٤٢-٢٤٤-٢٤٧ ٤٤٧	٢٧٤ ٢٧٠ ٢٢١
الإسبان ١٥١	أبناء الملوك في الجاهلية ٤٤٧
أسد ٧٤ ٨١ ١١٠ ١٥٣ ٢٠٥	الأتراك ٢٠٢
٤٣٤ ٤٤٦ ٤٤٧	الأحابيش ١٤٠ ١٧٢ ٢٩١ ١٦٢
بنو أسد بن عبد العزى ١٨٣	أخبار يهود ١٢٨
» إسرائيل = اليهود	الأحباش ٢١ ٢٥ ١٤٠ ١٩٤ ٤٤١
» إسماعيل ١٠٣ ٢٣٩	الأحرار ٢٥٤
أسيّد ٣٠٦	الأحلاف (عبد الدار وحلقاؤها) ٩٩
أشراف العرب ١٦٥ ٢٧٩ ٤٠٨	الأحلاف (في الخيرة) ٣٧٧
٤٤٩ ٤١١ ٤١٠	الأخباريون ٤١٢
» مكة ٨٧ ١٨٢ ١٨٣	الأدباء ٤٢٣
أصحاب الحديث ٢٣٢	

(*) أكثر أسماء القبائل وردت هنا باسم جد القبيلة خالية من كلمة (آل) أو (بنو).

الأنصار ١٢٦، ١٤٥، ٢٠١، ٢٠٤، ٤١٣
الأنباط ٢١-٢٣، ١٠٥، ٣٦٤
٣٧٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٥، ٤٦٦
الإسكلين ١٦، ٤٠١، ٤٥٣
أهل البحرين ٢١
» البصرة ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢
٤٠٣، ٤٢٠، ٤٢٣
» تامة ١٦٦
» الجاهلية ٥٢، ٥٥، ٥٨-٦٥
» الحجاز ٢٠، ٢٤، ٢٠٣، ٢٦٦
» الحرم ٧٦، ١٥١، ١٦٠، ٢٠٧
٣٦٧
» الحل والعقد ١١٧
» الخيرة ١١٥، ٢٣٢، ٣٧٥
٣٧٧، ٣٧٨
» دومة الجندل ٢٣٤، ٢٣٥
» الشام ١٥٦، ٣٦٤، ٣٦٨
٤٥٣
» الطائف ٢٨٦، ٣٧٤، ٤٣٥

أصحاب عائشة ٤١٦، ٤١٧
» الفيل ١٥٢، ١٦٠
» اللغة ٢٣٢
بنو أصعب ٣٦١
الأعاجم ٤١، ١٠٠، ١٥٥، ١٥٨
٢٥٥
الأعراب ١٨٢، ٢٠٩، ٣٨٠
٤٢١-٤٢٣
أهم الرسول ١٦٤، ٣٤٢
الإفرنج ٢٥، ٢٠٣
الأقنان ٢٠٢
أقيال حمير ١١٤
» اليمن ٢٧٢
أمراء العرب ٨٧، ٤٢٢
بنو أمية بن عبد شمس = الأمويون
الأمويون ١٠٢، ١١٠، ١١٦
١٧٧، ١٨٩، ٣٥٠، ٣٧٠، ٣٨٨
٣٩٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢١
٤٢٤

بكر بن وائل ٤٤٦، ٤٤١، ٢٤٩
بنات الملق ٣١٩-٣١٧
التابعون ٣٣٣
التجار ٢٠٧، ٤٣
تجار البحر ٢٦٩
« البر ٢٦٩
« العرب ١١٦، ٥٦، ٣٢، ١٦
٢٦٧، ١٥٩، ١٥٥، ١٢٧
« المدينة ٢٣٤، ٢٣٣
« التدمريون ١٧
« الترك ٤٥٠
تغلب ٣٨٦، ٣٨٥، ٢٤٩
تيم ٢٣٩، ٢١٧، ٢٠٥، ٩٤، ٧٤
٢٤٢-٢٤٤، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٩٢
٣٧٧، ٣٣٦، ٣٢٣، ٣١٠-٣٠٨
٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٢، ٣٢٩، ٣٨٥
٤٤٨ ٤٤٦
قنوخ ٣٧٧، ٤١
تيم (ابن مرة) ١١١، ١١٠، ٩٦
تيم عدي ٤٣٢، ٤٣١

أهل العراق ٢٣٨
« عمان ٢١
« الكتاب ٤٣، ٤١
« الله = قريش
« مكة ١٦٠، ١٣٠، ٤٣، ٢٥
٤٢٠
« نجد ١٧٩، ١٦٦، ٢١
« هجر ٢١
« يثرب ٧٩، ٦٤، ٢٤
« اليمن = اليمنيون
« الأوس ٢٤ ٣٤٩
« الأولياء ٢٧٥
إباد ٣٦، ٤١، ١٨٦، ٣١٤
٣٢٢
الإيرانيون ٣٨٠
باهلة ٤٢٨، ٤٢٧، ٣٦١
بخاريون ٢٠٢
« البصريون = أهل البصرة
بنو بكر ٢٧٥، ١٦٧
بكر بن عبد مناة ٨١

جمعية الامم ٢٨٢
الجن ٤٢٨
جيش أبرهة = أصحاب الفيل
جيش العسرة ١٤٠
الحاج المشرقي ٢٠٣
» المغربي ٢٠٣
بنو الحارث (في عمان) ٢٥٣
» » بن فهر ٩٦
» » » كعب ٣١٠ ٣٥٣
الحبشة (وانظر الحبشان) ١٥٣
٢١٣ ٢٥٤ ٢٦٦
الحبشان ١٥ ١١٣
الحجاج ٧٨ ٩٩ ١٠٣ ١٠٤
١١٢ ١٢٣ ٢٠٣
الحجازيون = أهل الحجاز
حدان ٢٥٣
بنو حصن ٤٣٠
الحضارمة ٢٥٣
حكام العرب (ا) (بون) ٢٠٥
٢٠٨

بنو ثعل ٣٨٤
» ثعلبة بن بكر بن وائل ٣٥٩
» » » يربوع ٢٣٦
تقيف ٦١ ٦٦ ١٧٤ ١٧٥
٢٨٨ ٢٨٩ ٤٣٢
بنو جدعان ١٣٠
جديد ٢٥٣
جديس ٤١
جديلة ٧٥
» طيء ٢٣٦
بنو جذيمة ٢٩٦
الجرامقة ٤١
جرهم ٤١ ٨٥ ٩٧ ١٨٤ ٤٢٧
جشم ٣٠٩ ٣٣٠
بنو جددة ٤٣٢-٤٣٤
بنو جميل ٣٨٦
جمع ٩٦ ١١٠ ١١١ ١٧٧
١٨٦
جمرات العرب ٤١٢ ٤٣٨
الجمعيات الدينية ٤٥٤

ذؤبان العرب ١٥١
بنو ذبيان ٣١٥
الراشدون (الخلفاء) ١٩٤ ٣٩٥
٤٠٧ ٤١٩ ٤٢١
الرباب ٤٤٦
ربيعة ٧٤ ٧٥ ٢٣٩ ٢٤٢
٣٣٧ ٣٧٥ ٤٤١ ٤٤٥ ٤٤٧
٤٤٨
الرجاز ٤٠٨ ٤١٩
الرواة ٤١٢ ٤٤٠ ٤٤٣
الروم (وانظر: الرومان) ١٨
٢١ ٢٣ ٢٥ ٤١ ٤٢ ٤٤
١١٣ ١٢٩ ١٥٣ ١٦٠ ١٨٢
٣٧١ ٣٧٣ ٣٧٨ ٤٥٠
الرومان ٢٠ ٤٣ ٤٤ ٨٧ ١١٥
٢١٢ ٣٦٤ ٣٦٦ ٣٧٠
بنو ربيعة ١٧٦
زيد ١٨٣
الزراع ٥
الزط ٤٤٧
زهرة ٩٦ ١٨٣
بنو زهير (من عكل) ٤٤٢

المجرايون ١٩٦
حمير (المجربون) ٢٠ ٣٧ ٤١
٤٢ ١١٤ ٢٦٨ ٢٧٠ ٢٧١
٢٧٤ ٣٧٧
حنظلة ٤٤٦
حنيفة ٢٤٣ ٣٥٣ ٣٥٨
الحياه بن سعد بن عمرو ١٧٢
بنو حية ٣٨٤ ٣٨٥
خنعم ٨١ ١٥١ ٣٢٣
الخراسانية ٤٤٤
خزاعة ٤١ ٧٥ ٧٩ ٢٩١
الخرز ٤٥٠
الخرزج ٢٤ ١٠٥
خضم ٣٠٦
الخلفاء ٣١
خلفاء الأمويين ٤٠٨
خمارو الحيرة ٣٨١ ٣٨٦
خندف ١٧٤
الخوارج الإباضية ٢٥٦
الحرورية ٣٤٣
بنو دهمان ٣٠٠
الديان ١٣٠ ٢٩٣

الشعوبيون ٤١٣ ٤٣٩
بنو شيبان ٣٠٥
شعبة علي ٤٣٢
بنو الصادر ٣٦٧
الصحابية ٣٣ ٧١ ٩٨ ١٣٥ -
١٣٧ ١٤٦ ١٥٩ ١٨٨ ٢٢٢
٢٤٨ ٣٥٧ ٤١٣
صالحك العرب ١٥١
الصناع ٣٢
الصين (الصينيون) ٢٥ ٢٠٢
٢١٣ ٤٥٠
الضاظفة (جالبو الميرة) ٢٣٣
ضبة ٤٤٦
طسم ٤١ ٢٤٠
طيه ٢٢ ٤١ ٧٤ ٨١ ١٥١
٢٢٣ ٢٢٦ ٢٣٩ ٢٩٣ ٣٦٧
٣٧٧ ٣٧٩ ٣٨٢ ٣٨٣
بنو ظفر ٣٥١
عاد ١٩٤ ٤٥١

الزوار ٢٠٧
بنو زيد (من آل أبي طالب)
٤٣٩
آل سامة ٤٢٩
سبا ١٧-١٩ ٣٧
السبايجة ٤٤٧
سخينة = قريش
سدرس ٢٤٠
بنو سعد ٢٤٢ ٢٤٣ ٣٠٩
٣١٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٤٣٢-٤٣٤
٤٤٦
السكون ٢٣٨
بنو سليم ١٧٦ ٣٢١ ٣٥١ ٣٥٣
٤٣٢
اللماسرة ٢٩
آل السبيدع ٤١
السند ٤١
سهم ٩٦ ١٠٥ ١١٠ ١١١
١٧٦
السودان ٤٥٠
الشراة ٤٦١
الشعراء ٣١٥ ٣٦١ ٣٦٩ ٣٧٢
٤٠٨ ٤١٩ ٤٢٢ ٤٥١

عتيك بن عامر بن لؤي ٢٥٣، ٩٦

عجل ٤٤٠

العجلان ٤٢٧

العجم = الفرس

بنو العدل ١٢٥

عدي ١١١، ١١٠، ٩٦

عذرة ٣٥٣، ٢٣٣

العرب ٩-١١، ١٥-٢٥، ٢٩، ٣١

٣٣، ٣٥، ٣٨، ٤٠-٤٦، ٥٣، ٥٨

٦٠، ٦٣، ٧٠، ٧١-٧٢، ٨٢، ٨٦، ٨٧

٩٣-٩٥، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٨

١١٢-١١٧، ١٣٠، ١٣٧، ١٣٨

١٤٢، ١٤٣، ١٤٥-١٤٨، ١٥٠-١٥٠

١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩

١٧١، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٥

١٩٨-٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨-٢٠٨

٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٦-٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٦

٢٥٠-٢٥٦، ٢٦٢-٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٩

٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٨-٢٨٥

٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧-٢٩٧

٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦

٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٣٨

٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٥

بنو عامر ٤٣٣، ٣٤٩، ١٧٠، ٧٥

٤٣٤

عامر بن صعصعة ٣١٢، ٣٠١، ٨١

٣٢٨-٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٩

بنو العباس = العباسيون ٤٠١

٤٠٣، ٤٠٩، ٤٢٤، ٤٤٤

العباد (في الحيرة) ٣٧٧

العباهلة (ملوك اليمن) ١٤٩

عبد الدار ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠

١١٠

عبد شمس ١٩٠

عبد العزى ٩٦

عبد القيس ٣٦، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٢٢

٤٤٦، ٤٤٧

بنو عبيد الله بن دارم ٢٥١

» » » » » زيد ٢١٧، ٢٤٤

» » » » » غطفان ٢٨٣

» » » » » المطب ٣٢٨، ٣٣٠

» » » » » مناف ٩٥، ٩٩، ١٠٠

١٠٥، ١٥٢، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨

١٧٢، ٣٢٨

العبلات ٣٣١

العبيد ٤٣٩

بنو عبيد ٣٥٨

غفار ١١٣
غني ٣٠٢، ٢٥٩، ١٦٧
فارس (وانظر : فرس) ٢١
٢٤٢، ٢١٣، ١٨٢، ١٥٣، ١٢٨
٤٤٩، ٣٧٨
الفراغنة ٤١، ١٩
الفرس ٣٨، ٣٧، ٢٥، ١٨، ١٦
٤١-٤٣، ٨٧، ٩١، ١١٣، ١٢٩
١٩٤، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٥٤، ٢٥٥
٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٠، ٣٧٨، ٣٩٥
٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٠، ٤٢٢، ٤٤٩
الفرسان ٣٠٥
فرسان العرب ٢٣٦
الفرنجية = إفرنج
فزارة ٣٢٥، ٣٥٣، ٤٤٥، ٤٤٦
بنو فقيم ٤٥١
فهر ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٨٣، ٤٣٢
قبائل العرب ١١٢، ١٢٤، ١٥١
١٥٣، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥
٢٠٨، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٣٨، ٢٤٢
٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٦

٤٠٢، ٤٠٧، ٤١٠، ٤٢٢، ٤٤٩
٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣
عرب الحيرة ١٩٥
العشرة المبشرون ٣٦٧
عضل ٢٩١
عكل ٤٤٢
العلويون (وانظر : شيعة علي)
٤٤٤
بنو علي = العلويون
بنو العم ٤٢٩
المهاقي ٤١
بنو عمرو بن تميم ٨١
" " الثاني ٦٦، ٦١
" " بن مرشد ٧٤، ٢٣٩
العنابس ١٧٥، ٢٨٤
العنبر بن عمرو بن تميم ٣٠٦
بنو العنقاء ٣١٦
عوف بن كعب ٤٣٤
آل غاب ٢٩٩
الغرب (المحتل) ٢٨٨
غسان ٤١، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٧
٢٥٣، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١
غطفان ١٦٦، ١٦٧، ٢٩١

بنو القين بن جسر ٣٣١
» قينقاع ٢٥٨، ٢٤

كتاب الوحي ١١٥

بنو كعب ٤٣٧، ٤٣٨

» » بن ربيعة ٧٥ ، ٣٢٨
٣٥٣

» » » لؤي ٩٧

كلاب ١٦٧، ٧٥، ٤٣٧، ٤٣٨

كلب ٧٤، ١٨٨، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٢

٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٣٢، ٣٣٣

٣٨٣، ٣٧٧

كليب ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٨

كناة ٧٥، ٨٥، ١٦٦، ١٧١، ١٧٥

١٧٨، ٢٠٥، ٢٣٣، ٣٠٠، ٣١١

٤٣٢، ٣٤٥، ٣١٢

كندة ٢١٨، ٢٧٦، ٣٢٥، ٣٥٣

الكوفيون ٤٢٣

بنو لام ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥

» لجا ٤٣١

لحم ٣٧٧

لصوص العرب ٢٧٩

اللغويون ٤٢٢

قريش (القرشيون) ٢١١، ٢١٢، ٢١٩

٤٢، ٦٢، ٧٠-٧٥، ٧٨-٨٠

٨٤-٨٧، ٨٩-١٧٨، ١٨١

١٨٣-١٨٥، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٢

٢٠٥-٢٠٧، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٤

٢٥٨، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣

٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٠٣

٣١٠-٣١٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٨

٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣

٣٦٦، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٧

٤٢٩

بنو قريظة ٢٤

» قشير ٤١٨

» قصي ١٠٢، ١٢٦، ١٧٩

قضاة ٨١، ١٥١، ٣٧٥

قفقاسيون ٢٠٢

القوافل العربية ١٦، ١٧، ١٩

٣٨، ٥٨، ١٣٩، ١٥٨، ٣٦٦

٣٧٩

قبس (قبس بن عيلان) ٨٤، ١٢١

١٦٢، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥

٢٠٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٢٣، ٣٣٧

٤٣٢

قبس بن ثعلبة ٧٤، ٢٣٩

آل مسروق بن وائل الحضرمي

٢٧٦

المسلمون ٤٢٠٢٨٠٢٦٠٢٤٠٩

١٣٨-١٣٤٠٧٢٠٧١٠٦٤٠٥٨

٣١٣٠٢٠٩٠١٨٧٠١٥٩٠١٤٥

٣٩٨٠٢٧٥٠٣٦٩٠٣٦٨٠٣٥٧

٤٤٨٠٤٤٣٠٤٢٩

المشركون ١٤٥٠٣٠٠٣٨٠٢٤

٢٢٣٠٣١٣٠٢٠١٠١٧٥٠١٥٩

٢٦٤٠٢٦٢٠٢٣٦٠٢٣٥

مشركو مكة ١٩٨٠٤٢

بنو المصطلق ٢٩١٠١٧٢

المطيبيون (أحلاف بني عبد

مناف) ٩٩

معد ٤٤٨٠٤٣٤٠٣٣٣٠٨٦

معن بن طهم ٣٣١

المعنيون ١٨٠١٧

مقاربة ٢٠٢

بنو المغيرة ٣٥٠٠١٧٦٠٦٦٠٦١

المفسرون ٦١٠٥٩٠٣٠-٢٨

٢٥٤٠١٦١٠١٥٢

المقلسون ٣٧٣

المكيون = أهل مكة

مازن ٤١٧٠٣٠٦

بنو مالك ٤٤٦٠٢٥٣٠٢٤٩٠٢٥

» مجاشع ٤٢٩

المجبرون = بنو عبد مناف

بنو محارب بن خصفة ٢٦٧٠٩٦

٣٥٣٠٣٢٧

المحدثون ٢٦٠

آل محرق ٤٤٧

بنو مخزوم ١١١٠١١٠٠٠١٠٥٠٩٦

١٧٥٠١٥٠

مدرسة البصرة ٤٢٣

» الكوفة ٤٢٣

بنو مدركة بن هذيل ٣٠٠

مدحج ٣٠٩-٣٠٧٠٢٩٤٠٢٩٣

٣٧٧

المرابون ٦٠

بنو مرة بن عوف بن ذبيان ٣٠٧

٣٥٣

مزامح ٤٣٣

المزون ٣٢٣

مزينه ٤٣٨

المستشرقون ١١٠٣

بنو المستكبر ٢٤٥٠٢٤٤

٥ - سرد الأماكن

أندرين ٥٨ ١٩٦
الأندلس ٢٧٢ ٤٠٠
أنقرة ١٥٤
أنهار البصرة ٣٩٨
الأهواز ٤٠٤ ٤٢٩
أواره ١٦٦
أوروبا ١٧ ١٨ ٢٠ ٤٣ ٣٥٤
٣٧٦ ٣٧٥ ٣٦٥
إيطالية ٤٠١
أيلة (العقبة) ١٦ ٢٠ ٢٤ ٢١٢
باب البريد (بدمشق) ٥
بابل ١٦
باب المنذب ١٩ ٢٦٨
البادية ١٥
بارق ٢٤٨
باشان ٣٦٥
بترا ١٩
البحر الأحمر ٩١ ٢٦٨
بحر الصين ٢٦١
« عدن ١٦

آسية ٢٠ ٢٦٨ ٣٥٤
الأبطح ١٣٠
الأبطحان ٢٩٩
الأبلة ٢٠٧ ٣٩٥ ٣٩٩
أبين ٢٦٨
الأبيداء ٢٨٦ ٢٨٨
أحد ٢١٣
الأحقاف ٢٥٣ ٢٥٧
أخشيابكة (جبلان) ٩٦ ٢٨٣
أدم ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٦
أديار الخبرة ٣٨٠
أذرعان ٢٤ ٤٣ ٥٨ ١٩٦
١١٢ ٢٢١ ٢٢٦ ٣٦٢ ٣٦٣
٣٧٢-٣٧٣-٤٧٥
(جبل بكة) ٣٤٤
٢٢١ ٢٢٥ ٢٢٦
٢٠ ١٠٧
٣٧
٣٥٤
الأنبار ٤٠ ٢٠٧ ٣٧٧

٣٧٣ ٣٧١-٣٦٤ ٢٦٣ ٣٦٢
٣٧٥
البطحاء (بكة ، الأباطح ، البطاح)
٤٢٧ ٩٧

بطن مر ١٧١
بغداد ٦ ٢١٥ ٣٩٣ ٤٠١
البيبيع ٢٩ ٣٠
بكة ٨٦
بلاد العرب = جزيرة العرب
البلقاء ٣٧٢
البنديفة ١٠٩
البيته ٢٨٦

البيت ، بيت الله (وانظر :
المسجد الحرام ، الكعبة)
٧٤ - ٧٦ ٨١ ٨٢ ٨٤ ٨٥
٨٧ ٩٩ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٧
١٠٩ ١١٢ ١٢٢ ١٢٣ ١٤٧
١٤٩ ١٥١ ١٦٠ ١٦١ ١٧٦
١٨٤ ٢٠٤ ٢٢٢ ٢٢٣ ٣٨٣
٣٨٧

بيت المقدس ١٢٨
بيروت ٥٤

تؤام ٢٦١

بجر عمان ٢٥٦
د فارس ٢٦١
البحر المتوسط ١٨ ١٩

د الهندي ١٥ ٢٦١ ٢٦٦
٢٦٨

بجر اليمن (وانظر : بجر عدن)
٢٥٤ ٢٥٢

البحرين ١٥ ٢١ ٢٨ ٤١ ١٧٧
٢٤٥ ٢٤٠ ٢١٤ ٢١٢ ٢١١

٣٧٥ ٣٥٨ ٢٩١ ٢٥٣ ٢٥١
٤٥١ ٤٠٣ ٣٨٠

بدر ١٣٥ ١٣٦ ١٣٩ ١٤٠
٢٢٥ ٢١٩ ٢١٦ ٢١٣ ٢١١

٢٩٧ ٢٢٦
براديس ١٤٠

بردى ٨
البصرة ٢٠٩ ٢٣٢ ٢٥٢ ٣٥٨

٣٦٠ ٣٦١ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥-
٤٠٦ - ٤١٠ ٤١٩ ٤٢١ -

٤٢٣ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٩ ٤٤٧
٤٥٢

بصرى ٢٤ ٤٣ ١١٣ ١٩٦
٢١٢ ٢٢١ ٢٢٦ ٢٧٨ ٢٤٥

٤١٠ ٣٩٣ ٣٧٤ ٣٦٦ ٣٥٧
جلاجل ٤٣٥
جمع = مزدلفة
الجند ١٢٤ ١٩٤ ٢١١ ٢١٩
٢٢٥ ٢٢٦
جنوة ٤٠١
الجوف ٢٣٢

حانات الخيرة ٣٨٠
الحاوية (قرب الطائف) ٢٨٨
حباشة ٧٠ ١٣٢ ٢٠٩ ٢٢٤
٢٢٦ ٢٥٨-٢٦٠ ٢٦٢
الحبشة ١٥ ١٦ ١٨ ٢٨ ٤٤
٧١ ٨٧ ٩١ ١٠٣ ١١٣ ١٣٤
١٣٧ ١٤٦-١٤٩ ١٥١ ١٥٦
١٥٩ ١٦١ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٦٨
٣٦٤

حبشي (جبل بكة) ١٧٢
الحجاز ١٦ ٢٠-٢٤ ٢٦ ٢٩
٦٠ ١١٣ ١٥٥ ٢٠٣ ٢٠٨
٢٤٥ ٢٥٣ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٦٦
٢٦٨ ٣٦٤ ٣٨٠
الحجر (في المسجد الحرام) ١٨٣
٣٢٣

التبت ٢٥٧
تبوك ٢٣ ١٤٠
تدمر ١٦-١٨
تمشار ٢٩٦
تهامة ١٦٦ ٢٥٧ ٢٥٨
تيرى (نهر) ٤٢٩
تباء ٢٠

تبير ٣٢٠
الغفور الرومانية ١٦
ثبلان ١٤٥
الجامعة السورية (بدمشق) ٦ ٨
د الصربية ٣٧
جامعة ميونيخ ٣٧
جبلاطي ٤١ ٢٣٣
جدة ٩١
جريب ١٩٤

الجزيرة، جزيرة العرب ١٥-٢٥
٢٨ ٢٧ ٦٠ ٧٤ ٩١ ١٣٨
١٤٧ ١٥٨ ١٩١ ١٩٤ ١٩٦
٢٠٧ ٢٣٨ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٦٢
٢٦٥ ٢٦٦ ٢٧١ ٢٧٧ ٢٩١
٣١٤ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٨ ٣٥٦

حصن ناعم ٣٥٧
» نطاة »
» الوطيح »
حضر موت ١٩ ٧٠ ١٩٤ ٢١٧
٢١٨ ٢٢٠-٢٢٦ ٢٧٥ ٢٧٦
الخير ٣٦٦
حلبون ٣٧٠
حمص ١٢٨ ٢٧٢
حوران ٣٦٢-٣٦٥ ٣٦٨
حوزة ٢٩٥ ٢٩٧
حيدر آباد ٥٠ ٢١١ ٢٢٥
الحيرة ٢١ ٣٧ ٤١ ٤٢ ٤٤
٥٨ ١١٤-١١٨ ١٦٥ ١٩٥
٢٠٧ ٢١٢ ٢١٥ ٢٢٥ ٢٣٢
٢٤٤ ٢٧٩ ٣١٤-٣٨٩
خبث ٢٩٦
خزانة العرب = البصرة
الخط ٢١٤ ٢٤١ ٢٥١
خليج العجم = الخليج الفارسي

الحجر (الأسود) ١٨٣
حجر البامة ١٩٣ ١٩٥ ٢١١
٢١٧ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٦
٢٤٧ ٣٥٧ ٣٥٨-٣٦١
الحجون ١٥٦ ١٨٠
الحديبية ٣٣ ١٢٨ ١٣٧ ١٥٩
حراء ٣٢٠
الحرثان ٢٩٩
الحرم ٧٣ ٧٦ ٧٨ ٧٩ ٨٣-
٨٦ ٩١ ٩٧ ٩٩ ١١٢ ١٥١
١٦٠ ١٦١ ١٧٠ ١٧١ ١٨٢
٢٠٢ ٢٠٧ ٢٨٩ ٣٦٧
الحريرة ١٧٧ ١٧٨ ٢٨٨
حصن السلام ٣٥٧
» الشق »
» الصعب بن معاذ »
» القموص »
» الكتيبة »
» مارذ ٢٢٣
» المشقر ٢٢٦

٣٨٩،٣٨٦،٣٧٩،٣٧٢،٢١٦
٤٢٩
دار الندوة ١٠٤،٩٨،١٠٤،١٢٩،١٣٠
١٣٩
« نيروز ٤٤٩
دارين ٢١٤
الدباغين (في البصرة) ٤١٦
دي ٢١٣،٢١٧،٢١٨،٢٢٠
٢٦٧،٢٦٥-٢٦٤،٢٢٦،٢٢١
دجلة ٤٠١،٣١٥،٤٣٥
درعا = أذرع
الدكن ٢٢٥
الدعة ٢٨٦
دمشق ٣-٦،٨-١٠،٣٧،٢٢٢
٢٧١-٢٧٣،٢٦٢،٣٦٤،٣٦٩
٤٥٤،٤٥٣
دومة الجندل ٤٦٥،٤٨،٧٤
١١٤،١٩٥،٢١٦،٢٢٤،٢٢٦
٢٣٢-٢٣٩،٢٤٤،٢٥٠،٢٥١
٢٧٠،٢٦٧،٢٦٣

الخليج الفارسي ١٨،١٩،٢٣٢
٤١٠،٢٥٤،٢٥٢،٢٤٥
الحنافس (سوق في العراق)
٣٧٥
الحندي ٤٤٥
خوام (نزل بدمشق) ٨
الخورنق ٣٧٧
خير ٥٢،٦٠،١٤٠،١٦٧،١٦٨
٢١٧،٢٢١،٢٢٣،٣٥٧،٣٥٦
٤٠٤،٣٧٩
خيوان ٢٧٣
دار الآثار (بدمشق) ٨
« جعفر بن سليمان ٤٠٩
« عبد الله بن جدعان ١٨٣
١٨٤
« العظم (بدمشق) ٣٦٢
« الكتب الظاهرية ٥٤،٢٨١
« « المصرية ٢٦،٢٦،٨٦،١٢٥
١٢٨،١٢٩،١٥٥،١٨٩،٢٠٠

زيد ٢٦١
زوزم ١٠٧، ١٠٤
السدير ٣٧٧
سلع ٢٠
السلفية = المطبعة السلفية
سلمان ١٥٧، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٠
سمرقند ١٠٧
السند ٢٦٩، ٢٦٥
السواد (العراق) ٣٧٥
سورية ١٩، ١٨، ١٦، ٦، ٥
السوس الأقصى ٤٠٢
سوق النبط ١٠٥، ٢٣
السييل الصغير (قرب الطائف)
٢٨٧، ٢٨٦
السييل الكبير (قرب الطائف)
٢٨٧، ٢٨٦
السياحون ٣٧٨
الشام ٢٤-٢٣، ١٨-١٥، ٨، ٦-٤
٨٧، ٨٦، ٤٤، ٤١، ٢٩، ٢٧، ٢٦
١٠٧-١٠٤، ١٠٢-١٠٠، ٩٨
١٢٧، ١١٨، ١١٧، ١١٥، ١١٣
١٤٣، ١٤١، ١٣٧-١٢٩

دومة الخيرة ٢٣٣، ٢٣٢
دير أيوب ٣٦٣-٣٦٢، ٢٢٦، ٢٢١
٣٧٠
ذات الأثل ٢٩٧، ٢٩٥
ذو الحجاز ٢٠٢، ١٤٩، ٨٠، ٧٥، ٧٠
٢٢٦، ٢٢٤-٢١٧، ٢١١، ٢٠٣
٣٥٥-٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٢٨٩
٢٦٣، ٣٥٧
ذو الحجاز (في العراق) ٣٤٧
ذو المروة ١٨٧
الرابية (بمضرموت) ٢٢٦، ٢٢٥
٢٧٦
الربذة ١٤٠
الروم ١٧٧، ١٧٦
ردمان ١٥٦، ١٠٧، ١٠٦، ١٠١
ردينة ٢١٤
الرصافة ٣٦٣
روضة الأجداد ٢١١
» دعي ٢١٢، ٢١١
رومة ١٨
الروم ١٤٩، ١٤٦، ١٠٢، ١٥
٣٩٣، ٢٦٩، ١٥٥

شحنة ١٧١-١٧٣ ٢٨٨
شيخ سعد ٣٦٢
صغار (البحرين) ٢٦٢
د (اليمن) ٢١٧، ٢١٣، ٢٧٠
٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٨
٢٢٦ ٢٦١-٢٦٣ ٢٦٤، ٢٧٠
الصحراء الكبرى ٤٠٢
صرخة ٣٧٠
الصعاب ٤٥١
الصفا (حصن بالبحرين) ٢٤٠
٢٤١
صفيح ٤٤٥
صنعاء (دمشق) ٢٧٢
د (اليمن) ١٩٤، ١٠٩، ٥٥
٢١٧-٢٢٤، ٢٢٦، ٢٦١
٢٧٥ ٢٧٤-٢٧١
صيدا ٢٥
صيدون = صيدا

١٦١، ١٥٩-١٥٤، ١٥١-١٤٧
٢٣٣، ٢٣٢، ٢٠٣، ١٩٦، ١٧٦
٢٤١، ٢٧٨، ٢٥٧، ٢٥٣، ٢٣٨
٣٦٠، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٤٥، ٣٤٣
٣٧٥، ٣٧٣-٣٧٠، ٢٦٨-٢٦٣
٤٥٣، ٣٩٣، ٣٨٠، ٣٧٩
شامة ٣٤٤
شيام ٤٣٢
شبت ١٩
الشجر (شجر مهرة) ٢١٧، ١٩٣
٢٦٤، ٢٢٦، ٢٢٤-٢٢٠، ٢١٨
٢٧٥، ٢٧٣، ٢٦٩ ٢٦٧-٢٦٦
٢٩١
شرب ١٧٦-١٧٤ ٢٨٨، ٢٨٤
الشرق ١٧٠٨
شرفي الأردن ١٦
الشعب ٩٦
شعب جبلة ٤٤٥
شماری ٣٨٢

٢٣٨ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢٠٣ ، ١٩٦
٢٨٦ ، ٢٧٨ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢٣٩
٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣١٨ ، ٢٩١
٣٦٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٨ ، ٣٤٧
٣٩٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤
٤١٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠١ ، ٣٩٩
٤٣٧ ، ٤١٨
عرفة (عرفات) ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩
٢٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ١٤٥ ، ١٠٤
٣٤٧
عسفان ٣٤٥
المشيرة (قرب الطائف) ٢٨٨
العقبة (الميناء الشامية) ١٦
» (بمكة) ٢٣٢ ، ٧٨
عكاظ ١٠ ، ٢٥٤ ، ٣٦ ، ٧٠ ، ٧٥
٨٠ ، ٨٤ ، ٨٤ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ، ١٦٢
١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠
١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥
٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٧٧
٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢
٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤٠٧
٤١٣ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤

الصين ٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٤٠٢
الضلع (واد بصنماء) ٢٧٢
الطائف ٢١ ، ٢٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧١
٧٩ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٦
١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢١٥ ، ٢٨٦
٢٨٧ ، ٣٧٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢
طفيل ٣٤٤
الظهر (واد بصنماء) ٢٧٢
الظواهر (بمكة) ٩٧
عبادان ٣٩٨
عبدس ٣٩٨
العلاء ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٨٨
العجم (وانظر: فارس) ١٢٨
عدن ١٦ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢١٣
٢١٧ - ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٦
٢٦٨ - ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧
العراق ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٤٤
٥٦ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٠
١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٦
١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٨٠

٣٧٧، ٣٧٥، ٣٧٤، ٢٧٩، ٢٧٠

٤٣٩، ٣٩٣، ٣٨٠، ٣٧٨

فخ ٣٤٤

فدك ١٦٦

الفرات ٣٧٧

فرغانة ٤٠٢

فرنسة ٤٠١

فلاج ٤٣٩، ٤٣٣

فلسطين ٤٥٤، ٤٥٣، ١٨

الفانس ٢٨٦

قبة الإسلام = البصرة

قبر الأعشى ١٩٨

د غالب (أبي الفزدق) ٤٢٤

٤٢٥

أبو قبيس (جبل بكة) ٩٦

١٨٣

القدس ٢٠٧

قروح (من أسواق العرب) ١٩٤

قرطاجة ١٠٩

قرطبة ٦

١٢٦، ٤١، ٢١، ١٩، ١٥

٢٢٤، ٢٢٠، ٢١٢، ١٩٥، ١٩٤

٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٢، ٢٤٠، ٢٢٦

٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦١، ٢٥٧-٢٥٢

٤٠٣، ٣٨٠، ٣٧٩، ٢٩١، ٢٧٥

همواس ١٠٧

العين (نهر في البحرين) ٢٤٠

الغار (مخبة النبي وصاحبه) ١٣٤

غدير الحقل ٢٧٣

غزة ١٠٠، ٥٨، ٣١، ٢٤، ١٩

١٢٩، ١٢٧، ١١٣، ١٠٦، ١٠٥

٢٧٨، ٢١٢، ١٩٦، ١٥٦، ١٣١

٣٧١، ٣٤٥

غمدان ٢٧٢

وانبلا ٢٠٨

فارس ١٢٧، ١١٩، ١٠٣، ٢٥، ١٥

٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٢، ١٦١، ١٢٨

٢٦٩، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٤، ٢٥٠

ليفربول ٤٠١
مارب ١٩/٣٦٦
مارد ٢٣٣
مبايض ٣٠٦
المتحفه البريطانيه ٢١١
المجمع العلمي (بدمشق) ٦٠٥
١٠٠٨
مجنة ٧٥٠٧٠، ٨٠، ١٩٦، ٢٠٢
٢٠٣، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦
٢٨٩، ٢٩٠، ٣٤٤-٣٤٦، ٣٥٢
٣٦٣
المدائن (مدائن كسرى) ٣٧
٣٧٥، ٢٤٢
مدرسة التجيز (بدمشق) ٨
المدرسة العادليه ٥
المدينه (وانظر : يثرب) ٢٢، ٢٠
٢٤، ٢٦، ٢٩، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٩
١٠٦، ١٠٧، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠
١٤١، ١٤٣، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٨

القليب (بئر في بدر) ١٣٩
قسرين ٣٧٠
قنونا ٢٥٨
القهاوي ٢٨٦
القيروان ٣٩٣
كبكب (جبل في عرفات)
٣٤٧
الكرخ ٢١٥
كرمان ٤٠٣
الكمبه ٨٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧
١٠٨، ١١٥، ١٢٣-١٢٥، ١٣٣
٤٣٧
كناسه (سوق الكوفه) ٤٠٧
٤٢٣
الكوفه ٢١٥، ٣٥٨، ٣٧٦، ٣٨١
٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧
٤٢٣، ٤٤٧
ليدن ٢٨، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ١٠١
١٢٤، ١٣١، ٢٠١، ٣٣٧، ٤٠٢
٤١٨

الميل الصغير (قرب الطائف)
٢٨٨،٢٨٧
د الكبير (قرب الطائف)
٢٨٨،٢٨٧
المشارف (الشامية) ٤٣،٢٨،٢٤
٣٧١
المشاعر (في الحرم) ٣٣٢
المشقر ٢١٨،٢١٧،١٩٥،٥٠
٢٢٦،٢٢٤، ٢٢٣،٢٢١،٢٢٠
٢٥٤،٢٥٣ ٢٤٤-٢٤٠ ٢٣٦
٢٦٣
مصر ٢٦،٢٥،١٩،١٨،١٥،٦
١٩٧،١٤٦،١٢٧،١٢٢،٤٤
٤٠٢،٣٩٣،٣٤١،٢٦٨،٢٠٣
٤٠٧،٤٠٣
المطبعة البية ١٩٧
مطبعة التقديم العلمية ١٢٢
» الجامعة السورية ٤١١
» الجوائب ٤٤
المطبعة الحسينية ٢١٥

٢٣٤-٢٣٢، ٢٢٥،٢١٣،٢٠٩
٤٠٣،٣٤٤،٣٢٠،٢٥١،٢٤٥
٤١٥
مدينة محمد بن القهر ٢٤٠
مر الظهران ٣٤٤
الربيد ٣٤٣،٢٢٥،٢١٠،٢٠٩
٤٥٢-٤٠٤ ٣٩٥،٣٩٤،٣٦١
الربدان ٤١٨
مرسيلية ٤٠١
مرو الشاهجان ٢٦٠
المزة ٢٧٢
المزدلفة ٢٠٣،١٠٤
مسجد الجنيد ١٩٤
المسجد الحرام (وانظر: الحرم)
٣٣٣،١٣٠،١١٢،٧٢،٣٠
مسجد خاتون (قرب دمشق)
٢٧٢
» صحار ٢٦٢
» المدينة ١٨٧،٥٨،٢٩
» المشقر ٢٤٠

١٧٠، ١٦٩، ١٦١-١٥٥، ١٥٢

١٨٥، ١٨٣-١٨١، ١٧٧، ١٧٢

٢١١، ٢٠٢، ١٩٨، ١٩٦، ١٨٦

٢٥٥، ٢٣٩، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩

٢٨٩، ٢٨٦، ٢٧٨، ٢٥٩، ٢٥٨

٣٤٠، ٣٣٦، ٣٢٩، ٣٢٠، ٢٩١

٤٢٧، ٣٥٢، ٣٤٨، ٣٤٤، ٣٤٣

٤٣٢

ملحان ٢٩٧، ٢٩٥

المملكة الأردنية = شرقي الأردن

مملكة حمير ٤٢

منعج ٣٠٢

مفي ٢٠٤، ٢٠٢، ١٠٤، ٩٩، ٨٥

٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٦، ٢١١

٣٤٧، ٢٨٣

ميونخ ٣٧

نجد ٣١٨، ١٦٦، ٩١، ٢٢، ٢١

٤٣٣، ٣٧٢، ٣٦٨

نجران ٢١١، ١٣١، ١٣٠، ٦٢

٢٤٠، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٦

٣١٠-٣٠٨

نخلة ١٧١-١٦٩ ١٣٥، ٧٢، ٧١

نقم (جبل) ٢٧٣

مطبعة حيدر آباد ٢١١

المطبعة الرحمانية ١٥٠، ١٣٢

السلفية ٩٣، ٩٢، ٦٢

١٤٢، ١٣١

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

٤١٧، ١١٠

معاقر ٢٧٤، ٢٦٩

معرض دمشق وسوقها ٤٥٣

٤٥٤

المغرب ٤٠٠

المقبرة (بالبصرة) ٤٢٦

مقبرة بني حصن ٤٣٠

م م مازن ٤١٧

المكتبة الظاهرية = دار الكتب

الظاهرية

مكربة = مكة

مكة ٣٧، ٣٠، ٢٨-٢٥، ٢١-١٩

٧٤، ٧١، ٦٧، ٦٣-٦٠، ٤٢، ٤١

٩٣، ٩١، ٨٧، ٨٦، ٨٢، ٧٨، ٧٥

-١٠٦، ١٠٤، ١٠٢-٩٧، ٩٤

١١٧، ١١٥، ١١٤، ١١٢، ١٠٩

١٣١، ١٣٠، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٢

١٥١، ١٤٩، ١٤٣، ١٣٩-١٣٥

وادي القرى ٦٠ ١٤٠ ١٩٤
د القصر ٤٠٤
د لية ٢٨٦
الوحيدة ٣١٩ ٣٢٠
وقيعه (ماء) ٣٦٨
بيرون ٤٤٨
يثرب (وانظر : المدينة) ٢٤
٦٠ ٦١ ٦٤ ٣١٩ ٣٤٩ ٣٧٢
اليزموك ٣٦٩
اليكسوم ١٤٩
اليامة ١٩٣ ١٩٨ ٢١١ ٢١٧
٢١٩ ٢٤٣ ٢٩١ ٣٥٨ ٤٠٣
اليمين ١٥ ١٦ ١٩ ٢١ ٢٥ ٢٦
٣٧ ٤١ ٤٤ ٦١ ٨٥-٨٧
٩١ ٩٥ ٩٨ ١٠٠ ١٠٦
١٠٨ ١٠٩ ١١٣ ١٢٤ ١٣٥
١٢٧-١٢٩ ١٣٦ ١٤٣ ١٤٨-
١٥١ ١٥٤ ١٥٦ ١٦١ ١٦١
١٩٤ ٢٠٧ ٢١٥ ٢٤٢ ٢٤٣
٢٤٥ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٦-٢٥٨
٢٦٢ ٢٦٩-٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٥
٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٦ ٢٩١ ٣٢١
٣٤١ ٣٥٦ ٣٦٤ ٣٧٥ ٣٨٠

نظاة خبير ٢١٧ ٢٢١ ٢٢٣
٢٢٦ ٣٥٧-٣٥٦
نطاع ٢٤٣
نعمان (واد باليمن) ٤٢٥
النفرات ٣٠١
نقيل السود ٢٧٢
نقرة ٧٨
نهر الأبله ٣٩٩
د البصرة ٤٠٥ ٤٠٦
د معقل ٣٩٩
نينوى ١٦
هجر (البحرين) ٢١ ٢٨ ٥٨
١٩٣-١٩٥ ٢١١ ٢١٢ ٢٢٦
٢٤٠-٢٤٣ ٢٥١-٢٥٢ ٢٥٤
٢٥٦ ٢٧٨
هجر (المدينة) ٢٤٥
الهند ١٥-١٩ ١١٣ ١٤٧ ٢٤٥
٢٥٠ ٢٥٤ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٦٨
٢٦٩ ٢٦٤ ٣٧٥ ٣٧٩ ٣٨٠
٤٠٣
وادي جدر ٣٧٢
د عليب ٢٧٣

٦ - مصدر الاستعارة (*)

ص	القافية	صدر البيت
٣٤٨	الكفلاء	واذكروا حلف ذي الحجاز وما
١٨٦	عدوانها	حمي البغيلة إذ نأت
٢٨٣	لواء	وتوقد ناركم شرراً ويرفع
٣٠٧	• •	ألا أيذا الذي لم يجب
٢٧٨	للعرب	إن تبغضونا فإن الروم أصلكم
١٧٨	واللوب	إني من نفر المحر أعينهم
٢٨٦	صحي	أياخذني في بطن مكة ظالماً
٤٣٨	شابا	بها برص بجانب استكتها
٣٨٧	قطوب	تريك القذى من دونها وهي دونه
٣١١	أنغيب	نغيبت عن يرمي عكاظ كليهما
٣٨٢	طيبب	جنان شماری ليس مثلك منظر
٤٣٥	هابا	رأيت الجحش جحش بني كليب
٣٨٧	القصب	صالني الشرطي أن نسقيه
٤٣٨، ٤٣٧	كلايا	ففض الطرف إنك من غير

(*) مرتبة على أحرف الروي ثم على أوائل الأبيات . وقد استغنينا عن القافية في الأبيات
المصرعة كما فعلنا في الرجز .

صدر البيت	القافية	ص
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا	مشطب	٣٧٦
لا تفضبن على امرئ في ماله	فاغضب	٤٤٣
ليالي سعد في عكاظ يسوقها	ومغرب	٢٩١
ما للفرزدق من عز يلوذ به	الحشب	٤٢٩
أربعة كلهم سيد	لسادات	١٠٧
فأقرت قرارها بعمان	الحماة	٢٥٣
فلا والله لا ألقى وشرباً	حيث	١٩٩
فلا ولدت بعد الفرزدق حامل	تبلت	٣٦١
وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط	برت	٣٨٦
ولولا الحمس لم يلبس رجال	يموتوا	٨٣
أمي يابن الأسكر بن مدليج	. .	٢٩٤
ومن بك مثلي ذا عيال ومقترأ	مطرح	٣٧
أبكي أبي عمراً بعين غزيرة	هجوها	٢٩٩
أبكي حميد الأبطحين كلهما	يربدها	٢٩٩
أكتم أرضنا فجردتموها	حصيد	٢٠٣
ألم يبلغكم أنا جدعنا	بالقياد	١٧٤
إن القساء قبلنا إباد	نكاد	٣٢٢
إني لقاض قضاء سوف يتبعه	أود	٤٣٤

صدر البيت	القافية	ص
أبا رفقة من آل بصرى تحملت	رشدًا	٣٦٩
تعدون قتلاً في الحرام عظيمة	راشدُ	٧٢
زد وادي القصر نعم القصر والوادي	جودي	٤٠٤
سائل ذوي يمن ورهط محرق	مسعودًا	٤٤٧
سيكفيك عبس أخو كهس	بالمربد	٤٤٧
غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة	يفدو	٣٥٠
الغدر أهلك عاداً في منازلها	الجندُ	١٩٤
فأبلغ إن عرضت بتنا هشاماً	الوليدا	١٧٢
لعمرك ما تبلى سراويل عامر	جاودها	٤٣٣
لما رأته جمدة منا وردا	. .	٤٣٣
له داع بمكة مشعل	ينادي	١٣٠
مات الندى بالشام لما أن ثوى	لا يبعد	١٠٦
نبئت أن بني ربيعة أجمعوا	خالدا	٤٤٥
وغسان الذين هم استنبوا	البلاد	٢٥٣
ياخال ذرني ومالي ، ما فعلت به	مودي	٣٣٦
وهيجتني من أذرعاع وما أرى	بعدا	٣٧٢
أبوكم قصي كان يدعى مجعاً	فهر	٩٤٩١
إذا ذقت فإها قلت طعم مدامة	التيجرُ	٥٨
الكني إلى قومي ولو كنت نائياً	المشاعر	٣٣٢
أم يبلغك ما فعلت قريش	أبيروا	١٧٤
ألهى قصياً عن المجد الأساطيرُ	. .	١٢٦
إنا أتيناك وقد طال السفرُ	. .	٤٤٣

صدر البيت	الغافية	ص
بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع	المنأخر	٣٦٨
بقبر ابن ايلي غالب عدت بعدما	قسر	٤٢٥
بل كيف تكفرني هو ازن بعدما	أحراوا	٣٠٤
تذكر القلب وجهلاً ما ذكره	• •	٤٤٢
حلفت لتعقدن حلفاً عليهم	دار	١٨٤
ذري للغي أسعى فإني	الفقير	٣٧
سأكسب مالاً أو أموت ببدة	قبري	٣٧
شيطانه أنسى وشيطاني ذكر	• •	٤٤٢
شهدت على الزبيدي أن نساءه	تحرر	٤٣٩
فأدبجوا قد أعاد الله نعمتهم	بشر	١٤٣
فحملت معتلج البطاح	بالظواهر	٩٧
فسر في بلاد الله والتمس الغنى	فتمذرا	٣٧
فلما اجتمعنا بالعلالي بيننا	تاجر	٢١٤
فلو شهدني من قریش عصابة	الظواهر	٩٦
فإني رحيق سببها التجار	جدر	٣٧٢
في الذاهبين الأرياء	بصائر	٣١٤
قد جبر الدين الإله فجبر	• •	٤٤٢
لا تجحدوا نعماء بشر عليكم	أزهر	١١٤
لئن هجوت بني صخب لقد تركوا	آثار	٣٦١
لقد كذبت وشر القول أكذبه	مضر	٤٣١

ص	القافية	صدر البيت
٣١٦	دما	لنا الجففات الفر يلمعن بالضحى
١٧٤	أحجار	منا الذي ترك العوام مجندلا
٢٩٦	الأشعار	نبثت زرعة والسفاهة كاسمها
١٧٩	الذمار	فحن كتنا الملوك في آل نجد
٢٥٣	المشقر	وأزد لها البحرات والسيف كله
٢٣٦	المشقر	وأعصفن بالدومي من رأس حصنه
٢١٥	نار	وإن صخرأ لتأتم الهداة به
٢٤٥	تمر	وربت غارة أوضعت فيما
١٢٦	تحقر	ولا مرتع للعين أو متقنص
٢٦٧	• •	ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشجر
٣٣٥	الفرز	ومرة لبسوا نافعيك ولن ترى
٢٧١	حميرا	ومن ير صنعاء الجنود وأهلها
٢٤٣	النحر	ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا
١٨٣	والنفر	يا آل فهر لمظلوم بضاعته
٤٣١	عمر	يا تيم تيم عدي لا أبا لكم
٣٢٢	• •	يا من رأى كصفقة ابن بيده
٢٨٠	• •	يسأني الباعة أين نارها
•	• •	• • ما نجارها
٤٣٥	جريرا	يا صاحبي دنا المسير فسيرا

صدر البيت	القافية	ص
يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم	جازي	٣٠٩
لم تدور بصري بما آليت من قسم وقربش هي التي تسكن الـ	الكراديس قربشا	٣٦٩ ٩٢
تحمل هاشم ما ضاق عنه	ابن بيض	١٠١
تركت الفارس البذاخ منهم	عبيطا	١٧٨
أتاني عن أمية زور قول	حفاظ	٣٤٠
ألا من مبلغ حسان عني سانثر ما حبيت لهم كلاماً	عكاظ	٣٣٩
فإنك ضحاك إلى كل صاحب	عكاظ	٤٣٠
إذا طلعتنا نقييل السود لاح لنا	عكاظها	٣٣٩
تمتع عن البطحاء ان قديمها	مرتبع	٢٧٢
حتى كآني للحوادث مروة	الفوارع	٩٦
سائل بنا في قومنا	تقرع	٢٤١
كان الإيئد الحاري منها	ساعة	١٨١
وداهية يبال الناس منها	الدموع	٣٧٦
إذا بني القباب على عكاظ جاءت هوازن أرسلالاً وإخوتها	خاوعي	١٦٧
	الألوف	٣٣٩
	وانصر فوا	١٧٦

ص	القافية	صدر البيت
٢٤٦	٠ ٠	حبسن بين رملة وقف
١٥٣	إلاف	زعمتم أن إخوتكم قريش
١٠١	عجاف	عمرو العلاء هشم الثريد لقومه
١٩٧	٠ ٠	غضبت علي لأن شربت بصوف
١٩٧	بجروف	ما إن عنتب لأن شربت بصوفة
٣٠٠	٠ ٠	نحن بنو دهمان ذي التغطرف
٣٠٠	٠ ٠	نحن بنو مدركة بن خندف
١٥٠	كالكافي	والخالطون غنيم بفقيرهم
١٩٧	بأرض الريف	واقدم شربت الحمر في حانوتها
١٥٢	مناف	يا أيها الرجل المحول رحله
٣١٧	٠ ٠	أرقت وما هذا السهاد المورق
٣٥٢	أعرق	فإن تتهموا أنجد خلافاً عليكم
٤٤٥	القلق	مهلاً بني عمنا ظلاءتنا
١٢٠	طبق	ولورآني أبو غيلان إذ حسرت
٤٣٤	حاول	أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً
٤٢٧	فواضله	أحارث خذ ما شئت منا ومنهم
٤٢٧	غوائله	أحارث داري مرتين هدهتها
٣٨٥	الأثقل	أضحى لتغلب من تميم شاعر
١٨٦	تهليلا	أنني والذي يحج له

ص	القافية	صدر البيت
٣٣٢	الأجل	بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
٣٤٤	جليل	ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
٤٤٠	٠ ٠	الحمد لله الوهب المجزل
٣٧٢	عالي	تنورتها من أذرعها وأهلها
٣٧	محمل	دعيني أطوف في البلاد لعاني
١٩٩	والمال	سأله للفتى ما ليس في يده
٣٧٠، ٣٤٥	الرحل	سلافة راح ضمنها لإداوة
٣٣٠	قاتلي	شربت براحتي محجن
٢٤١	نخيلها	فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء
٣٧٢	الضحل	فما فصلة من أذرعها هوت بها
١٦٧	٠ ٠	قد كانت الفعلة مني ضلة
١٧٦	بالمصاويل	قومي اللذو بعكاظ طيروا شرراً
١٩٩	عقلي	لعمر كإن الحمر ما دعت شارباً
١٧٠	رعابيل	لقد وعدنا قريشاً وهي كارهة
٣٦٩	المتناول	نظرت وطرف العين يتبع الهوى
٣٨١	سبيل	هل إلى سكرة بناحية الخيرة
٣٦٠	قليلا	هلك الفرزدق بعدما جدهته
٤٣٠	باطلة	وإن كليباً إذ أنتني بعبعدها
٤٣٤	فيصلا	وإني لقاض بين جعدة عامر
٣٤٧	الحبل	وراح بها من ذي الهجاز عشية

صدر البيت	القافية	ص
ولا من في جنازتها تجار	التعال	١٢٧
أنت الذي شبت عنزاً بقفرة	سالم	٤٣٤
أباهل لو أنت الأنام تنافروا	الأم	٤٢٧
أفي كل أسواق العراق إفاوة	درهم	٥٦
ألا بشرا من كان لا يملك امت	نيام	٤٢٨
ألا كيف البقاء لباهلي	والجعبير	٤٢٧
ألا قه قوم و . . . لدت	سهم	١٧٦
ألا أيها الناهي فزارة بعدما	حالم	٤٤٥
ألسنا الناسين على معد	حراما	٨٦
أمت خناس والمماما	أستقامها	٤٤٦
أو كلما وردت عكاظ قبيلة	يتوسم	٣٠٥
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل	ضالم	٤٣٥
تركت الشعر واستبدات منه	قاما	١٩٩
تلكم قريش لم تكن آباؤها	تنقسم	١٤٣
دعوت سناناً وابن عرف وحارثاً	وهاشم	٣٠٧
رأيت الخمر صالحة وفيها	الكرما	١٩٩
عشية سال المربدان كلامها	الصوارم	٤١٨
علمين قتيان كساما محرق	رأنما	٣٧١
فلئن بنيت لي المشقر في	العصم	٢٤٠

صدر البيت	اللقافية	ص
فما الام التي ولدت قريشاً	عقيم	٩٤
لعمر ك ما مزينة رهط ممن	سنام	٤٣٨
لعمر ك ما نعيم أهل فلج	كرام	٤٣٩
للغانيات بذوي الجواز وصوم	..	٣٤٨
لنا الجففات القر يلمعن بالضحى	دما	٣١٦
هي أكلت لحومكم كلاي	نهام	٤٣٣
مشرين ترعون النجيل وقد غدت	مزاخم	٤٣٣
من حسن لي الاخوين كالـ .	راهما	٣٩٨
فحن آل الله في ذمته	قدم	١٠٩
وإن قصياً أهل عز ونجدة	قديمها	١٧٩
ولاني وإن ضربت حبال قيس	نيم	٣٢٣
وجدنا آل سامة في قريش	نيم	٤٢٩
وددت وبيت الله لو أن أنفه	العظيم	٣٨٣
ولقد شربت من المدامه بعدما	المعلم	١٩٧
ولو أعطيت من ببلاد بصرى	وعنجم	٣٧٠
وما أنت إن قر ما نيم تساميا	في الغرم	٤٣٢
وما قصرت من حاضن دون سترها	ظالم	٣٠٤
ومنا الذي أعطى يديه رهينة	الهاجم	٤٤٨
بأشدة ما أشدنا غير كاذبة	والحرم	١٧١
أحب عمان من حبي سليبي	عمان	٢٥٢

صدر البيت	القافية	ص
إذا اصطبحت أربعا عرفتي		٤٤٠
الاسائل هو ازن يوم لاقوا	معلمينا	١٧٥
الا هي بصحنك فاصبعينا	.	٣٤٠
لاني رأيت القائلين وفعلمهم	الديان	١٣٠
جعلت لعراف الهامة حكمه	سفياني	٣٥٨
فعررت به القطا ونصبت عنه	اللعين	٣٢٤
سأعمل نص العيس حتى يكفني	الحدثان	٣٧
قالت وكنت رجلا فطينا		٣٨٧
لولا أبو مالك المرجو نائله	وطنا	٤٠١
لولا دفاعي كتم أعبدا	فالسيلحون	٣٧٨
لو يسمعون بأكلة أو شربة	بعمان	٢٥٤
مئة أنت من بعدها مئتان لي	سنينا	٣٣٨
وأعلم ان ستدركني المنايا	تبعيني	٤٤٣
وغزا تبع في حمير حتى	عدن	٣٧٧
وقائلة علم إلى النصابي	تعليمنا	١٩٩
إذا ما المرء صم فلم ينجي	ندايا	٣٣٨
ألا أيها الركب اليانون عرجوا	يمانيا	٤٢٥
فلا توعديني بالفجار فلانة	الحجازيا	١٨٠

٧ - مسرد الكتب (١)

الاسلام والحضارة العربية	اجتماع الجيوش الاسلامية ٢٨٤
(لكره على) ١٥٨	أحسن التقاسيم ٤٠١، ٤٦
الاسلام والمرأة (للمؤلف) ٢٨٤	الاخبار الطوال (للدينوري)
أسواق العرب (هذا) ٢٨٧	أخبار مكة (للأزرقى) ٨٠ ،
أسواق العرب (لابن الكلبي) ٢١٦	١٢٤ ، ٢٠٤ ، ٢٥٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
الاصابة ٣٣٦	أخبار النساء (لابن القيم) ١٢٢
الاصنام (لابن الكلبي) ٢١٦، ٢٨٥	الادب المفرد (للبغاري) ١٣١
الاعلاق النفيسة (لابن رسته) ٣٨٧	الازمنة والامكنة (للمروزي)
الاغاني (للاصفهاني) ١١٦، ٢٢٦	٢٢١ ، ٢١٠ ، ١٢١ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٤٨ ،
١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ -	٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ،
١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،	٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٦٣ ،
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،	٣٧٣
٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،	اساس البلاغة (للزنجشيري) ٥٤

(١) تشير الارقام الى مواطن الاستشهاد بالمصدر او ذكره في هذا الكتاب ، وننبه هنا الى ان بعض المصادر كالمقد الفريد وطبقات الشراء مثلا صدرت لطبقات جديدة ونقلنا عنها اضافات كما كنا نقلنا عن طبعتها القديمة ، ومع انا اشترنا غالبا الى الطبقات في الحواشي فالتنا الاشارة اليها احيانا كما سوتنا عن المزو في بعض المواضع . فعلى المراجع ان لم يجد الرقم في نسخته ان يبحث عنه في طبعة اخرى .

بلوغ الارب (للالوسي) ٤٦ ، ٤٧

١١٣ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ٢١٠

٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢

٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٤٢

٣٤٣

البيان والتبيين ٣١٥ ، ٤١٢ ، ٤٢٠

تاج العروس ٣١ ، ٣٤ ، ٤٧ ،

٥٤ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٤٤ ، ٤٠٣

تاريخ الاسلام (للذهبي) ١٤١

تاريخ التمدن الاسلامي (لزيدان)

تاريخ دول العرب والاسلام

(ل حرب) ٣٣٤

تاريخ الطبري ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢١٥

٢٣٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٤١٢

٤١٤

تاريخ العرب الادبي (لتكلسون)

١٩ ، ١٠٧

تاريخ العرب قبل الاسلام (لزيدان)

١٦٧

٢٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٥١

٣٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٥

٣٨٩ ، ٤١٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣

٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥

الاكليل (للهداني) ٢٧ ، ١٦٣

١٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠

الامالي (للقالي) ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠

١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٩٦

١٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧

٤١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥

الامناع والموانسة (لتوحيددي)

١١ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦

أمثال الضبي وامرار الحكماء

وحيددي ٤٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥

أزساب الاشراف (للبلاذري)

انسان العميون ١٠٨

البخلاء (للجاحظ) ٤٠٢

بلاغات النساء ٣٣٩

البلدان للمهداني (٢٨ ، ٤٠٢

٤١

٣٦٧
تهذيب التهذيب ١٤١، ١٤٢،
٢٧٩
التوراة ١٧، ١٨
تيسير الوصول (لابن الديبع)
٤٩، ٥١، ٦٩، ٧٦، ١١٣
ثمار القلوب (لثعالبي) ٢٦، ١٤٦،
١٤٨، ١٤٩، ٢٦٧، ٣٢٣، ٤٠٩
الجامع الصحيح - صحيح البخاري
الجمهرة (لابن دريد) ٥٤
جمهرة أشعار العرب

حاشية الدسوقي على المغني ١٩٧
الحسن من قریش (لأبي عبيدة) ٧٥
حوادث الكشاف ٩٢، ٢٦٨

حياة محمد (لهيكل) ١٣٩
خريطة الادويسي ٢٨٧
خزائن الادب ٦٢، ٩٢، ٩٣
١٧٣، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٧
خطط الشام ٣٦٤

دائرة معارف وجدي ٣٤٢
دلائل النبوة ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٠

تاريخ الافات السامة (لاصرائيل
ولفسون) ١٨
تاريخ ملوك الحيرة (للاعظمي)
٤٤، ٣٨٠
تاريخ القناص ٣٤٠
تاريخ البعقري ٢١٠، ٢١٨، ٢٢٦،
٢٧٤
تاريخ اليهود في بلاد العرب
(لاصرائيل ولفسون) ٢٣
النصر في التجارة (للجاحظ)
التطور النعوي (لبراجسترامر)
٣٧
تفسير ابي الحسن البكري ٢٧٥
تفسير الخازن ٢٨، ٦٣، ٦٦،
٢٠٤
تفسير الطبري ٦٥، ٦٦، ١٤٣
تفسير النيسابوري ٨٦
التقرير الخامس بأعمال المجمع العلمي
بدمشق ٦
التنبية والاشراف
تهذيب تاريخ ابن عساكر (ليدران)
٢٦، ١٤٦، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦١

في أصول النحو (المؤلف) ٤١١

٤٢٣

في منزل الوحي (لميكل) ٢٨٦

٣٤٣، ٢٨٧

القاموس المحيط ٤٨، ٢٦، ٥٤، ٥١

١٦١، ١٥٧، ١٤٨، ٨٣، ٧٦، ٧٠، ٥٦

٢٨٤، ٢٥٧، ٢٠٥، ١٨٥، ١٧٢، ١٦٤

٤٢٦، ٣٩٩، ٣٧٣، ٣٢١

قبائل العرب (للقلشندي) ٢٢٣

القرآن الكريم (وانظر فهرس

الآيات) ٣٠، ٣٣، ٣٩، ٤٠، ٦٤، ٦٧

١٤٨، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٠٨، ٣٢٨، ٤٢٠

الكامل (لابن الاثير)

د. د. (للبرد) ٣٢٧، ٤١٢

٤٤٨، ٤١٨

الكشاف ٩٢، ١٥٢

لباب النقول (للسيوطي) ٢٨، ٧٧

لسان العرب (لابن منظور) ٣٤

٤٧، ٥٤، ٩٧، ١٧٤، ١٩٤

٣٥٨، ٢٤٥

الطبوغرافية الاثوية لسورية

وفلسطين (لدوسو) ٣٦٢

عائشة والسياسة (للمؤلف) ٤١٧

عجائب المخلوقات ٢٧٥

العقد الثمين ٢٨٣

العقد الفريد ٧٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٠

١٢٨، ١٣٢، ١٤٤، ١٦٣، ١٦٤، ٢٥١

٢٧٨، ٣٠٦، ٣١١، ٤٠٠

العمدة (لابن رشيقي) ١٦، ٧٥

١٧٢

العواصم من القواصم ١٤٢

عيون الاخبار (لابن قتيبة)

الفائق للرمحشيري ٢٩، ٥٤

فتح الباري (لابن حجر)

فتوح البلدان (للبلاذري) ٦١

٦٢، ٣٩٦

فجر الاسلام ٢٥

فضل الاندلس (لابن حزم) ٤٠٠

الفهرست (لابن النديم) ٧٥

المختبر ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٧٥، ٧٧،
٩٦، ١٢١، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢،
١٥٨، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٦،
٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٦٣، ٢٦٥،
٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٩٢،
محيط المحيط ٥٤
مختلف تأويل الحديث ٣٣٨
المختص (لابن سيده) ٥٦، ٢١٦،
مدينة العرب في الجاهلية والاسلام
١٢٩، ٢٩٠
مراد الاطلاع ٢٥٦، ٢٦٤،
٢٨٧، ٢٨٩
خروج الذهب (السعودي) ٨٦،
٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١١٥، ١٤٨،
المزهر (للسيوطي) ١١٣، ١٨٠،
١٨٤
مسالك الابصار (العمري)
٢٥٠، ٣٦٧، ٣٨٠
المسالك والممالك (للاصطخري)
٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٦، ٤٩٨

ما رأيت وما سمعت (الزركلي) ٢٨٦
ما يعول عليه في المضاف اليه ١٢٥
المتناهي (في اللغة) ٣٨٧
مثير العزم الساكن (لابن
الجزري) ٢٨١
مجلة الرسالة ١٩، ٤٣، ١٠٧، ٣٤٣،
السياسة الاسبوعية ٢٨٧
المجموع العلمي العراقي ١٧
العربي ١٤٧، ١٩٦،
٢٨٧، ٤٠١
مجلة مجمع اللغة العربية ٣٨
و المختار ٢٠٨
المشرق ٢٥، ٢٨، ١٠٩، ٢٨٠،
المقتطف ٣٨٠
مجمع الامثال (الميداني) ٣٦، ٢٩٣،
المجمل (لابن فارس) ٥٤
مجموعة الوثائق السياسية (لمحمد
الله) ٢٣٥
المحاسن والاضداد للجاحظ

المنتخب من ذيل المذيل (الطبري)
٣٣٣

المنتقى من اخبار الاصمعي (الضياء
المقدس) ٥٤

نفع الطيب (المقري) ٤٠٠

النقائض ٤٣١، ٤٣٦، ٤٣٠

النوادير (لقالي) ٣٥، ١٠٧،
٤١١، ٣٧٩

النهاية (لابن الاثير) ٥٤، ٥٢،
٢٣٢

نهاية الأرب (لأنويري)

الوسيط (للاسكندري وعناني)
٣٤٢

المسالك والممالك (لابن حوقل)
١٣١

المنجاء من فـلات الأجواء
(لتنوخى) ٤٢٦

المصباح المنير (للقيومى) ٩٣، ٥٤

المعارف (لابن قتيبة) ١٣٢

معجم البلدان (لياقوت) ١٧١،
١٧٤، ١٩٤، ٢٤٥، ٢٦٠، ٢٧٥

٢٨٧، ٤٠٧، ٤٠٩

معجم الشعراء (للمرزباني) ٢٣٨

معجم الطبراني ٢٠٤

معجم ما استعجم (للبكري) ٢٨٧

المغرب في ترتيب المغرب
(المطرزي) ٥٤

٨- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
بين يدي الكتاب: معارض الشام- سبب تأليف الكتاب	٥

الباب الأول

شؤون العرب التجارية : بين الجاهلية والاسلام

تمهيد في تجارة العرب	١٥
بيوع الجاهلية	٤٦
الرمي بالحصاة - ٤٨ : المنايدة - ٤٩ الملامسة - ٥٠ : المعاومة - المزابنة - ٥١ المحفلة - المخابرة - ٥٢ : جبل الحبله - ٥٣ : التصرية السرار - ٥٥ الساخر - الجس - موقف الاسلام من هذه البيوع - دبا الجماعية	٦١
الحلون والمحرمون والحمس	٧٠

الباب الثاني

الموضوع	الصفحة
أحداث قريش التجارية :	٨٩
١ - قريش التجار . اسم قريش - مادة قريش - الوظائف الرسمية لقريش - ١١٢ : عامة قريش .	٩١
ب إبلان قريش	١٤٦
ج - حرب الفجار	١٦٢
سنتها - ١٦٥ : سبها - ١٦٩ : يوم نخلة - ١٧١ : يوم شمطة - ١٧٣ : يوم العلاء - ١٧٤ : يوم شرب ١٧٧ : يوم الحريرة	١٦٤
د - حلف الفضول	١٨١

الباب الثالث

اسواق العرب أ - في الجاهلية ب - في الاسلام	
اسواق العرب : أ - في الجاهلية	٢٣١
سوق دومة الجندل	٢٣٢
سوق المشقر	٢٤٠
سوق هجر	٢٤٥

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
سوق عمان	٢٥٢
سوق حباشة	٢٥٨
سوق صحار	٢٦١
سوق دبي	٢٦٤
سوق الشعر	٢٦٦
سوق عدن أبين	٢٦٨
سوق صنعاء	٢٧١
سوق حضرموت	٢٧٥
سوق عكاظ	٢٧٧

٢٩٣ : مناصرة - ٢٩٥ : في سبيل بقيّة - ٢٩٦ : خبطة غـدر
٢٩٧ : معاظبة في المصائب - ٣٠٠ : الفجار الاول - ٣٠١ : إثارة - ٣٠٢ : ظفر
بئار - ٣٠٤ : سيف بئار لصاحبه - ٣٠٥ : شريف غير مقنع - ٣٠٦ : تأديب
سفيه - ٣٠٧ : إغاثة - ٣١٠ : حروب الفجار - ٣١٣ : واعظ - ٣١٥ : تنافس
شعراء - ٣١٦ : ترويع بنات - ٣١٩ : منحة محررة - ٣٢٢ : صفقة خاسرة -
٣٢٣ : فتنة جمال - ٣٢٤ : راية غدر - ٣٢٥ : داعية الإسلام - ٣٣٠ : خمرة -
٣٣١ : تلقيب - تصاريف القدر - ٣٣٤ : نداء - منب العزى - ٣٣٦ : منب
الرزق - فرسان العرب - ٣٣٧ : مارأيت شيئاً أكذب - ٣٣٨ : خاتمة -

سوق مجنة ٢٤٤

سوق ذي الحجاز ٢٤٧

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
نظافة خير	٢٥٦
سوق حجر	٢٥٨
٣٥٩ : منافرة - ٣٦٠ : جرير يبكي الفرزدق - ٣٦١ : شاعر بطاف به مجلدها	
سوق دير ايوب	٢٦٢
سوق بصرى	٢٦٤
سوق أذرعان	٢٧٢
سوق الحيرة	٢٧٤
٣٨٣ : منافرة حامية - ٣٨٥ : حرمة شاعر في ولده - ٣٨٦ : حلق لله - نخارة وشرطي - ٣٨٧ مسخ - ٣٨٨ : وطنية صادقة .	
أسواق العرب : ب - في الاسلام	٢٩١
الأسواق في الاسلام	٢٩٣
البصرة - المربد	٢٩٥
سوق المربد	٤٠٧
٤٢٤ : هرة بقبر - ٤٢٥ : مجنون في حب - اناب مال - ٤٢٦ : غلام ينجل الفرزدق - تديم دور المجانين - ٤٢٧ : هجاء ابليس - ٤٢٩ : جرير يهجو قبيلة - والفرزدق لعبة - ٤٣١ : ضحية بين فحلين - ٤٣٢ : الحكة في تتافر شاعرين - ٤٣٤ : نقد سخط - ٤٣٥ : إعدام قبيلة - ٤٣٨ : رد عدوان ٤٣٩ : سلاطة - ٤٤٠ : معركة الرجاز - ٤٤٢ : صحابي بكتاب نبوي -	

الموضوع	الصفحة
من عن السيامة - ٤٤٦ : حل سلمي - ٤٤٩ : استعراض الامم - إعلان مجلجل	٤٤٣ :
استدراك	٤٥٣
مصادر الكتاب	٤٥٥
مسرد الآيات	٤٥٧
مسرد الأحاديث	٤٥٩
مسرد الأعلام	٤٦١
الجماعات	٤٨٠
الاماكن	٤٩١
الأشعار	٥٠٤
الكتب	٥١٥
الموضوعات	٥٢٢

إضافات للطبعة الرابعة(*)

(١)

بعد ص ١٦ س ٥ :

أ - « كان العرب يُعرفون لدى الشعوب القديمة بأنهم وسطاء التجارة وحفظة دروبها ، جرياً على عادتهم في الحل والترحال وتمرسهم بالمفاوز ، وارتيادهم ما فيها من مرعى ومسارب ومناهل وآبار ، فوق صبرهم على شظفها ولأوائها ، وكانت بلادهم بحكم موقعها الجغرافي حلقة الاتصال بين ممالك العالم القديم . ولقد قال (استرابون) : « إن العربي تاجر بفطرته ... » .

ولما أجمعت فارس على شلّ التجارة الرومانية مع الهند والمشرق الأقصى . . . كان تهافتها شديداً على احتلال جنوبي الجزيرة لمنع بضائع المشرق من الوصول إلى أسواق الرومان .
ولقد كان معظم التجارة مع جنوب الجزيرة يمر من الحجاز ومصر على أيدي التجار من أبناء اليمن ، وبعبارة أوضح السبئيين الذين كانت بيدهم عروض (حضرموت وظفار) وجميع ما يرد من سلعة إلى صنعاء من الهند ، كانوا يؤمون بها

(*) أشرت قبل كل إضافة إلى حيث يجب أن تزداد فيه من الطبعة الرابعة .

المحطة الكبرى العامة (تيماء) شمالي الحجاز إلى المراكز الشمالية في الطريق العربي ، مرورا بـ (سلع) و (بصرى) و (تدمر) و (دمشق) . . الخ » .

من بحث للشيخ فؤاد الخطيب باشا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ص ٤٩٣ من المجلد ١٧ بعنوان صلة الجاهلية بالعالم القديم :

(٢)

ب - وله بعد ما تقدم رأي لا بأس في الإطلاع عليه ، ذكره في ص ٤٩٨ من المصدر السابق : « أما قريش فكانت في تلك الحلبة التجارية هي المجلية ، فقد قبضت على مخنق العرب واحتجنت الأموال ، واستأثرت بالمتاجر أوكدت . وإن اسمها في أذني ليوسوس إليّ بأنه تصغير تعظيم لكلمة (القرش) وهو دابة عظيمة تكون في البحر الملح ، تخافها دواب البحر كلها لقوتها وبطشها ، ولا تزال معروفة حتى اليوم بين العرب وفي الحجاز خاصة باسمها القديم أي (القرش) ، ويوجس منها الناس الخوف الشديد . . . قال الشاعر :

ر بها سميت قريش قريشا	وقريش هي التي تسكن البحـ
رك فيه لذي جناحين ريشا	تأكل الغث والسمين ولا تتـ
يأكلون البلاد أكلاً كميثا ^(١)	هكذا في البلاد شأن قريش

(١) الكميث: السريع . انظر «لسان العرب» (كمش).

(٣)

أنواع المتاجر

تتمة الحاشية (١) في ص ٢٧ :

ذكر الشيخ فؤاد الخطيب في بحثه (صلة العرب في الجاهلية بالعالم القديم أنواع متاجر العرب قال : « . . وأما أنواع تلك المتاجر فهي :

من الهند : الدر والياقوت والمسك والكافور ، والعود الرطب وأنواع العطر والفلفل .

ومن الصين : الحرير والقصب ، ومن اليمن نفسها : الذهب من معدن (عشم) ، والجزع والعقيق من مخاليف اليمن الشرقية ، ومن الشحر : النارجيل . . .

ومن الأنحاء الأخرى : العبيد والبهار والأنسجة الفاخرة والوشي والنمارق والنعاج والعسل والصوف والحن والبرود والفحم والحنطة والحجارة الكريمة . . . ويتاجرون بالخرفان والكباش والأعتدة وأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب .

وصفوة القول أن العرب يتاجرون مع سورية بالأرجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت ، ومع فلسطين بالحنطة والحلاوة والزيت والعسل والبيلسان ، ومع دمشق بالصوف الأبيض والخمر .

أما تجارة البدو الرائجة عند ذوي اليسار منهم فكانت فيما تفتقر إليه معاشهم كالوبر للبجاد ، والصوف للخباء ، والشعر للفسطاط ، والقطن للسرداق ، والأديم للطراف ، قال طرفة :

رأيت غبراء لا ينكرونني ولا أهل ذباك الطراف الممدد

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٧/٥٠٠ .

(٤)

محطات التجار بين الحجاز والشام

بعد ص ١٢ في ص ٤٢ :

ولما نزلت آية الاستئذان ذكروا المواطن التي كانوا يضطرون إلى دخولها في أسفارهم ، وهي غير مسكونة ، بادر أبو بكر رسول الله (ﷺ) بقوله : «يا رسول الله ، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ، ولهم بيوت معلومة على الطريق ، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟» فنزلت الآية :

﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ الآية ٢٩ من سورة النور .

كتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ..

(٥)

نقود في الجاهلية والإسلام

بعد س ٨ ص ٥٥ :

جاء في مجلة (الهلال) المصرية في عدد يوليو سنة ١٩٣٨ م ص ١٠٨٦ ما يلي : « كانت المقايضة أهم أساليب التجارة [يريد البيوع] في العصر الجاهلي ، ومع هذا فقد عرف العرب النقود قبل الإسلام بعهد طويل .

في كتاب (تاريخ التمدن الإسلامي) أن العرب في الجاهلية كانوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر ، وهي الدراهم والدنانير ، وكانت الدنانير من الذهب والدراهم من الفضة . وكانت عندهم كذلك نقود نحاسية ، منها الحبة والدانق .

ويقدّر الدينار اليوم [سنة ١٩٣٨ م] بعشرة فرنكات ، وربما زادت قيمته إلى ١٥ درهماً ، وكان الدرهم يساوي عشرة قروش مصرية تقريباً .

وقد ظل العرب يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية حتى ظهر الإسلام وأسست الدولة الإسلامية ، فأنشؤوا (السكة) .

وقد جاء في المقرئزي : « أول من ضرب المعاملة في الإسلام عمر في سنة ١٨ هـ على نقش الكسروية ، وزاد فيها : (الحمد لله محمد رسول الله) ، وفي بعضها : (لا إله إلا الله) وعلى جزء منها اسم عمر .

وعبدالله بن الزبير ضرب بمكة دراهم مستديرة ، وهو أول من ضرب هذه الدراهم ، ونقش بدورها : (عبدالله) ، ويأحد الوجهين : (محمد رسول الله) وبالأخر (أمر الله بالوفاء والعدل) .

وهناك نقود منسوبة لخالد بن الوليد على رسم الدنانير الرومية ، عليها : الصليب والتاج والصولجان ، واسم خالد بالحروف اليونانية « اهـ » .

بعد سطر ١٠ من ص ٢٥١ :

(٦)

« وفي هجر مجوس ، وقد صالحهم رسول الله على أن يأخذ منهم الجزية ، غير مستحل مناقحة نسائهم ولا أكل ذبائحهم »^(١) .

(٧)

أشراف العرب والصناعات

بعد ص ٤٥ س ٤ :

رأيت أن أختم هذا الفصل بنصين هامين في موضوعنا أودعه هذه الحاشية : جاء في كتاب (المحاسن والأضداد) المنسوب للجاحظ :

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف ط ٢ المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ١٢٩ .

« روي أن أبا طالب كان يعالج العطر والبز ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعدق النخل ، وكان أخوه عتبة نجاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حداداً ، وكان عقبة بن أبي مُعَيْط خماراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت (الكعبة) خياطاً ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان أمية بن خلف يبيع البُرْم ، وكان عبدالله بن جدعان نخّاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والإبل ، وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحّاك بن قيس ومعمربن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين وكان المسيب أبو سعيد زياتاً ، وكان ميمون بن مهران بزازا ، وكان مالك بن دينار وراقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزّازاً . . . إلخ .

وهذا - إن صحت الرواية - مُحِيط ما زعموا من احتقار العرب للصناعات . وكيف مارس كثيراً منها أشرفهم في الجاهلية والإسلام مع اشتغال جموع منهم بالتجارة .

بل كان الأثرياء منهم غير قليل . « وحسبك أن عثمان بن عفان جهّز جيش العسرة من ماله ، وجاء أبو بكر بماله كله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وحمل العباس وطلحة وسعد بن عبادة ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمئتي أوقية . . . إلخ » .

وكل هؤلاء من قريش المشتغلين بالتجارات ، ومرّ بك خبر الذي جاءته غير فأنهبها الناس في أحد المواسم .

ص ٦٣ - ٣/٦٥ من شرح الزرقاني على (المواهب) للقسطلاني ط ١ سنة ١٣٢٦ هـ بالمطبعة الأزهرية المصرية .

(٨)

سوق حباشة

أضف إلى ما جاء في ص ٢٥٨ تحت عنوان سوق حباشة ما يلي :
نشر الأستاذ حمد الجاسر في مجلته (العرب) تعليقاً
حول ما جاء في (المعجم الكبير) الذي يؤلفه مجمع اللغة
العربية في القاهرة ، وقد عرض نماذج منه في مؤتمره السنوي
يوم الأحد ١٩ من جمادي الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ جاء فيه :

«حباشة سوق تهامة القديمة ، وفي الخبر : لما بلغ
رسول الله ﷺ أشدّه وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة رضي
الله عنها إلى سوق حباشة . . » اهـ .

هذه السوق تقع في صدر (قنوني) ، أرضها
لبارق . اهـ .

ولا يزال يقام في صدر وادي (قنوني) سوق أسبوعي ،
يقع شرقي ميناء (القنفذة) في صدر الوادي ، يقام يوم الأحد .
يقع بقرب خط الطول ٤١/١٥° وخط العرض ١٩/١٠°
عند مجتمع الطرق .

سوق صنعاء

سوق صنعاء ص ٢٧١ :

كان^(١) اسم صنعاء في القديم (أزال) . . . قيل سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالح ، وهو الذي بناها . . . فكانت تعرف بـ (أزال) ، وتارة بـ (صنعاء) . و (أزال) أول من بناها ، ثم سميت باسم ابنه فغلب اسمه عليها^(١) .

صنعاء أطيب بلاد اليمن ، بل جنة جزيرة العرب كلها . . . إلخ .

ص ٢٨٠ الحاشية (٣) :

« ومما افتخر به بنو أمية على بني العباس :

قالوا : ولنا عتبة بن ربيعة ، ساد مملقاً ولا يكون السيد إلا مترفاً ، لولا ما رأوا عنده من البراعة والنبل والكمال . وهو الذي تحاكت [إليه] بجيلة وكلب في منافرة جرير والفرافصة وتراهنوا بسوق عكاظ [و] وضعوا الرهن على يده ، دون جميع من شهد على هذا المشهد . . . » .

رسائل الجاحظ عمل السندوبي ط ١ سنة ١٩٣٣ م ص ١٠٢ :

المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد بالقاهرة .

(١) معجم البلدان الياقوت (مادة أزال ، وصنعاء) .

جاء في الفهرست لابن النديم : « كان في خزانة المأمون كتاب عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم ، فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل (أزل صنعاء) ، عليه ألف درهم كلاً بالحديده ؛ ومتى دعاه بها أجابه . شهد الله والملكان » .

(٩)

امتحان عقل إحدى فصيحات

بعد سطر ١٣ ص ٣٣٧ :

« أت ابنة الخس عكاظ ، فأتاها رجل يمتحن عقلها
ويمتحن جوابها ، فقال لها : إني أريد أن أسألك ، قالت :
هات ،

قال « كاد » قالت : « المتعل يكون راكباً .

قال « كاد » قالت : الفقر يكون كفوياً .

قال : « كاد » قالت : « العروس يكون ملكاً » .

قال : « كاد » قالت : « النعامة تكون طائراً » .

قال : « كاد » قالت : « السُّرار يكون سحراً » .

ثم قالت للرجل : « أسألك ؟ قال : « هاتي » ،

قالت : « عجبْتُ » قال : « للسِّباخ لا ينبت كلؤها ولا

يجف ثراها » .

قالت : « عجبْتُ » قال : « للحجارة لا يكبر صغيرها ولا

يهرم كبيرها » .

قالت : « عجبْتُ . . . » إلخ .

عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ / ص ٢١٤ :

(١٠)

شهر خليع

بعد ص ٣٨٩ :

مما يدخل في باب الأمن العام ، ما جرت عليه القبائل حين يرتكب خليعوها الشرور ، من إعلان البراءة منهم رسمياً على ملاء الناس في الأسواق العامة ، متبرئين من جرائمه ، وحينئذ ينحاز [المجرم] عن قبيلته ويلتحق بغيرهم .

هذا قيس بن الحدادية كثرت جرائمه ، فلم يعد قومه بنو خزاعة يعترفون به ، وكان من شعراء الجاهلية ، فاتكاً ، شجاعاً ، صعلوكاً ، خليعاً ؛ فخلعته خزاعة بسوق عكاظ ، وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه ولما خلعت خزاعة قيساً تحوّل عن قومه ، ونزل عند بطن من خزاعة يقال لهم بنو عمرو بن عديّ بن خالد ، فأووه وأحسنوا إليه . وكان مما أثنى عليهم به هذه الأبيات :

جزى الله خيراً عن خليع مطرّد رجلاً حموه آل عمرو بن خالد
وقد حدّبت (عمرو) عليّ بعزها وأبنائها من كل أروع ماجد
مصاليت يوم الروع كسبهم العليّ عظام مقيل الها ، تُثعر السواعد
الأغاني (طبعة الساسي) ٣/١٣ و ٥ .

بعد ص ٣٨٩ :

(١١)

قال الدكتور زكي حسن أستاذ التاريخ في الجامعة المصرية :

(١٢)

ص ٣٨٩ س ١٦ .

«إن ما نجده في كتب التاريخ من وصف بساط كسرى الذي غنمه العرب في (المدائن) ، لأكبر دليل على براعة الإيرانيين في هذه الصناعة القديمة . ومن المحتمل أن يكون أهل الحيرة قد نقلوا عنهم أسرار هذه الصناعة ، والمعروف أن سجاجيد ذات زخارف حيوانية كانت تصنع في (الحيرة) قبل الإسلام .»

مجلة المقتطف عدد يوليو ١٩٣٨ ص ٢٣٣ .

(١٣) أسواق الكلام

أمام ص ٣٩٤ :

لاحظ الجاحظ أن للعرب أسواقاً « كانت بين دورهم ودور العجم ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات ، وهي كانت أوسع أبواب الدخيل والمعرّب [في التسلل والعلوق] في هذه اللغة العربية . وذكر منها الجاحظ في كتابه (الحيوان) سوق الأبلّة وسوق الأنبار وسوق (لقة) [كذا] وسوق الأنبار وسوق الحيرة » .

تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ١/٨٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ بعناية محمد سعيد العريان :

ختم الرافعي - في آخر ص ٨٩ من الجزء نفسه - كلامه على أثر الأسواق في ثراء لغة العرب بهذه الملاحظة القيمة جداً : « ولا يعرف لهم من أسواق الكلام غير المربرد وعكاظ » .

(١٤)

هواء المرَبَد

بعد س ٥ من ص ٤٠٩ :

ذكر ياقوت في كلامه على (المرَبَد) ما يشعر أن هواءها
مستوخم بعض الشيء ، وبخاصة للأعراب القادمين من
البوادي ، حيث الهواء النقي السليم . ونقل أن أعرابياً قدم
البصرة «فكرها فقال :

فأصبح لا تبدولعيني قصورها
وأسلمني أسواقها وجسورها
إذا سجت أبعالها وحميرها
أناسي موتي نُبشَن عنها قبورها

هل الله من وادي (البُصيرة) مخرجي
وأصبح قد جاوزت (سيحان) سالماً
ومريدها المذري عليه ترابه
ففضحي بها عُبر الرؤوس كأننا

آثار المؤلف المطبوعة

المؤلفات	الناشر
۱ - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام	المكتبة الهاشمية في دمشق ۱۹۳۷
اسواق العرب (طبعة ثانية)	دار الفكر بدمشق
۲ - ابن حزم الاندلسي ورسالته (في المفاضلة بين الصحابة)	المكتبة الهاشمية ۱۹۴۰
۳ - الاسلام والمرأة	۱۹۴۵
۴ - عائشة والسياسة	لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ۱۹۴۷
۵ - في اصول النعمر	الجامعة السورية ۱۹۵۱
۶ - مذكرات في قواعد اللغة العربية	الجامعة السورية ۱۹۵۵

ب المخطوطات التي عني بتعقيها ونشرها :

۱ - الاجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة للامام الزركشي	المكتبة الهاشمية بدمشق ۱۹۳۹
۲ - في المفاضلة بين الصحابة . لابن حزم	المكتبة الهاشمية بدمشق ۱۹۴۰
(نشرت في كتاب ابن حزم الاندلسي)	
۳ - سير النبلاء للذهبي (جزء خاص بترجمة ابن حزم)	= ۱۹۴۱
۴ - سير النبلاء للذهبي (جزء خاص بترجمة السيدة عائشة)	= ۱۹۴۵
۵ - تاريخ داريا : للقاضي عبد الجبار الجولاني في المجمع العلمي العربي بدمشق ۱۹۵۰	
۶ - الاغراب في جدل الاعراب	} لابن الانباري الجامعة السورية ۱۹۵۷
۷ - لمع الادلة	
۸ - ملخص إبهغال القياس والرأي .. لابن حزم	الجامعة السورية ۱۹۶۰

من منشورات مكتبة دار العروبة
للنشر والتوزيع

- التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.
- الدليل التام على دول الإسلام، للحافظ السخاوي، تحقيق الأستاذ حسن إسماعيل مروة، مراجعة وتقديم الأستاذ محمود الأرنؤوط.
- فيض المنعم من صحيح مسلم، للعلامة السمان الحموي، حققه وعلق عليه الأستاذان حسن إسماعيل مروة ومحمد إسماعيل مروة، راجعه الأستاذ محمود الأرنؤوط، قدم له الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للإمام السيوطي، تحقيق الأستاذ محمود الأرنؤوط والأستاذ محمد بدر الدين القهوجي.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، تأليف الدكتور خالد عبد الكريم الأرنؤوط.
- زهرات الياسمين (كتاب أدب وثقافة) تأليف الأستاذ محمود الأرنؤوط.
- رسالة الأحاديث الأربعين من أمثال أفصح العالمين، للعلامة النبهاني، تحقيق الأستاذ محمود الأرنؤوط والأستاذ صلاح الشعال، مراجعة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط والشيخ شعيب الأرنؤوط.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com